
ساحر الكتب
CINDER
جمرة
دعاء الجدعاني
DAR PAGES

اقْرَأْ بعينِ الخيـالِ

واتْرُكْ الواقعَ جانبًا

فـكاتبةُ هذهِ الرِّوايةِ

تعيشُ بينَ الخيـالِ

تمهيد

بين ثنايا قلبي الكثير من التفاصيل التي تحاول جاهدة إخفاء نفسها عن قلمي الجائر. نحن لسنا ملائكة على هذه الأرض، فالملائكة موجودون في السماء. وعلى عكس ذلك أيضًا، نحن لسنا شياطين، فقلوبنا لازالت نقية رغم امتزاج السواد بها.

نحن لسنا سوى بشر، بشر مليؤون بالضعف وقلة الحيلة أمام كل مغريات هذه الحياة من جمال مبهر للعين في ظاهرها وسواد يقتل الروح في أعماقها.

أكتب لكم الآن ولا أنكر أبدًا مزجي لنقاء قلبي مع سواده في داخل هذه الرواية. لقد استعنت بكل شيء أملكه ولا أملكه فقط لإكمالها، لا يهم إن كان خيرًا أم شرًا، فالنتيجة بالنسبة لي هي الأهم من كل التجاوزات المحملة بالذنوب والآثام.

نحن "بشر" في نهاية المطاف، ومن طبيعتنا التأرجح بين الخير والشر من أجل الوصول إلى قمم الجبال التي تسعى لها أنفسنا.

قبل قراءة هذه الصفحات المتراصة والمليئة بسواد كاتبها وشرور شياطينه سأخبرك "سرًا"، سيكون بيننا أنا وأنت فقط.



(هذه القصة بكل تفاصيلها، قد شهدت الحياة ذات يوم).

تحذير:

أسماء الشياطين، صفاتهم، أساليب حياتهم ومزجهم مع خدامهم من السحرة بالكامل حقيقي.

إن كنت لا تقوى على مواجهة هذا العالم الرجاء إغلاق الكتاب الآن ووضعه على الرف في الحال.

"شكر وامتنان"

كانت "ظِلال" مليئة بالقصص

وكم كانت تهوى سرد القصص لي

فالشكر (لظِلال)

ماذا إن تعاون "بشري" مع "قرين"؟

ماذا إن كانوا جميعًا "إناث"؟

ماذا لو..

"في سواد قلوبنا شيء خفي"

(1)

مراسم خروج الشيطان

كانت سنة غريبة تمر على تلك القرية التي تبعد عن مدينة (الطائف) مسافة قليلة فقط، حيث إنها سنة 1412هـ التي كانت حافلة باستحواذ الشياطين على الأجساد البشرية وانتشار الكثير من السحرة من جنسيات مختلفة في أرجائها.

رغم إيمان الكثيرون بالله ومعرفتهم حرمة الاستعانة بغيره لكن المصائب التي كانت تواجههم أجبرتهم مكرهين على اللجوء للسحرة والشياطين، لتزداد مصائبهم حجمًا ويزداد حزنهم حزنًا.

(الكثيرون يصفونها بأنها كانت " سنة الجحيم ")

صوت قرع الطبول ودقات على الهاون تصدرها يد مليئة بنقوش غريبة، وأمامها فتاة تئن بصوت خافت ويغطي جسدها الصغير بأكمله وشاح أبيض مليء ببقع الدم.

وضعت الكثير من المكونات الغريبة في ذلك الهاون الخشبي الذي كان يحوي نقشات مماثلة لتلك اليد التي تستخدمه. ثم سرعان ما امتزجت تلك المواد ببعضها البعض ليتم قذفها على ذلك الجسد من فوق الوشاح وسط تمتمات لا يدرك أحد معناها.

شعور غريب.. شعور غريب يحيط بالمكان، وكأن هالة الشياطين قد امتزجت به لتبعث الضيق في قلوب الموجودين.

رغم كل ذلك استمرت بما تفعله من غناء وتمتمات حتى اختفى ذلك الأنين من تحت الوشاح لتصدر بدلًا منه ضحكة ساخرة كانت كفيلة بإيقاف أولئك النساء عن قرع الطبول، لكن المرأة صاحبة الهاون نظرت إليهن نظرة واحدة جعلتهن يكملن الدق والغناء متحدين الخوف المنساب داخل قلوبهم.

كان المنظر كالجحيم في عين تلك الطفلة المنزوية في أحد أركان الغرفة، حيث إنها بدأت تتمتم لنفسها مرارًا وتكرارًا بصوت خافت:

- إنهم جبناء يا جمرة، جبناء يجيدون صنع الوهم.

تذكرت قبل لحظات من بدء هذه المراسم الغريبة كلمات والدتها عندما أخبرتها أن ما يفعلونه أمرٌ طبيعي ويقومون به لأجل شفاء المتلبسين وإخراج الشياطين منهم.

تلك الفتاة أسفل الوشاح لم تتجاوز بعد عامها الرابع عشر وقد كانت قبل إصابتها بهذه اللعنة على وشك الزواج من ابن عمها، ولكن الآن كل شيء انتهى وتم زفاف قريبها قبل أيام قليلة من فتاة أخرى.

كانت جمرة تتأمل تلك الفتاة الصـغيرة وكيف أن الشـيطان رغم عذابه يقاوم رافضـا الخروج منها. لقد قالوا إنه عاشـق، يعشـقها إلى حد الاستعداد للاستغناء عن حياته وقتل نفسه بقربها على أن يتركها لإنسي، جعلها ذلك تتفكر وتتساءل..

(لماذا الحب خبيث هكذا، يأتي ليتسلل داخل قلب اثنين من عوالم مختلفة لينسج لهما أوهامًا لا تنتهي حتى يكيد بهما فتتمزق أرواحهم لأجل الدفاع عنه، ثم تنتهي القصة بكارثة تصيب الطرفين معا).

لتتأكد بعدها من فكرة واحدة استنتجتها خلال هذه الليلة..

(وما كان الحب إلا شيطان يجيد صنع الوهم فيعتلي به مشاعر المرء ثم يفتك به).



في ظل تأملها لتلك الضحكات الشيطانية الممزوجة بتمتمات والدتها خيل إليها أن ذلك الجسد ارتفع عن الأرض بعض الشيء.

ظنت للحظات أن الخوف قد نسج لأعينها هذا المنظر، ولكن اتضح من نظرات الجميع في المكان بأنهن قد أدركن ما لمحته تمامًا.

عند عودتنا أيها القارئ لذات البقعة التي تجلس بها صاحبة اليد المنقوشة وبجانبها ذلك الجسد المستحوذ عليه من الشيطان الذي يصرخ عليها محذرًا حينًا ويعيد تلك الضحكات الساخرة حينا أخرى.

لتبدأ بعدها بمزج الآيات القرآنية بكلماتها فيصرخ بكل قوته وهو يتوعد قتلها وإن كلف الأمر أن يقتل كل الشياطين الذين يسعون لخدمتها من أجل الوصول إليها.

ثم يشير بيده نحو تلك الطفلة المنزوية مهددًا بأن روحها ستكون عوضا له عن كل العذاب الذي يحصل عليه هو ومعشوقته في هذه اللحظة.

مر الوقت في صراع لا يكاد ينتهي مع ذلك الشيطان حتى فقدت تلك الفتاة وعيها وسقطت أرضًا.

سرعان ما تم حملها بواسطة العديد من النساء لنقلها إلى إحدى الغرف ليتوقف بعدها قرع الطبول وتلك التمتمات الخارجة من صاحبة الهاون في ذات اللحظة.

بدأت امرأة في نهاية الخمسين من عمرها تضع أمام كل واحدة من المشاركات في قرع الطبول مبلغًا كان كفيلًا بتغيير ملامحهن المرعوبة إلى ملامح تغمرها السعادة فور رؤيته، ليصقن من أفواههن الكثير من عبارات الامتنان والشكر ثم رحلن من المكان.

في تلك الأثناء بدأت صاحبة الهاون بجمع حاجياتها المتناثرة ووضعها داخل حقيبتها السوداء، حيث كانت أكياس الأعشاب ومواد كريهة الرائحة لا أحد يعلم من أين تجلبها، اعتادت دائما على أن تخرجها وتعيدها من وإلى ذات الحقيبة.

وفي هذه اللحظة تقدمت تلك المرأة ذات الخمسون عامًا والتي اتضح عليها البذخ رغم التعاسة المرسومة على وجهها وقالت:

- أشكرك يا محاسن، أتمنى أنه رحل دون عودة.

لم تكن محاسن ذات اليد المنقوشة تظهر أي تصرف ينم عن الاحترام حيث إنها ناولتها بملامح متجهمة قارورة مليئة بزيتٍ تفوح منه رائحة كريهة وقالت لها:

- ضعي هذا الزيت على جسد ابنتك لعل الحظ يقف بجانبها وتنجو.

ظلت المرأة الخمسينية والتي تدعى بثينة تنظر إلى محاسن وطفلتها بتعجب شديد. فكيف لها أن تجلب معها طفلتها إلى هذا المكان وكيف لها من الأساس أن تحمل هذه القوة وتكون ثابتة رغم تهديدات الشيطان الصريحة لها ولابنتها.

كانت محاسن، امرأة غريبة الشكل والتصرفات حيث إن وجهها ذو الملامح الجميلة تمت تغطيته بواسطة الكثير من الوشوم المشابهة لتلك المتواجدة على يدها، وكم كانت تهوى السواد.

حيث إنها منذ سنوات قذفت برداء النساء من ألوان زاهية لترتدي السواد فقط لون وحيد لا يتغير. بينما ابنتها تلك الطفلة ذات الحادية عشرة عامًا لا تستر عورتها سوى قطعة قماش بالية أوشكت على الانحلال. كانت ملامح طفلتها لا تقل جمالًا عن والدتها فشعرها الأسود الطويل منساب على وجهها بفوضوية وملامحها البريئة غطتها طبقات من الأوساخ لتمنع جمالها من الظهور بشكل كامل، ولديها غمازتين ملائكية لكن لا أحد يعلم عنها فهذه الفتاة نادرًا ما تبتسم.

حاولت السيدة بثينة أن تجلب من غرفة ابنتها مريم صاحبة الجسد المستحوذ بعض الثياب لتهديها لهذه الطفلة التي تدعى جمرة، ولكن نظرات محاسن المرعبة وصوتها الحاد جعلها تتراجع قبل أن تقدم على ما تريد فعله.

خرجت محاسن وابنتها جمرة من ذلك المنزل بكل هدوء، بينما يد الأولى تجر حقيبتها المهترئة وتلك الأخيرة تلحق بوالدتها بخضوعٍ تام.

مشـت الاثنتان في الطريق لمدة نصـف سـاعة بين تلك القصـور المخصصـة للأغنياء في مدينة الطائف حتى عثروا على حافلة وافق صـاحبها على نقلهم إلى قريتهم. بدأت معالم العمران تختفي عن أعينهم لتظهر لهم تلك البقعة الشـعبية التي يسـكنون بها والمليئة برائحة العفن المنتشر في أرجائها.

لقد كانت قرية بسيطة، بنيانها من طين وممراتها مليئة بفضلات كل من البشر والحيوانات على حد سواء. لم يكن سكان القرية يشعرون بعمق القرف الذي يعيشون فيه، فقد اعتادت أنوفهم وأعينهم وحتى أجسادهم على هذه الحياة القذرة.

صدقني، إن تم تعقيم هذه القرية من كل ما تحتويه لمات ساكنيها بعدها بلحظات.



قبل وصولهم إلى منزلهم بمسافةٍ بسيطة، كان يجلس رجل رث الثياب دميم الوجه كريه الرائحة تتضح على ملامحه معالم الفقر والحاجة فأصبح يتوسل إليهم فقط يريد لقمة يشبع بها جوع بطنه.

ناولته محاسن ذلك الظرف بكل ما يحتويه تحت أنظار ابنتها المليئة بالحسرة. فور أن فتحه وشاهد المبلغ الذي بداخله حتى أصبح يدعو لها بكل الأدعية التي عرفها في حياته حتى يومه هذا.

عند وصولهم فتحت جمرة باب منزلهم المتواضع والمبني من الطين والحجر على عكس تلك البيوت الفارهة في المدينة. كانت بوابة المنزل تصدر صوتًا لا يقل رعبًا عن هذه الليلة، فنطقت جمرة:

- ليتكِ لم تعطِ ذلك المتسول كل الأموال التي جنيتيها، لكنا جلبنا باب آخر أقل رعبًا من هذا الباب أو على الأقل أصلحناه.

أزاحت محاسن عباءتها عن جسدها ووضعت تلك الحقيبة السوداء برفق في مكانها المخصص (داخل خزانتها بين الثياب) وأجابتها:

- الأموال ملعونة، ولا أحب أن تعيشي بواسطة أي رزق تم جلبه بواسطتهم.

- بواسطة من!

بدأ على وجهها التوتر الذي تحاول إخفاؤه لتقول:

- دعيني أحضّر العشاء، وأنتِ اذهبي لتغيير ثيابك.

لم تعطها المجال للاعتراض، فقد ذهبت سريعًا إلى المطبخ وبدأت بإخراج كل ما يمكن أكله. لم يكن يحوي من الأساس شيئًا عدا بضع بيضات ورغيف خبز قد فسد نصفه، رغم ذلك لم تعترض جمرة، بل بدأت بالأكل بكل شراهة متجاهلة تلك البقع الخضراء المنتشرة على قطعة الخبز.

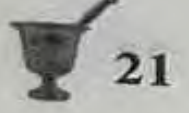
في الواقع، لم يكن الطعم سيئًا فقد اعتادت عليه منذ أن وجدت نفسها في هذه الحياة، وفي تلك الأثناء همت بسؤال بريء:

- هل أنتِ شيخ يا والدتي!

توقفت محاسن عن الأكل ونظرت إليها بنظراتها الحادة والتي لطالما كانت مصدرًا للرعب في قلب ابنتها ثم نطقت:

- قد أكون قريبة منهم، لماذا؟!

- في مدرستي قالت المعلمة أن الشياطين يخافون الشيوخ، أولئك الذين يقرأون القرآن على الأجساد المستحوذة عليها من قبلهم، فأخبرتها بأنك كأولئك الشيوخ تفعلين ما يفعلونه، بل قد تكوني أقوى منهم.



اتضح الهلع على وجه محاسن وقالت بتوتر:

- هل أخبرتها بما نفعله يا جمرة؟ كم مرة عليّ القول أن الأمر هذا سرٌ بيني وبينك، ومن الأفضل أن يكون سرًا، فالمجتمع هنا لا يفهم ما أقوم به.

صمتت قليلًا لتتدارك الغضب الذي أصبح صوتها ممتلئًا به ثم أكملت:

- الأفضل أن تبقي في المنزل، في جميع الأحوال التعليم لا يجدي نفعًا للفتاة فمصيرها الزواج لتنتهي بالعمل في خدمة زوجها ومنزلها.

شعرت تلك الطفلة بذات اللحظة أن قلبها قد خرج من موضعه، لم تتوقع يومًا أن تترك مدرستها رغم كرهها لها. أرادت الجدال لعلها تتراجع عن قرارها، ولكن نظرة واحدة من محاسن، جعلت جمرة تصمت وتكمل طعامها دون أي اعتراض.

(2)

قصة عاشق

في تلك الغرفة المليئة بكل ما يتمنونه الفتيات في ذلك الزمان، كان ينظر إلى جسدها المغطى بوشاحٍ أبيض مليء ببقع الدماء وعلى وجهه علامات الغضب.

كل ما كان يدور بعقله وقتها هي تلك اللعنات المتواصلة والتي أراد أن يحرق بها هذا المنزل بكل من فيه لتصبح ملكًا له دون أن يعكر صفو حياتهم أحد.

ذهب بذاكرته قبل سنوات قليلة عندما كان عمر هذه التي أمامه عشرة سنوات فقط. كانت تلعب في ساحة المنزل بالمياه العذبة بينما الخادمات يسكبن المياه في أرجاء المكان.

شعرها الأسود الحريري وعيناها البنيتين وتلك الضحكات البريئة التي تصدر منها كلما رشقتها إحدى الخادمات بالمياه ممازحة.

رغم سماعه تحذيرات كثيره بأنه يجب عليه أن يتجنب نساء البشر وأن لا يقع بحب واحدةٍ منهم، لكنه أدرك فورًا بعد رؤيته لها أنه قد وقع بحب هذه الطفلة دون أن يقرر أو يختار.



لم يفارق هذا المنزل منذ تلك اللحظة التي شعر فيها بحبه لمريم تلك الفتاة الصغيرة ذات العشرة أعوام، وأصبح يتردد إلى غرفتها كل ليلة عند نوم الجميع. متشكلًا بهيئة طفل قريبٍ من عمرها لتنشأ بينهما صداقة بريئة من طرفها، ولكنها تحمل نيات خفية من الطرف الآخر.

ذات ليلة سألته بتعجب شديد:

- لماذا تأتي دائمًا بعد نوم عائلتي، ولماذا تطلب مني عدم اخبارهم عنك!

بملامح حزينة تصطنع البراءة قال:

- إن علم أحد عني سأختفي من حياتك للأبد، ولن تريني مجددًا يا مريم.

- ولكن لماذا؟

- أنتِ تعلمين لماذا، أنظري إلى أختك التي تكبرك بسنة واحدة فقط، لقد تم منعها من اللعب خارجًا برفقة الصبية وبدأوا بتجهيزها للزفاف من أول شخص يطرق باب منزلكم، ماذا سيفعلون بشأن صداقتنا يا ترى!

بدأت تفكر فيما قاله لتوافقه الرأي بعدها وتعاهده أن تبقي هذه العلاقة مخفية دائمًا عن أعين الجميع فهي لا تود خسارته.

مرت السنوات وهي تكبر وتبدأ معالم الأنوثة تتضح عليها بينما أحزم يحاول مجاراتها في النمو فكلما تكبر قليلًا يتحول لنسخة أكبر من تلك التي اعتمد ظهوره بها.

حتى جاء اليوم الذي كانا يتسامران به على سطح المنزل، حيث كانت السماء تلتحف السواد والنجوم تملأها مثل ألماساتٍ صغيرة، لتبهر بجمالها كل من ينظر إليها.

كانت تستمع لقصص أحزم المشوقة، فكلما سألته عن نجمة من تلك النجمات ليسرد لها قصصًا لم تُروَ لبشري من قبل.

لطالما كانت مريم أفصح الفتيات في عمرها حيث كانت تجيد إلقاء الشعر الفصيح ببحور يعجز عنها أمهر الشعّار وكذلك كانت تمتاز بسرد القصص التي ظنها الكثيرون ناتجةً عن خيالها الخصب، ولكن في الحقيقة هي اقتباسات لا أكثر من حكايات أحزم لها.

كانت تستمع له ثم سرعان ما تهتف عند رؤيتها لنجمة أكثر لمعانًا وجمالًا مما قبلها قائلة:

- وهذه يا أحزم، أخبرني عنها..



في تلك الأثناء نهضت ماريا أخت مريم من نومها بسبب حاجتها لشرب الماء، ولكنها تذكرت أنها لم تملأ قربتها فخرجت من غرفتها للحصول على بعض المياه لتروي عطشها، ولكن ما أثار فضولها وجعلها تغير مسارها نحو سطح المنزل هو صوت مريم وضحكاتها الوحيدة.

شعرت بالخوف من فكرة أن تكون أختها تواعد أحدا سرًا بعيدًا عن أعين الجميع فتوجهت بخطوات هادئة إلى الأعلى حتى لمحتها تجلس في منتصف سطح المنزل وتتحدث مع شخصٍ لا وجود له.

في تلك اللحظة شعر أحزم بها ليهمس لمريم والتي سرعان ما أدارت وجهها باتجاه أختها مما أثار رعب ماريا أكثر من الرعب الذي سكن قلبها قبل لحظات وهي ترى أختها تتحدث مع نفسها وكأن أحدًا كان بجوارها.

تمالكت نفسها واقتربت من مريم وقالت لها:

- ماذا تفعلين هنا بهذا الوقت، ومع من تتحدثين؟

ثم سرعان ما أكملت قبل أن تجيب أختها:

- وكيف عرفتِ بأنني خلفك رغم أني لم أصدر صوتًا!

ابتسمت مريم وقالت لها:

- شعرت بكِ، لا أكثر.

- إذًا مع من كنتي تتحدثين قبل لحظات؟!

نهضت مريم من مكانها وحملت كل ما جلبته معها استعدادًا للنزول دون أن تلقي بالًا لتساؤلات أختها. ظنت أنها إن تجاهلتها وأدعت عدم الاهتمام سينتهي كل شيء، ولكن تلك الأخت أبت أن تعود لمنزل زوجها قبل اكتشاف السر الذي تخفيه مريم.

يومًا وراء يوم وبسبب وسوسة ماريا لوالديها بدأ جميع أفراد العائلة بالاقتناع أن ابنتهم يتملكها شيطان عاشق. حيث بدأت مناقشة في إحدى غرف المنزل:

- ماذا علينا أن نفعل، لقد وافقت على زواجها من ابن أخي، والزفاف قريب.

- أخبرتك يا محمد، لا يمكننا تزويجها وهي بحالتها هذه.. لقد قالت ماريا أنها شاهدتها تتحدث بمفردها في سطح المنزل و..

- ماذا أيضًا!



إن لم يحدث ذلك

- كنت سأقول إن ابنتنا أصابها نوع من الجنون عندما قالت لنا ماريا ما الموقف.. في تلك الليلة التي لم أستطع النوم بها عندما قالت لنا ماريا ما قالته، نهضت من فراشي وتوجهت إلى سطح المنزل لأستنشق الهواء ووجدتها تجلس على حافة البناء، تنظر إلي ووجهها مليء بتعابير شيطانية..

لم تكن تلك ابنتي، كانت نسخة مخيفة منها.

أراد محمد طمأنة زوجته، ولكنها قاطعته قائلة:

- ذلك الشيطان يعلم بشأن زفاف مريم الذي نحضر له..

كان يستمع لكل تلك الأقاويل التي يقولونها وقلبه مليء بالغضب، لا يمكن لأحد أن يسلبه مريم وإن كلفه الأمر أن يهرب بها إلى أبعد مكان لم يسكنه أحد من البشر.

في صباح اليوم التالي بحثت بثينة عن ابنتها بعد أن أمرها زوجها بتجهيزها لعقد قرانها، قبل أن يعلم خطيبها بشائعات تلبس الشيطان لها.

لكن الكارثة عندما وجدت غرفتها فارغة، بحثت عنها في كل أرجاء القصر لكن دون فائدة.

سرعان ما انتشر خبر اختفاء مريم في أرجاء المكان لتطالها الشائعات والاتهامات التي جعلت والدها يتوعد بقتلها فور عثوره عليها أمام الملأ.

بدأت رحلة البحث عن مريم بين الأحياء المجاورة والقرى القريبة من المدينة، ولكن دون جدوى، تلك الفتاة اختفت وكأنه لم يعد لها وجود في هذه الأرض.

وضعت بثينة كل ما تملك مكافأةً لمن يعثر عليها وقد انتشرت قصتها في جميع أنحاء المملكة كالنار في الهشيم.

حيث أصبح منزل العائلة لا يهدأ نتيجة القرع المتواصل من أولئك المدعين أنهم شاهدوها طمعًا بالمكافأة. هنالك من قال إنها متواجدة في وادي قريب من قريتهم كل ليلة يسمع صراخها هو وعائلته وقد شاهدها مرتين تطلب منه المساعدة، ولكن دون جدوى كانت تختفي بنفس اللحظة التي يحاول إمساكها بها.

مرت ستة أشهر وكان الأب يذهب بحثًا عن ابنته في الأماكن التي دلوه عليها، ولكنه لم يجدها أبدًا. بدأ اليأس يدب في قلب تلك العائلة فقال محمد لزوجته بثينة التي تلبسها السواد منذ رحيل ابنتها مريم:

- علينا إقامة عزاءٍ لها، لا أعتقد أنها حية وإن كانت حية يا بثينة لا أظن أنها ستعود.

صرخت بغضب عليه وقالت:

- هل تظنني سأستمع لكلامك مجددًا بعد كل ما فعلته بأبنتيّ، كل شيء حصل بسببك.. زوجت ماريا من شخص يكبرها عشرون سنة وهي طفلة بينما الأخرى رغم معرفتك بشأن استحواذ الشيطان عليها فقد أردت تزويجها أيضًا والخلاص منها والآن تقول لي علينا إقامة عزاءٍ لها؟ لن يحدث ذلك ابدًا ولن استمع لك من جديد.

- إذًا لنفترض أنني السبب بكل هذا القرار لكن الآن ماذا تقترحين أن نفعل!

صمتت لحظات ثم قالت:

- لنذهب إلى ساحر، سيخبرنا عن مكانها.

نهض من مكانه غاضبًا وقال:

- هل جُننتِ يا امرأة، في هذا العمر ترغبين مني أن أذهب إلى ساحر، أهون عليّ أن أموت أو أتعذب طوال حياتي على أن أذهب إلى أولئك الدجالين!

ثم نظر إلى ابنته ماريا والتي يتضح على ملامحها الندم وقال لها صارخًا:

- وأنتِ اذهبي إلى منزل زوجك!

ثم رحل تاركًا بثينة وماريا في هم لا يعلمون كيفية الخلاص منه.

في مكان آخر بعيد كل البعد عن تلك المدينة فوق أعالي الجبال وبالتحديد في كهف لم يدخله إنسي من قبل، كانت تجلس وعينيها مليئتان بالدموع.

تبكي شوقها لعائلتها ورعبها من وجودها في مكان لا تعلم كيفية وصولها إليه. حاول كثيرا أن يجعلها تتقبل حياتها الجديدة معه لكن دون فائدة حيث قال لها:

- فعلت المستحيل لأجلك يا مريم، لتفعلي القليل لي أرجوك.

- أعدني إلى منزلي، كيف لك أن تفعل هذا بي، أنت من ظننته صديقي أصبحت الآن تخبرني بحبك وبرفضك فكرة زواجي.

- لا يمكن لي أن أسمح لبشري أن يقترب منك، أحببتك منذ صغرك فلتعطيني القليل من حبي لك وتهديه لي.

عادت باكية مجددا وكلما أراد أن يلمس وجنتيها المبللة بالدموع بكف يده تبتعد عنه وتصرخ في وجهه طالبة منه الاختفاء. شعر بالخذلان وانكسر قلبه، كيف لمن أحبها سنين طويلة، وتخلى عن عائلته لأجلها أن تقذف به بعيدا لأجل رجل آخر.

تذكر قول صديقه همام أن إناث البشر أنانيون جدا، يقدمون لك الأمان والحب ممزوجا بسلام وروحانية غريبة على طبق من ذهب حتى تغرق مبتسما لهم ثم يظهروا وجوههم الخفية ويتخلون عنك.

قرر رغم علمه بأن هذا القرار سيعذبه ويقتله، وقد يجعله هائمًا في أرجاء الأرض معتكفًا على نفسه إلى أن يحين أجله.

قرر إرجاع مريم إلى عائلتها وإلى ذلك الرجل الذي ستكون ملكًا له..

ما بيننا قصة خذلها أبطالها

لتصبح عبرة لغيرها من القصص..

صوت طرقات ممزوجة بصوت المطر كانت كافية رغم انخفاضها ليذهب نحوها محمد غاضبًا وهو يصرخ:

- لقد مللت من كذب هؤلاء البشر.

ولكن فور فتحه للباب واستعداده للصراخ على الفاعل حتى وقف مندهشًا لا يدري ماذا يفعل، لقد أصابه الرعب والفرح في ذات الوقت.

ابنته مريم واقفة أمام باب منزله بلباس نومها الذي كانت ترتديه قبل ستة أشهر عند نومها، لقد كان ممزقًا ويفضح أكثر مما يستر، مليء بالطين ومبتل حتى آخره نتيجة المطر الذي يهطل بغزارة في ذات الوقت.

نادته زوجته:

- محمد، من هناك ما بك تأخرت هكذا؟

لم يجب عليها مما جعلها تشعر بالغرابة من تصرفه لترتدي حجابها على عجل وتلقي نظرة خلف الباب فتصرخ:

- مريم!

ثم ركضت إليها واحتضنتها بكل قوتها خوفًا عليها من رحيلها مرة أخرى. دخلت مريم إلى منزل عائلتها من جديد وقررت أن تكمل حياتها رغم كل ما حدث.. وبعد كثير من الحوارات التي كانت تدور في عقلها استسلمت واخبرتهم بتوتر وقلق بموافقتها على الزواج من ابن عمها.

في الواقع، منذ زمن ومريم تعشق ابن عمها وترغب به زوجًا لها. رغم قربها من أحزم ومحادثاتها المطولة معه لكنها لم تكن تشعر تجاهه سوى بشعور الصديق لصديقه لا أكثر. وقد أخبرته كثيرًا عن اعجابها بعزيز وكان يجاريها فيما تقوله ويخفي غضبه واستياءه.

شعرت بالأسف عليه، فقد جعلته يعيش وهمًا لا تعلم كيف أشعرته به، ولكن الآن لا شيء مهم بالنسبة لها. رحل أحزم ومزقت تلك الصفحة بأكملها والآن حان موعد صفحة جديدة برفقة من أحبته هي لتكون زوجةً له.

ذهب والدها هذه المرة بنفسه إلى منزل أخيه لإخباره بعودة ابنته وأنه حان الوقت لتحديد موعد للزفاف. ولكنه لم يتوقع ذلك الرد الجاف من أخيه حيث أخبره قائلاً:

- عزيز سيتزوج خلال هذه الأيام من ابنة خالته.

اتضحت الصدمة على وجه محمد حيث أنه رفض أن يكمل الجلوس ونهض غاضبًا ليقول:

- من واجبك كأخ لي أن تقف معي في محنتي وتخاف على ابنتي وكأنها ابنة لك، وأن تنقذ شرف العائلة وتحميه من حديث الناس.

- ما ذنب عزيز لأجعله يتحمل خطيئة ابنتك، ماذا يثبت لنا أن من خطفها يكون شيطانًا.. قد يكون شيطان صحيح، ولكن من بني البشر يا أخي.

شعر محمد بالحرقة بسبب كلمات أخيه التي كانت كالسم انسكب على قلبه. ظن أنه إن قال الجميع أقاويلهم وقذفوا سمومهم عليه وعلى عائلته سيبقى بجانبه ذلك الأخ يحميه كالدرع.. لكن الواقع جاء مختلف تمامًا.

في طريقه للرحيل شاهد عزيز عائدًا من عمله وعندما شاهد عمه أشاح وجهه عنه وذهب إلى الداخل دون أن ينطق بحرفٍ واحد.

في تلك اللحظة كانت بثينة تجهز ابنتها للزفاف بمساعدة ماريا حيث كانوا متيقنين أنه ما إن يعلم عزيز برجوع مريم حتى يجلب بنفسه الشيخ لتكون زوجةً له.

في المقابل كان أحزم ينظر إلى مريم ترتدي أجمل الثياب استعدادًا لشيء لن يحصل ورغم علمه باستحالة حصوله لكن قلبه امتلأ بالغضب والغيرة المطلقة.

غريب حقًا هذا الزمان، غريب هذا القدر كيف له أن يحقق أمنياتنا وأحلامنا لأشخاص لا يقدرون قيمتها أبدًا، كيف له أن يأخذ من نحب ليعطيه لمن لا يحب!

ذلك التضاد الذي كان يدور في عقل أحزم وقتها بينما عينيه تتأمل بشاعة الموقف رغم ملائكية تلك الحسناء الظاهرة فيه.

مر الوقت سريعًا وأصبحت مريم بكامل أناقتها تنتظر قدوم من أحبته بعد أن تخلصت من صديق طفولتها لأجله، لكن والدها قد عاد وحيدًا. ظنت أنه سبقهم للقدوم فسألته بثينة متوجسة:

- متى سيأتون؟ كل شيء جاهز حتى الآن لاستقبالهم فقط ننتظر وصولهم لنبدأ الاحتفال.

- لن يأتي أحد.

ثم نظر إلى ابنته بفستانها الذي جلبته لها والدتها قبل اختفائها خصيصًا لهذا اليوم، وقال موجهًا كلامه لابنته الكبرى ماريا:

- عودي إلى منزل زوجك، لقد ألغي كل شيء.

ألقى في تلك اللحظة نظرة حزينة على مريم وأكمل:

- سيتزوج عزيز امرأة أخرى.

شعرت مريم أن قلبها قد تحطم عشرات المرات، كيف له ذلك.. لقد تمنته منذ طفولتها ولطالما كانت تخبئ حبه داخل قلبها خجلًا والآن رحل ليكون زوجًا لفتاة غيرها. كم شعرت وقتها بالكره تجاه أحزم فهو سبب كل شيء، شعرت بأنها تود أن تقتله بيديها الاثنتين.

سقطت دمعة من عينها وذهبت خائبة منكسرة إلى غرفتها بعد إمساك أختها ليدها. كانت تلك الأخت تحاول جاهدة بعث الأمل داخل قلبها قائلة:

- سيأتي الأفضل، وستقعين بحب شخصٍ أفضل عزيزتي.

ثم سرعان ما ارتدت عباءتها لتذهب بعد نداء والدتها لها أن زوجها قد وصل وينتظرها في الخارج. بتلك اللحظة التي أُغلق بها باب غرفتها شعرت بوجوده. لتنظر بغضب إلى زاوية غرفتها فتجده ينظر إليها بحب صافي لم يختلط بمرارة الحقد رغم كل ما فعلته به.



قالت له:

- أخبرتك أني لا اريد أن أراك مجددًا في حياتي، أرحل يا أحزم!

- لقد انتهى كل شيء ورحل من أحببته، لم يعد هنالك سبب لإبعادي عنك.

- أنا لم أعد أريدك بكل الأحوال، وأصبح يراودني شعور أنك السبب بكل ما حصل لي.. لقد دمرت حياتي التي تمنيتها!

ضحك بسخرية وقال:

- ذلك الفتى صدقيني لا يستحقك، من يترك شخصًا يحبه لمجرد شكوك لا أصل لها أو لأجل أن يحتمي من سموم كلام الناس فهو لا يستحق أن يحبه أحد.

نهضت من مكانها وصرخت في وجهه:

- قلت لك أبتعد، ارحل عني.. أخبرتك أني لا أريدك ألا تفهم؟ لا اريدك!

بتلك اللحظة فتح الباب لتركض بثينة نحو ابنتها التي ظلت تصرخ على زاوية غرفتها الفارغة. رغم شعورها بالخوف لكنها ضمت ابنتها بكل قوتها نحوها وهمست لها:

- سوف أحميك يا مريم سوف أنزع ذلك المكروه منك

بالمقابل كان محمد جالسًا في مكانه لم يتحرك حيث كان مرتكزًا على إحدى الجدران وبيده سبحته المصنوعة من حجر الكهرمان وينظر إلى اللاشيء بنظرة فارغة من كل شيء

بعد أن هدأت بشينة ابنتها ذهبت إلى زوجها وقالت له بصوت باكي ممزوج بشهقاتها:

- أرجوك دعنا نفعل أي شيء فذلك الشيطان لن يتركها.

لم يجبها لتهزه بكل قوتها فسقط أرضًا بينما عينيه مفتوحة بالكامل لتعلم فورًا أن روحه قد فارقت جسده وهربت بعيدًا تاركًا لها حملاً ثقيلاً فوق ظهرها لا يتحمله أقوى الرجال.

صرخت بكل قوتها ليتجمع كل سكان الحي ومعهم ابنتها مريم التي فور رؤيتها لجسد والدها مستلقي على الأرض خالي من أي روح حتى سقطت مغشيًا عليها

عندما يأتي الموت

كل الأشياء تصبح لا قيمة لها.

بتلك اللحظة فقط.. استطاع أن يتمكن أحزم من السيطرة على جسدها بالكامل ليسكن أعماق روحها.

بدأ الكابوس في ذلك القصر، حيث أصاب الجنون عقل مريم والتي قد ظن الجميع أن ما أصابها بسبب حزنها على والدها الذي توفي بسببها هي والمصيبة التي قامت بها.

لم يعلم أحد ما نوع المصيبة، ولكن جميعهم اتفقوا على شيء واحد وهو أن هذه الفتاة فعلت أمرًا مخلًا بالشرف لذلك ألغي زفافها ومات والدها قهرًا وكل ذلك جعلها تصاب بالجنون.

لم تعد تقوى بثينة على تحمل هذه الأقاويل التي تتهم ابنتها بالسوء وعجزت أيضًا ماريا أن تتحمل سخرية زوجها من عائلتها، فابتعدت عنه لتعيش في ذلك المنزل برفقة مريم ووالدتها في عزلة تامة بعيدًا عن البشر.

كل ليلة بالنسبة لهم كانت كالجحيم وعذاب لا ينتهي حيث أن مريم تثير الرعب داخل قلوبهم، فتارة يجدونها تطفو بالقرب من سقف المنزل وتنظر إليهم بنظرة شيطانية وتارة أخرى كانت تقف فوق رؤوسهم بهدوء عند نومهم وفي عينيها شر لا يمكن وصفه.

أصبحت كالمجانين تمامًا، تهذي بأشياء مرعبة وتفشي أسرار كل واحدة منهم للأخرى رغم أنها من الأساس لم تكن تعلم عن تلك الأسرار شيئًا، ولكن ذلك بالطبع كان بفعل أحزم.

قالت ماريا لوالدتها:

- يجب أن نفعل شيئا لإنقاذها، فذلك الشيطان لا ينوي خيرًا..

كانت كل فترة تزورهم أخت بثينة التي تعيش في قريةٍ قريبةٍ منهم وعلى عكس بثينة فقد كان زوجها فقيرًا وبعد أن حصلت على نصيبها من ورث والدها نهبه بالكامل منها وأضاعه في شرب الخمر والنساء، كانت في تلك اللحظة متواجدة معهم وتستمع لكلمات ماريا فقالت سريعًا:

- لدي الحل..

نظرت الاثنتان لها برجاء فأكملت:

- هنالك امرأة تدعى محاسن تعيش مع ابنتها في نفس القرية التي أعيش فيها، رغم أن الشائعات حولها تقول أنها ساحرة لكني أكاد أجزم لكم بأنها ناجحة جدًا في عملها.. وتستطيع فعل أي شيء لأجل المال..

صرخت ماريا في وجه خالتها:

- أرجوك يا خالتي لا تذكري لنا السحرة وشياطينهم يكفينا هذا الذي يحوم حولنا.

قاطعتها بثينة حيث نظرت إلى أختها وقالت:

- هل تستطيعين أخذي إليها الآن؟

هزت رأسـها إيجابًا لتذهب سريعًا لارتداء عباءتها فقالت ماريا برعب:

- تتركيني هنا معه، بمفردي!

- يجب على أحدٍ منا البقاء مع مريم، قد يهرب بها بعيدًا مجددًا.. لا تدعيها تغيب عن ناظركِ أعدكِ لن نتأخر.

سرعان ما رحلوا لتشعر ماريا بصوت حركة خلفها وفور أن أدارت وجهها للوراء وجدت مريم تنظر إليها بخبث وسخرية منها لشعورها بالخوف.

جلست أمامها وظلت عينيها تحدق في عيني ماريا لوقتٍ طويل بنفس الابتسامة الساخرة حتى قالت:

- مسكينة أنتِ يا أختي، لن تشعري بلذة الأمومة طالما حييتي.

أتضح الارتباك على صوت ماريا التي قالت:

- لماذا تقولي هذا، فأنتِ لا تعلمين الغيب.

- لكنك ستبقي وحيدة هنا، بلا زوج، ولا عائلة، سيكون هذا القصر سجنًا أبديًا لك. مسكينة أنتِ يا أختي.

لم تستطع النطق، بل ظلت في مكانها تصارع الخوف الذي تضخم داخل قلبها بينما تلك النظرات المريبة ما زالت ثابتة نحوها ولم ترمش أبدًا!

في تلك القرية المتهالكة التي تفوح منها رائحة العفن، بعد أن أنزلهم السائق مشت متمسكة بيد أختها خوفًا من ضيق الأزقة ومن نظرات جميع من في المكان نحوها، رجالًا ونساءً.

وصلت إلى المنزل الذي فتح بنفسه فور مجيئهم مصدرًا صوتًا غريبًا ومزعجًا في ذات الوقت. ظنت أنه يوجد شخص وراء الباب ليفتحه لهم لكن ما أصابها بالرعب هو عدم وجود أي أحدٍ قربه. همست لأختها

- كيف فتح الباب بمفرده؟!

أختها بسخرية:

- هل نسيتِ أننا ذاهبون إلى ساحرة وليس شخص عادي؟ قد يكون أحد الذين معها هو من فتح لنا الباب.. لا تخافي.

بدا على وجه بثينة التردد وعدم الرغبة في الدخول لقد تراجعت، ولكن أختها دخلت سريعًا كمن أعتاد على الذهاب إلى هذا المكان وكأن هذه المرة لم تكن الأولى لها. سرعان ما تبعتها لتقف أمام امرأة جالسة تتوسط حصيرًا باليًا، وأمامها شعلة زرقاء.

أرادت بثينة التحدث والتعريف بنفسها لكنها قاطعتها قائلة:

- اجلسي يا بثينة.

شعرت بدقات قلبها تزداد، كيف لها أن تعرف اسمها وأرادت السؤال عن ذلك لكن يد أختها كانت أسرع من لسانها فأجلستها وهمست لها:

- لا تنطقي بأي شيء لا داعي له، أخبريها بما ترغبين به فقط.

كانت المرأة تنظر إليهم بهدوء شديد وعلى وجهها ابتسامة جعلت قلب بثينة الثائر يهدأ، فقالت:

- لدي ابنة، شاء لها القدر عذابًا لا تقوى عليه.

- أتقصدين مريم؟



هزت رأسها إيجابا فأكملت محاسن:

- مريم وعاشقها أخزم، كان مسالما لكنكم أغضبتموه فجعلتموه

يتغير ولم يعد كذلك.

- ماذا علينا أن نفعل للخلاص منه، أرجوك افعلي أي شيء وسأدفع

لك كل ما ترغبين به.

ابتسمت لها وقالت:

- سأرى ما يمكنني عمله.

ثم بدأت بطلب الكثير من الأشياء ليتم تجهيزها قبل وصولها إلى

منزل مريم، وأصرت أن يتم كل شيء حالا في هذه الليلة حيث قالت:

- ذلك الشيطان يعلم أنكم هنا وأيضا

- أيضا ماذا...!

- ما كان عليك أن تتركي أختها وحيدة معه!

لم تنتظر بثينة لفهم ما تعنيه جملتها، سرعان ما ركضت نحو السيارة

متجاهلة نداء بسمة التي تركض خلفها لتلحق بها.

بينما في ذلك المنزل، كانت ماريا لا تزال تراقب أختها، أو بالأصح

جسد أختها بينما الأخرى تنظر إليها بهدوء وثبات مريب دون أن ترمش

عيناها.

كان الصمت مرعبًا، حتى أوشكت روح ماريا على الهرب بعيًدا، ولكن ذلك الجسد ظل متمسكًا بها بكل قوته. أفسدت الضحكات التي تخرج بصوت رجولي مرعب من جسد مريم ذلك الصمت.. كانت ضحكات ساخرة وكأنه يشاهد مشهدًا مضحكًا أمامه.

ثم قال لها:

- تلك الأم، والدتك.. رغم غضبي منها لكنها تضحكني أحيانًا.

بصوت يرتجف رعبًا

- هي والدتنا نحن الاثنتين، ليست والدتي فقط.

اختفت تلك الابتسامة ليتحول وجه مريم لوجه شيطاني مرعب، عيناها تحولت للون الأسود بالكامل ونظراتها أصبحت مليئة بالشر والحقد لدرجة أن ماريا أرادت الهرب لكن الأخرى كانت أسرع منها حيث تقدمت نحوها بلمح البصر لتخنقها بكل قوتها وتصرخ عليها:

- كل شيء حصل بسببك، لقد انهيتِ كل شيء بسبب فضولك وثرثرتك أيتها البشرية البائسة!

حاولت كثيرًا الإفلات لكن يد مريم كانت كالفولاذ، شعرت بأن جسدها قد ارتفع عن الأرض. ظنت أن قصتها قد انتهت بهذه اللحظة



وأن الموت سيأخذها بجانب والدها لكن أحزم تركها قبل أن يفتك بها

وعاد لمكانه وأكمل:

- أعتذر، أخبرتك سابقًا أن مصيرك هو البقاء وحيدة بمفردك بعد رحيل جميع أفراد عائلتك.. لا تقلقي سأكون رفيقًا لك.

ثم عاد للابتسام بخبث مرعب.. كانت تحاول استعادة أنفاسها ممسكةً برقبتها التي أصبحت حمراء. ابتعدت عن مريم وهي تزحف على الأرض باكيةً حتى التجأت إلى الحائط وظلت مستلقية بجانبه دون حراك بينما الأخرى تنظر إليها كما كانت تفعل من قبل بكل هدوء وبنفس النظرة الساخرة التي وضعتها أول مرة.. دون أن ترمش!

دخلت بثينة للمنزل وأصبحت تنادي على ابنتها ماريا بأعلى صوتها وفور أن سمعت ماريا صوت أمها استجمعت قواها وركضت إليها وضمتها بكل ما تبقى لها من قوة وهي تقول:

- أرجوكِ لا تتركيني معها، أرجوك لا تتركيني بمفردي ابدًا.

نظرت الأم لمريم التي كانت تجلس كالملاك في مكانها وكأنها لم تفعل شيئا ابدًا.

انتهى كل شيء

وبقيت وحدي...!

بين ظِلال الذكريات

وصفحات الكتب

بدأ التحضير لمراسم طرد الشيطان من جسد مريم، والغريب في الأمر أن مريم كانت تنظر لكل تلك التحضيرات بهدوء شديد. شعرت بثينة أن هناك شيء خاطئ، كيف له أن يبقى هادئًا هكذا رغم ما سيتم فعله به بعد لحظات. أرادت أن توقف كل شيء، ولكن اختها طمأنتها قائلة:

- هو يدعي القوة فقط، لا تخافي فمحـاسن لم تفشـل بشـيء تفعله مطلقًا.

قاطع تلك المحادثة طرقاتٌ على الباب لتفتح ماريا بأمر من والدتها لتجد وجه الامرأة التي تقف أمامها مليء بالوشوم الغريبة وترتدي عباءة على رأسها دون غطاء وتحمل حقيبة سوداء مهترئة بين يديها وبجانبها طفلة بريئة لا تتجاوز الحادية عشر من عمرها، بينما يقف خلفهم ثلاث نساء معهم أدوات عزف كاملة.

ادخلتهم للبدء بتجهيز كل ما تحتاجه تلك المراسم وفور أن انتهوا من الاستعداد أمرت محاسن أن يتم جلب الجسد المستحوذ من الشيطان، جسد مريم.

لم يتطلب منهم الأمر الكثير من الجهد حيث تقدمت بمفردها وعلى وجهها ذات الابتسامة التي لم تختف منذ تلبُس أحزم الكامل بها. عند

اقترابه من محاسن جلس على الأرض متربعًا باستسلام لتقذف عليه وشاح أبيض مليء بكلمات غريبة رغم كتابتها باللغة العربية لكن من الصعب، بل من المستحيل أن يفهم أي شخص طبيعي ما تعنيه، وعليه لطخات من دماء ذئب اشترته بثينة من أحد الصيادين ونحرته تنفيذًا لأوامر محاسن.

كانت الطفلة التي حضرت مع الساحرة محاسن تجلس في ركن المكان منزوية تنظر لأفعال الجميع بهدوء وخوف من تجمع الناس في المكان. انتهى كل شيء فجأة لتعود مريم إلى غرفتها بمساعدة الكثير من نساء الحي.

تحدق في سقف غرفتها دون أن تحرك ساكنًا كجثة تعانق روحها في لحظات الوداع. تعلم أنه هنا، رغم أنها لم تستطع معرفة أين يكون بالضبط لكن ذلك الشعور الذي ينساب إلى جسدها كلما أقترب منها يجعلها تتأكد أنه هنا في مكان ما.

بدون شعور سقطت من عينيها دمعة تترجم كل ما عانته هذه الفتاة منذ معرفة عائلتها بشأن علاقتها به. نطقت بصوت متعب، باكي:

- أين أنت يا أحزم، أظهر أرجوك.



ليظهر ظل رجل يجلس على طرف سريرها ويقول:

- أخبرتك أن الخلاص من كل هذا هو الرحيل، يجب عليك الرحيل معي.

حركت رأسها نفيًا وهمست بصوت خافت جدًا نتيجة إرهاقها بعد تلك المراسم:

- أرجوك دعنا ننهي كل شيء، أرغب في العيش بسلام.

- وكيف أعيش أنا من بعدك؟ لقد خذلتني يا مريم وكسرتِ قلبي.

- دعني وأعدك أنني لن أتزوج طوال حياتي.. لن يلمس جسدي أحدٌ بعدك لكن أرجوك أتركني.

شعر بالحزن عليها من محاولاتها، ولكن غضبه أكبر فكيف لها أن تفعل به ما فعلته، كيف لها أن تقتله مئات المرات دون أن تدرك فظاعة ما يشعر به فلا أحد يحبها بحجم حبه لها ولا حتى عائلتها. ليأتي بعد ذلك في عقله شيء واحد، هو الموت..

تلبس جسدها بكل سهولة هذه المرة وبدون أي مقاومة تذكر منها بسبب تلك الساحرة وصديقه همام الذي صادف أنه يخدمها. حرك جسدها كلعبة بين يديه ليكسر عنقها بواسطة يديها الاثنتين، كانت ثواني

قليلة لتصرخ بها مريم من شدة الألم، ثم تسقط على سريرها وقد فارقت روحها موضعها وبقي جسدها جثة لا تتحرك في ذات اللحظة. كانت مريم قطعة من قلبه، بل قلبه كله وما فعله يعد موتاً رحيماً لها، بألم لا يتجاوز ثواني معدودة.

شعر بالحزن الشديد وقد تحطم قلبه لكنه يعلم أن هذه هي الطريقة المثلى لثأره على ما فعلته.. إن أردت الخلاص من حب شيء ما عليك إخفاؤه من هذه الأرض وإرسال روحه إلى خالقه.

اختفى من المكان، رحل بعيدًا إلى أعالي الجبال، معتكفًا على نفسه حزينًا يلملم حطام قلبه.

صوت صرخة قوية من غرفة مريم جعلت بثينة وماريا يركضان نحو غرفتها ليجدوا جثتها ملقاة على السرير وعنقها قد كسر بطريقة شنيعة.

صرخاتهم وصلت إلى مسامع جميع أهل الحي وقد حاول الكثيرون إسعافها والذهاب بها إلى أقرب مشفى، ولكن دون جدوى.. تلك الفتاة الصغيرة قد فارقت روحها جسدها منذ فترة.

(3)

خوف لا ينتهي

مرت الأيام.. أصبحت جمرة تخرج في الصباح الباكر تراقب زميلاتها السابقات وهم يتوجهون إلى المدرسة وفي نظراتهم الكثير من السخرية على حالها بينما نظراتها كانت تحوي عشرات الأسئلة.

(عن قدرها الأسود وجميع المصائب التي تحوم حولها، بينما بقية الفتيات في مثل عمرها يعيشون في رخاء وسلام نفسي رغم ضيق العيش السائد في القرية)

أصعب شيء حصل لها وجعلها تشعر بالحقد على والدتها هو منعها من الذهاب إلى المدرسة، كانت تتحمل كل شيء تجبرها عليه والدتها لكن هذا الأمر يصعب عليها. رغم كرهها للمدرسة لكنها ترى ذلك كحقٍ لها لا يمكن لأحد انتزاعه منها، فالعلم والتعلم حق للجميع ومن حق الجميع على الجميع أن يعطيه حقه.

لكنها كانت جبانة جدًا، حيث إنها تخاف الوجه الآخر من والدتها رغم حبها لها. تخاف تلك الابتسامة الباردة التي تضعها والدتها في بعض الأحيان رغم أنها كانت قبل لحظات تحت سطوة الغضب..

تخشى تحول شخصية والدتها التي تتغير في ثواني حيث تنتقل من التعاسة وجلد الذات إلى الرقص والغناء بسعادة مبالغ بها داخل جدران منزلهم المتهالك. أليس غريبًا...؟! ذلك التضاد في نفس الشخص وخلال لحظات وجيزة، حيث تشعر فعليًا أنه يملك روحين في جسد واحد.

في تلك الليلة بدأ السكون يخيم أرجاء المكان وذلك الشعور الغريب عاد إليها ككل ليلة حين ينطفئ نور الشمس عن هذه الأرض، حين كانت محاسن تُعد العشاء وتُدندن بتهويدة سمعتها جمرة من قبل لكنها لم تدرك معانيها، في تلك الليلة أنصتت جمرة إلى كلمات التهويدة التي تخرج مثل شرارات الجحيم من بين شفتي والدتها:

نام.. نام
فأنت في حضن الهمام

من قَتل لأجلك سبعون جان
في بحر يملأه الجفاف

قد لوثته دماء العمام
فمن همام ومن عمام
هم أسياد المكان

نام.. نام
فأنت في حضن الهمام



تقدمت نحوها وقالت:

- من يكون همام وعمام الذين ترددين اسماءهم دومًا في تهويدتك؟

توقفت والدتها عن فعل ما تفعله وبقيت مكانها ثابتة لا تتحرك مولية جمرة ظهرها، ثم عادت مجددًا لتقطيع الخضروات وترديد تلك التهويدة مجددًا.

شيئًا فشيئًا بدأ صوتها يتغير ليصبح أكثر خشونة وحدّة ويديها تتحركان بسرعة غريبة لتقطيع تلك الخضروات. تراجعت جمرة عدة خطوات للوراء وحاولت أن تستذكر بعض الآيات التي تعلمتها في مدرستها، ولكن.. كأن هناك شيئًا ما يربط لسانها ليمنعها من النطق فظلت تنظر إلى والدتها برعب وقلبها يكاد يخرج من مكانه.

في تلك اللحظة توقفت محاسن وحل السكون في أرجاء المكان لتلتفت إلى جمرة، كان المنظر مخيفًا في تلك اللحظة، حتى تمنت جمرة الموت على أن ترى ذلك المنظر، لقد كانت تلك المرأة تشبه هيئة والدتها من الخلف، ولكنها من الأمام مثل مسخ مخيف لا يمكن لك تخيل شكله.

عيناها سوداء بالكامل بينما فمها كان ممزقًا من أطرافه وتمت إعادته بواسطة خيوط سوداء مغمسة بالدماء.

كانت تقترب منها بهدوء شديد وهي تبتسم بينما جمرة تتراجع للخلف على نفس الوتيرة، ولكن في آخر خطوة كانت تخطوها للوراء اصطدمت بالجدار خلفها والذي منعها من الهرب.

فأصبحت مجانين تقترب أكثر وأكثر حتى أصبحت ملاصقة لها لا يفصل بينهما سوى مسافة قصيرة جدًا لتردد بعدها تلك التهويدة الغريبة مجددًا.

نام.. نام

فأنت في حضن الهمام

من قتل لأجلك سبعون جان

في بحر يملأه الجفاف

قد لونته دماء العظام

فمن همام ومن غمام

هم أسياد المكان

نام.. نام

فأنت في حضن الهمام

ثم ابتعدت عائدةً إلى مكانها لتقطيع الخضروات وذلك الصوت المرعب قد تحول مجددًا إلى صوت والدتها الذي عهدته.

ركضت وقتها بكل سرعتها إلى غرفتها وأقفلت الباب عدة مرات لتنزوي في أقصى مكان بعيدًا عن الباب واضعة يديها حول جسدها بطريقة تحاول بها احتضان نفسها بنفسها لتبعث القليل من الأمان لروحها التي تمنت الهرب بعيدًا في تلك اللحظة.

قُرِع باب غرفتها عدة مرات وذلك الصوت الرجولي الذي يخرج من والدتها أصبح ينادي عليها، وعندما لم تستجب له حاول فتح الباب بكل قوته حتى ظنت أن هذا الباب المهترئ على وشك السقوط.

بدأت تردد المعوذات كثيرًا، لم تتوقف حتى فتح الباب على مصراعيه، ولكن لم يكن هناك أحدٌ خلفه.

لم تستطع أن تكمل تلك الليلة في المنزل فخرجت إلى الزقاق المقابل لمنزلها وارتكزت على أقرب جدار أمامها. مرت الساعات وهي على حالها حتى شاهدت والدتها قادمة من بعيد وبين يدها الحقيبة التي تحتوي على المواد والأعشاب التي تعالج بها أولئك الأشخاص المسلوبة منهم أجسادهم. حينما اقتربت توقفت أمامها وقالت:

- جمرة، ماذا تفعلين هنا في هذا الوقت؟

أصـــابتها الدهشـــة عند رؤيتها، فإن كانت هي هنا إذًا من تلك المتواجدة بالداخل! لسبب لا تعلمه لم تخبر والدتها شيئًا عما حدث فكل ما قالته وقتها:

- لماذا لم تخبريني أنك ستخرجين هذه الليلة؟ لماذا لم تأخذيني معك!

لم تجب عليها، فقط حاولت مســاعدتها على النهوض من مكانها وقالت فور فتح باب المنزل:

- علمت أنك حزينة بسبب خروجك من مدرستك ولم أرد أن أمزج الحزن الذي في قلبك بالخوف الذي تشعرين به كلما رافقتني إلى تلك المراسم.

رغم دخول والدتها إلى المنزل لم تستطع جمرة بتلك اللحظة التوجه للداخل. شعرت وكأن شيئًا ما يراقبها، خافت من أن يكون ذلك الشيء مازال متواجدًا في المكان وقد يهجم عليها هي ووالدتها دفعة واحدة.

توقفت محاسن عن السير ونظرت إلى ابنتها لتقول:

- ادخلي وأغلقي الباب خلفك، بقاءك في الزقاق وفي هذا الوقت خطير جدًا.



فعلت ما قالته رغم شعورها أن الداخل أكثر خطرًا، وأقفلت الباب ليصدر صوته المزعج.. ولكنها لم تعلق أبدًا.

بعد تغيير والدتها لثيابها وتوجهها للمطبخ لإعداد العشاء شعرت جمرة بالفضول لترى المطبخ هل كان ذلك المخلوق موجودًا بالمكان أم لا؟، ولكن عند دخولها شاهدت كل شيء في موضعه كما تركته والدتها منذ الصباح وكأن شيئًا لم يحدث.

كان الأمر أشبه أن ترثي الروح نفسها.

يوم وراء يوم بدأت جمرة تجن من بقائها في المنزل. حين تذهب والدتها إلى خارج المنزل للقيام بعملها تشاهد ذلك المخلوق الذي يشبهها يقوم بدورها، ولكن بطريقة أكثر رعبًا، مما يجعلها تنعزل في غرفتها أو في الخارج أمام باب المنزل حتى تأتي والدتها وتلاقيها بالكثير من التوبيخ وتذكرها بخطر البقاء ليلًا خارج المنزل، لكنها تفضل الصمت على التبرير لها.

في صباح اليوم التالي، كانت إجازة رسمية لكل طلاب المدرسة وعلمت من صديقتها الوحيدة رُبا أن الفتيات سيجتمعن للعب سويًّا ودعتها للمشاركة والقدوم إلى ساحة منزلها. ركضت جمرة بحماس إلى منزل رُبا بعد وقت من تجهيز نفسها مرتديةً أجمل ما تملك، ذلك الرداءَ الأحمر الذي أهدتها إياها والدتها قبل وقت طويل، ورغم أنه أصبح قصيرًا عليها بعض الشيء لكنه ظل محتفظًا بجماله.

عند وصولها شاهدت الجميع يلعبون (فتحي يا وردة) فأزاحت رُبا مكانًا لجمرة حتى تستطيع اللعب بجانبها وقالت:

- سعيدة جدًا أنك أتيتي، لقد اشتقت إليكِ.

حضنتها جمرة بصمت ثم بدأت اللعب مع الفتيات اللاتي من عمرها وأصغر ببضع سنوات، ولكن بعد فترة من اللعب المتواصل، شعرت بيد تسحبها وتقذفها بعيدًا لتسقط بكل قوة على الأرض وقد جرحت ركبتيها وتلوث ردائها بالرمل والطين. رفعت رأسها لتنظر إلى ذلك الشخص المتسبب في وقوعها لتجد أنها والدة رُبا والتي صرخت في وجهها غاضبةً:

- أنتِ يا ابنة الساحرة إن رأيتك مرة أخرى أمام منزلي وبجانب ابنتي سأقتلك وأعلقك من شعرك أمام مدخل الحي لأجعلك عبرة لوالدتك وأتباعها.

حاولت رُبا الدفاع عن صديقتها قائلةً:

- أرجوكِ يا أمي، جمرة لا علاقة لها بكل شيء تفعله والدتها.. إنها صديقتي رغم كل ما تقولينه.

أمسكت والدة رُبا يد ابنتها بكل قوة وصرخت في وجهها:

- شهور طويلة وأنا أحاول تحذيرك، ولكنك لا تفهمين، إن اقتربتِ منها لن أسمح لك باللعب في الخارج مجددًا، وقد أزوجكِ من أقرب شخص يدق باب منزلنا للزواج منك.



ثم سحبتها إلى المنزل وأغلقت الباب بكل قوتها لينظروا الفتيات نحو جمرة بشيء من الخوف رغم أنهم قبل لحظات كانوا يلعبون معها بكل سلام وطمأنينة:

قذفت فتاة منهم بحجر صغير على وجه جمرة لتجرح حاجبها الأيمن لتنزف وتتساقط قطرات الدم على عينها وقالت:

- ابتعدي من هنا أيتها الساحرة، لا تعودي ابدًا.

وقالت التي بجانبها غاضبة:

- بسببك تمت معاقبة رُبا، هيا ارحلي الآن!

ليبدأ الجميع بقذف الأحجار عليها حتى ركضت من المكان سريعًا وسط صراخهن وسخريتهن منها. توجهت إلى منزلها برداء ممزق لا يكاد يستر شيئًا عدا القليل من جسدها المليء بالكدمات، بينما الدماء تنساب على جسدها نتيجة للجروح التي سببتها أولئك الفتيات.

أولئك الأطفال رغم صغر سنهم إلا أنهم تجرعوا خبث عائلاتهم ومن هم حولهم ليقذفوه على جمرة التي لا ذنب لها سوا تلك العلاقة السوداء بوالدتها محاسن.

فور وصولها إلى منزلها حتى سمعت صوت صرخات أمام المنزل لتجد بثينة، تلك المرأة التي ذهبوا إلى منزلها قبل عدة أيام لعمل مراسم خروج الشيطان من جسد ابنتها مريم.

كانت تصرخ في وجه والدتها وتدعوها بالفاجرة الفاسقة وحليفة الشيطان، بينما والدتها تنظر إليها بدون أي تعبير وتقول لها:

- لا تصرخي يا امرأة، لقد فعلت ما طلبته مني، ولكن ابنتك كانت ضعيفة جدا لمواجهته وفضلت الموت على الدفاع عن حياتها.. ما ذنبي!

- لم تكن ابنتي من قتلت نفسها، بل ذلك الشيطان هو من استحوذ على جسدها وكسر عنقها، لا يمكن أن تكون لابنتي كل هذه القوة على هذه الفعلة الشنيعة بنفسها.. أنتِ السبب في كل شيء فذلك المخلوق لم يكن قويًا جدًا قبل مجيئك، لكن بعد مراسمك تلك أزداد قوة.

في تلك اللحظة نظرت بثينة باتجاه جمرة والشرر يتطاير من عينيها لتتقدم نحوها سريعًا وتمسك بعنقها وهي تقول:

- مثلما قتلتي ابنتي سأقتل ابنتك، سوف أقتلها أمام عينيك.

صرخت محاسن وتحول البرود المرسوم على وجهها إلى غضب وخوف على ابنتها حيث حاولت تخليصها، ولكن بثينة كانت تضغط بكل



قوتها على عنقها وفي آخر لحظة من محاولات محاسن الفاشلة لإبعادها ومحاولة جمرة للحفاظ على حياتها رغم انقطاع الهواء عن رئتيها، شعرت بالخلاص.

لم تعد تمسك بها فسقطت أرضًا، ولكن عند رؤيتها لها وجدتها وقد رفعت من المكان وكأن شيئًا خفيًا يحاول الانتقام ورد الصاع لها. صارعت للبقاء على قيد الحياة والتقاط القليل من النفس رغم الرعب الذي تغلب عليها، في تلك اللحظة قالت محاسن:

- اتركها يا همام!

لتُقذف بعيدًا وتنهض بصعوبة هاربة من المكان. في تلك اللحظة شعرت جمرة بالاختناق وبكت، لقد تيقنت أن والدتها ليست إلا ساحرة تدّعي التديّن لا أكثر ورغم محاولتها مساعدتها على النهوض وسؤالها عمن فعل بثيابها ما فعله لكنها ابتعدت وقالت رغم ألمها:

- اتركيني أرجوكِ، فكل ما قالوه أولئك الناس عنك كان حقيقة.

قبل أن تقول محاسن شيئًا تبرر فيه موقفها أمام ابنتها ركضت جمرة بعيدًا عن المنزل وذهبت وحيدة إلى باحة صغيرة خلف منازل القرية تطل على وادٍ جاف. حيث الرياح تلاعب شعرها وشعور السكون يتغلغل

داخل قلبها. جلست على أول كرسي قابلها لتضم قدميها على صدرها وتنظر نحو السماء التي اكتست رداءً أسود مليء بثقوبٍ لامعة.

كان الوضع كئيبًا في تلك اللحظة، والحزن قد تربع داخل قلبها إلى أن فاض به. كم ودت لو أنها تستطيع انهاء حياتها مثلما حصل لمريم تلك الفتاة المسكينة، الهرب أحيانًا هو الحل الوحيد لكل البؤس الذي يحوم حولك.

بعد وقت لاحظت جلوس شخص بجانبها، في الواقع كانت تعلم دون أن تلتفت أنها والدتها والتي يتضح من أنفاسها المتلاحقة أنها كانت تركض باحثة عنها، وفور جلوسها قالت:

- لا تحكمي على الأشياء من الخارج يا جمرة.

لم تنظر إليها، بل قالت ونظرها مازال في الأعلى حيث السماء بكل ما تحتويه وغمغمت:

- لم أحكم عليك بلا دليل، فكل شيء حصل أمام عيني.

- ليس كل ما يظهر أمام عينيك هو الحقيقة، قد تخفى خلفها مئات الأسرار التي لا تستطيع الأعين تفسيرها.



نظرت في تلك اللحظة نحو وجه والدتها لعلها تشاهد شيئًا واحدًا يدل على كذبها، ولكنها ولأول مرة تشعر ببراءتها وصدقها الذي لم تلاحظه منذ ولادتها.

لم تستطع الاستمرار بالجدال معها أكثر من ذلك وعلمت أنها لن تتركها في هذا المكان وحدها وستبقى معها طوال الليل فقالت:

- دعينا نعود إلى المنزل، وأرجوك لا تتحدثي معي ولا تفعلي من أجلي أي شيء فقط دعيني أبقى بمفردي.

(4)

نبوءة الشيطان

سمعت خالة مريم صوت طرقات قوية على باب منزلها لتركض نحوه مسرعة وهي تحدث نفسها متمنية ألا يكون وراء كل هذا الازعاج أمرًا مربكًا.

فور أن فتحت الباب وجدت أختها بثينة تبكي بشكلٍ مثير للشفقة بينما عباءتها كانت مليئة بالأتربة وكأنها ليست ذات الأخت التي تعرفها.

أدخلتها وقالت لها:

- أخبريني ما الذي حصـــل لك؟ هل وقعتي عند قدومك؟ ثم ما الذي أتى بك بهذا الوقت فجأة، كنت سآتي إليك غدًا صباحًا!

أجابتها وهي تحاول تمالك نفسها والتوقف عن البكاء:

- ذهبت لتلك الساحرة محاسن للانتقام منها عما فعلته بابنتي، أردت قتل طفلتها لتشعر بنفس الشعور الذي يمزق قلبي، ولكنها استعانت بتلك الشياطين الخبيثة ففعلوا بي ما تشاهدينه الآن.

ضربت بسمة وجهها بيدها وهي تقول مقاطعةً لها:

- لماذا فعلتي ذلك!! ستنتقم منك.. لن يمر ما فعلته مرور الكرام يا بثينة.

ثم نهضت من مكانها وأكملت:

- انا لن أتدخل في ذلك ولست موافقة على الشيء الذي فعلته.

أصبحت تصـــرخ في أرجاء منزلها وكأنها تحـــادث أشخاص غير مرئيين:

- أتسمعوني ليس لي علاقة بها.. أنا لا دخل لي بما فعلته.

نهضت بثينة أيضًا من مكان جلوسها وقالت بينما ملامح وجهها توضح خيبة أملها بمن ظنتها ستقف معها رغم كل شيء ثم وكأن ذاكرتها قذفت بها نحو زوجها وأخيه، من تخلى عنه في حاجته وها هي هذه الأخت تكرر فعلته بها.. وكأن الزمن قد كتب لهؤلاء الزوجين ذات الخذلان والشعور لتقول بعدها:

- أتتخلين عني خوفًا من أولئك الشياطين يا أختي؟

- أخاف على ابنائي يا بثينة.. أكثر ما أخاف عليه هو أبنائي، فانتقام تلك الشياطين التي نتحدث عنها شنيع جدًا وسيلحقون الأذى بي أنا وأطفالي.. أرجوك اخرجي من منزلي ولا تقتربي منه ابدًا.

لم تصدق بثينة ما تقوله أختها لها حيث ظنت أن الإخوة يساندون بعضهم في جميع متاهات الحياة وصعابها، ظنت أن الحياة إن وقفت أمامها بكل من عليها فأختها ستقف معها في وجه الجميع للدفاع عنها. لم تستطع التحدث أو العتاب فكل ما فعلته وقتها هو جمع المتبقي من كرامتها المتناثرة والرحيل بصمت بعد أن ألقت نظرة أخيرة على أختها التي خيبت ظنها.

في طريقها نحو سيارتها التي تنتظرها في بداية القرية. شعرت بحركة قريبة منها، كأن شخصًا يتتبعها، نظرت للوراء فلم تجد أحدًا.

شعرت بالخوف يسيطر عليها شيئًا فشيئًا لتتذكر كلمات أختها قبل قليل..

" لن ينتهي الأمر هكذا فقط، سوف ينتقمون "

لتتسارع خطواتها لعلها تصل إلى السيارة قبل أن يحدث مكروهًا لها لكنها توقفت فور سماعها لصوتٍ تألفه وتحبه جدًا، كان صوتًا يناديها قائلاً "أمي".



تصرخ بلهفة

علمت سريعًا من هي صاحبته فأصبحت تصرخ بلهفة:

- مريم، أين أنت يا ابنتي؟

ثم بدأت بإتباع الصوت الذي لازال يردد "أمي" ويبتعد كلما اقتربت منه حتى وصلت إلى بئر قديم جدًا في منتصف مزرعة مهجورة، كل شيء في تلك المزرعة كان ميتًا بالكامل، عدا شجرة كان جزء واحد منها يحمل أوراقًا خضراء، ويعود ذلك لوجود هذا الجزء خارج حدود المزرعة لعله تسلل لينجو بما تبقى منه، والجزء الآخر تجرد من أوراقه لتبقى أغصانه يابسة لا روح فيها.

كانت تشاهد ظهر فتاة تمتلك شعرًا أسود كشعر ابنتها وبعد التركيز أكثر فأكثر أدركت أن الثوب الأبيض الذي ترتديه أيضًا كان كثوب مريم بل من الأساس هو ثوبها الذي كانت ترتديه يوم الحادثة.

ركضت وهي تبكي وتصرخ:

- ظننت أن الموت قد سلبك مني يا عزيزتي.

فور وصولها أدارت تلك المخلوقة وجهها باتجاهها، لقد كان ذلك الوجه مرعبًا، جعل نبضها يتلعثم لا تستطيع أن تخرج حرفًا واحدًا من فمها.

عيناها سوداء بالكامل وابتسامتها مليئة بالخبث الشيطاني بينما تخرج من أصابعها مخالب سوداء لتمسك بعنق بثينة وترفعها بكل سهولة وهمست لها بصوت ثلاث أشخاص يتحدثون في وقتٍ واحد قائلة:

- سيكون الجحيم مكانًا للمستعينين بنا دون الله

يا بثينة.

ثم قذفت بها ناحية البئر على رأسها لتسقط ميتة من حينها في جوفه.

كانت ماريا تجلس في القصر بمفردها منتظرة والدتها التي خرجت منذ ساعات طويلة دون أن تحدد لها وجهتها. شعرت بصوت في علية المنزل وتوجهت نحو الصوت درجة تلو أخرى حتى وجدت أختها مريم تجلس على الدرجة الأخيرة المؤدية للسطح وفور أن تلاقت أعينهم ابتسمت لها بذات الابتسامة الشيطانية التي كانت ترسمها قبل وفاتها.

تراجعت ماريا للخلف محاولةً ذكر اسم الله لكن لسانها توقف عن النطق تمامًا. خرج صوت رجل من جسد أختها موجهًا كلماته لها:

- لقد أخبرتك، أنك ستكونين وحيدة في هذا المنزل حتى يأتي أجلك، لقد أخبرتك وأنا لا أكذب ابدًا.

نهض من مكانه وركض بكل سرعته نحوها لتصرخ وتضع يديها على رأسها خوفًا منه لكنه بتلك اللحظة اختفى وكأنه لم يكن.

سقطت على الأرض وأصبحت تبكي وتضرب رأسها كالمجانين من فرط الخوف، ولكن فور أن خطر شيء واحد في عقلها لتتوقف عن فعل ما تفعله وتهمس بجملة واحدة:

- أمي، لا يمكن أنه يقصد..

مر يومان على الحادثة وبدأت الشرطة في البحث عن بثينة بعد تقديم ماريا بلاغًا عن فقدانها ليجدوها بعد ذلك غارقة في دمائها الجافة في جوف البئر المتواجد داخل المزرعة المهجورة.

لتعلم فور معرفتها بمصير والدتها أن تكهنات ذلك الشيطان صادقة، وأنها ستكون وحيدة في هذا القصر إلى أن تموت وتتعفن جثتها ومن يدري قد لا يعلم عن موتها أحد.

سيخذلك قدرك ذات يوم

ويصيبك ذات الحزن الذي شعرت به

ستبكي كالأطفال متلحفًا سواد قلبك

فهذه الدنيا لا تدوم لأحد ابدًا

أعدك بذلك..

(5)

صداقة لن تنتهي

في يوم من الأيام كانت تمشي في أزقة القرية كعادتها متجاهلةً همس ولمز الجميع حولها، لم تكن تبالي حيث إن كل ما يشغل تفكيرها في ذلك الوقت هو صديقتها رُبا. لم تشاهدها منذ تلك الحادثة رغم رؤيتها لجميع الفتيات يلعبون، الذين بدورهم كانوا يصرخون في وجهها لكي ترحل.

فكرت في شيء جنوني لتفعله، وقد فعلته حقًا متجاهلة العواقب وتحذيرات والدة رُبا وتهديداتها التي ألقتها على مسامعها. توجهت إلى منزل صديقتها رُبا حيث كان الباب مفتوحًا على مصراعيه ومليئًا بالأنوار المعلقة احتفالاً بزفاف اختها الكبرى حسناء والتي تبلغ الرابعة عشر عامًا فقط لا أكثر. فور أن وصلت وشاهدت النساء يدخلن إلى ذلك المنزل وكل واحدة منهم كانت تنافس الأخرى بعدد الأساور الذهبية في معصمها رغم أنها تعلم علم اليقين أنها مزيفة وتعلم أيضا أنهم جميعًا يعلمون أن تلك الأساور مزيفة، لكن متعتهم بتقمص حياة الأغنياء جعلتهم يتغاضون عن كل هذا الزيف والخداع.

توجهت في غفلة من الجميع إلى السطح، ولكن قبل أن تصعد الدرجات الواحدة تلو الأخرى سمعت صوت والدة رُبا وهي تتحدث بالسوء عن والدتها وسط المعزوفات والأغاني قائلةً:

- تلك الساحرة يجب علينا إخراجها من هذا الحي، بسببها الحوادث الشنيعة أصبحت تزداد في قريتنا.. هل سمعتم عن قصة تلك المرأة التي وجدوا جثتها في المزرعة المهجورة؟

بدأ الجميع بمشاركتها الحديث قائلين:

- قال لي زوجي أنه شاهدها في نفس الليلة بالقرب من منزل محاسن.

- أتعلمون أن هذه الساحرة قد تواجدت في منزل المرأة قبل أيام قليلة لعمل طقوس إخراج الشيطان من جسد ابنتها!

قاطعتهم والدة رُبا ساخرة:

- يبدو أنها قد زادت الأمر سوءًا، كم أتمنى لو نستطيع إبلاغ الشرطة عنها.

شعرت جمرة بالغضب من حديثهم عن والدتها، فهي رغم كل شيء لا يمكن أن تسمح لهؤلاء النساء بقول كلمة واحدة سيئة عنها. لم تجد



أمامها سوى لوح الكهرباء لتقوم بإتلافه حتى أصبح المكان مظلمًا، سمعتهم يجوبون في أرجاء المكان يصرخون نتيجة الهلع.

تعلم جيدًا أن سبب صراخهن ليس انقطاع الكهرباء، ولكنه شعورهن بالخوف حيث ظنوا أن شياطين والدتها قد جاءت إليهم للانتقام.

كانت تضحك سخرية منهم وهي تصعد الدرجات مكملةً طريقها نحو سطح المنزل، فهي تعلم جيدًا أن رُبا ستكون هناك، فهي تعشق ذلك المكان وتذهب إليه هربًا من هذه المناسبات الزائفة.

فور وصولها وإغلاق البوابة الخشبية وراءها حتى بحثت عن رُبا وهي تردد:

- رُبا هل انتِ موجودة هنا؟

شعرت بحركة في قفص الحمام وعندما اعتادت عيناها النظر في الظلام لمحتها تجلس بينهم وتحاول إطعامهم بيديها. فقالت:

- ماذا تفعلين هنا في يوم زفاف أختك؟

فور رؤيتها لجمرة خرجت من ذلك القفص وقد امتلئ فستانها الزهري بالكثير من فضلات الحمام ورائحتها، وقالت:

- كيف استطعتِ دخول المنزل دون أن تراك والدتي؟

لتغير جمرة من ملامحها إلى ملامح أكثر شرًا وقالت بسخرية:

- لقد استعنت بشياطين والدتي.

نظرت رُبا إليها بدهشة ثم سرعان ما ضحكت كثيرًا مبديةً إعجابها بمهاراتها التمثيلية فظنت للحظة أنها جادة بكلامها.

جلست جمرة بجوار صديقتها قرب قفص الحمام تتحدثان رغم عودة الإنارات وصوت المعزوفات والأغاني التراثية. شعرت جمرة أن صديقتها حزينة ولا تظن أن السبب هو منع والدتها لها من لقائها، بل هناك شيءٌ آخر يحزنها فسألتها لتقول:

- أشعر بالحزن على أختي حسناء، فرغم اعتراضها على موضوع الزواج إلا أن والدتي أصرت على ذلك وفعلًا حصل ما تريده وما يزيد الأمر سوءًا هو أنها ستزوجها برجل في عمر الخمسين ولديه زوجتان وأختي ستكون الثالثة!

صمتت للحظات ثم أكملت بعينين ممتلئتين بالدموع:

- أخبرتني بأني التالية ولن تنتظر حتى أبلغ الرابعة عشرة، بل سوف تزوجني بأول رجل يأتي إلينا راغبًا الزواج حتى وإن كان ذلك في هذه اللحظة.

شعرت جمرة بالحزن على صديقتها الوحيدة وأختها حسناء، فرغم حظها العاثر لكن على الأقل لم تجبرها والدتها على الزواج في مثل هذا العمر. سخرت من نفسها فمن ذا الذي سيرضى أن يتزوج ابنة امرأة متمرسة في السحر الأسود حد الحرافة.

أرادت مواساتها، ولكنهم توقفوا عن الحديث عند سماعهم لصوت والدة رُبا في الأسفل وهي تقول:

- جاء العريس، العريس جاء.

أصاب جمرة الفضول لرؤيته فتوجهت نحو سور السطح ونظرت إلى الأسفل لتجده رجل في أواخر الخمسين قصير القامة ممتلئ الجسد.

شعرت بالسوء تجاه حسناء التي تعد الأجمل في القرية، وقد ظن الجميع أنها ستأخذ شابًا جذابًا يناسبها، لكن النصيب لا يأتي دومًا مثلما نعتقد.

اقتربت رُبا وفعلت ما فعلته صديقتها ثم نظرت بحسرة بينما أختها تخرج مع زوجها وسط زغاريد وهتاف النساء وغنائهن بينما كان على وجهها المليء بالمساحيق آثار الحزن.

بقيت جمرة برفقة رُبا تحاول مواساتها حتى شعرت بقدوم شخص إلى السطح لتختبئ خلف الباب الخشبي. فتح الباب لتدخل منه والدة رُبا متوجهة إلى ابنتها وهي تصرخ عليها:

- تركتني مع النساء بمفردي أخدمهن بينما أنتِ هنا في السطح بين الحمام!

- أخبرتك من قبل، لا أحب المناسبات، ثم أنها ليست مناسبة سارة لأكون فيها فهي كالعزاء بالنسبة إلى أختي حسناء وكله بسببك.

في عمق تلك المناقشة بين الأم وأبنتها تحركت جمرة على رؤوس أصابعها للهرب دون أن تلفت أنتباه والدة رُبا لها، ولكن صوت إحدى الأخشاب التي ارتطمت بقدمها جعلت الأخرى تلتفت سريعًا لها وتصرخ بغضب:

- أنتِ هنا أيضا يا جالبة الشؤم!

لم تنتظر جمرة لتستمع لبقية الشتائم، بل ركضت بكل ما تستطيع من سرعة إلى الخارج هربًا منها رغم علمها أن رُبا ستكون ضحية لما فعلته.



لم تتوقف عن الركض حتى وصلت إلى منزلها ودخلت سريعًا لتقفل الباب بعدها خوفًا من مجيئها.

غريب هذا الأمر، نهرب خوفًا من الشياطين نحو البشر وعند خوفنا من البشر نعود هاربين بالاتجاه المعاكس نحو الشياطين.

تيقنت وقتها أن البشر ضعفاء، يهربون من أي شيء نحو أي شيء وإن كان هو الهلاك الحقيقي لهم، وعلمت أيضًا أنها هشة كغصن مائل لا يقوى على حمل نفسه فيرتكز على أي سند يحميه وإن كان هشًا بدوره.

معادلة غريبة ومرعبة في ذات الوقت، تسللت داخل عقلها في تلك اللحظات القليلة التي كانت تتكئ بها على ذلك الباب المهترئ.

سكون يملأ المكان لا يغلبه سوى صوت دق الهاون بواسطة والدتها والتي كانت تجهز الكثير من الأعشاب في أكياس لتضعها في حقيبتها السوداء.

توجهت نحوها وجلست بجانبها وهي تقول

- اليوم كان زفاف حسناء من شخص عجوز، هل تعلمين ذلك؟

- أعلم، لكني لست مهتمة.

لم تكن والدتها في تلك اللحظة بمزاج جيد للحديث، بل كانت جمرة تشعر بأنها غاضبة دون أن تعلم السبب لذلك. فضلت التوجه إلى غرفتها ومحاولة النوم رغم قلقها على رُبا.

أشعر أني في العتمة..

عتمة لا نهاية لها.

وفي كل مرة أكافح للخروج منها،

أجدني غارقًا بها أكثر فأكثر..

في اليوم التالي استيقظت جمرة على صوت ضوضاء عالية في غرفتها. حيث شاهدت والدتها عند فتح عينيها تقوم بنفض الغبار من الستائر.

كان شعاع الشمس ظاهرًا من خلف الستار وما إن أزاحتها حتى دخل بكل قوته متوسطًا المكان.

شعرت وقتها بالغضب الشديد فعيناها مازالتا تحتفظان بالنعاس لتقول:

- لماذا تقومين بهذا العمل في هذه اللحظة؟! أريد النوم أرجوك.

لم تجبها، بل أكملت عملها بدون أن تنطق حرفًا واحدًا. لتخرج بعدها من الغرفة وقد تركت بابها مفتوح على مصراعيه. ظنت للحظة أن كل تلك الضوضاء توقفت وستنعم بنوم هانئ، ولكن السكون الذي عاد بعد ما حدث كان مزعجًا أكثر من الضوضاء نفسها.

لم تستطع النوم فنهضت بتثاقل من فراشها وتوجهت نحو المطبخ حيث كانت محاسن متواجدةً به تعد الإفطار، وما إن اقتربت جمرة منها حتى تتفاجأ بالكثير من الأطعمة الشهية في الأرض لتقول سريعًا:

- من أين جلبتي كل هذا؟!



لم تجبها، بل جلست في المقعد المقابل بجانب تلك الأطباق ونظرت لجمرة لتجلس بعدها وتتناول كل شيء من حولها، اللحوم وأنواع الأجبان والعصائر، بل إن بعض الأطعمة لا تتواجد في هذه القرية من الأساس. لم تكن محاسن تأكل شيئًا، بل ظلت تراقب ابنتها بهدوء، ورغم أن جمرة معتادة على تقلبات والدتها من الثرثرة إلى الصمت التام لساعات، بل أيام لكن هذا اليوم كان غريبًا.

شعرت للحظة أنها ليست والدتها، كانت تضع على وجهها ابتسامة بريئة وتظل تتأملها وكأنها لم تشاهدها لسنوات بينما كانت في الأمس تحدثها بشأن زفاف حسناء.

توقفت جمرة عن الأكل لشعورها بالغرابة وقالت:

- هل هناك أمر خاطئ بي، لماذا تراقبيني هكذا؟

لم تتحدث، بل ظلت على حالها فشعرت الأخرى في تلك اللحظة بالخوف، خوف غريب كشعورها بتلك الليلة عند تواجد ذلك المخلوق في المطبخ، لكن ملامح هذه المرأة تشبه والدتها بالكامل.

لا يمكن أن يتشبه المخلوق الغريب بوالدتها بهذه الدقة.. هذا ما كان يدور في عقلها رغم تناقض أفكارها. لكنها تركت الطعام مكرهة وفضلت الخروج من المنزل.

في الواقع، بدأت تشعر أن أزقة القرية التي تسكنها هي المهرب والملجأ عندما تشعر بالخوف الذي يصيبها داخل المنزل.

غريب جدًا، أن تشعر بالخوف من المكان الذي ولدت وترعرعت فيه. أن تشعر بالخوف من مصدر الأمان لك.. والدتك.

خرجت من المنزل وبقيت تتجول بين أزقة الطرقات لا تعلم أين تذهب، فاليوم يعد يومًا دراسيًا أي أن جميع الفتيات يتلقين العلم في المدرسة ومن منعتهن أقدارهن من إكمال دراستهن كحالها كن منشغلات بالرعي وحلب الأغنام.

للحظة واحدة فكرت بالهرب من هنا، الرحيل إلى مدينة بعيدة بمفردها. حيث أقرب مدينة (الطائف) تبعد مقدار ساعتين وقد حفظت الطرق بسبب تنقلاتها برفقة والدتها هنا وهناك لأجل إقامة المراسم الشيطانية في بيوت من آمنوا بقدرات والدتها.

بعد وقت من التأمل في الطريق عادت أدراجها وأدارت ظهرها له هو وكل الأفكار المحيطة حوله.

في طريقها حيث منزلها مرت من أمام منزل رُبا لتجدها تهمس لها من السطح وتطلب منها الصعود لها.



كان الباب مواربًا فدخلت رغم خوفها من والدتها لكنها لم تجدها في طريقها فصعدت للأعلى وفور وصولها إليها حتى حضنتها بكل قوتها وهي تبكي.

قالت جمرة لها:

- ما بك، أكل هذا شوق لي!

- شوق وخوف في ذات الوقت.

لم تفهم جمرة ما تقصده صديقتها بكلماتها فأمسكت رُبا بيدها لتسحبها إلى إحدى السجادات البالية في ذلك السطح وقالت بعد جلوسهم:

- سأتزوج، اليوم..

شعرت جمرة بالدهشة مما قالته، بالأمس كان زفاف أختها حسناء واليوم ستتزوج. غير أنها لم تتجاوز الحادية عشرة فكيف لها أن تتحمل مسؤولية زوج وأسرة كاملة. فتساءلت:

- هل بسبب قدومي بالأمس؟

لتهز رأسها نافيةً وتقول:

- والدتي خططت للأمر منذ أسبوعين ووجدتك سببًا لترمي مسؤولية ما تنوي فعله عليك، لا شأن لك فكل شيء مخطط له من قبل.

- من يكون هذا الرجل، هل هو من مدينتنا؟

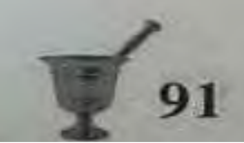
- لا أعلم الكثير عنه، ولكن يبدو أنه في عمر زوج حسناء حيث انه صديقه ويسكن في (المنطقة الشرقية) فهو مهندس في شركة نفط أي انه غني وهذا ما يهم والدتي.

لم تعلم جمرة وقتها ما تقول، هل تواسي رُبا على مصيبتها أم تواسي نفسها على فقد صديقتها ورحيلها من القرية، فأكملت رُبا بعد صمت جمرة لوقت طويل:

- علمت أيضًا أن له ثلاث زوجات وسبعة أطفال أكبرهم في عمر الثامنة عشرة والأصغر في عمر الثالثة.

لم تستطع وقتها النطق سوا بجملة واحدة هي من الأساس ليست مقتنعة بها:

- لماذا لا تأتين إلى منزلنا، والدتك تخاف والدتي كثيرًا ولن تتجرأ على القدوم لأخذك ابدًا.



نظرت إليها ثم سرعان ما ضحكت وقالت:

- أشكرك على عرضك، ولكن لا أريد أن أكون سببًا في زيادة مصائبك، فوالدتي قد تفعل أي شيء من أجل المال ثم لا أظن أن والدتك ستوافق على ما تقولينه.

عجزت جمرة عن قول شيء فاستندت ناحية الحائط وظلت تتأمل السماء بينما توجهت رُبا لإطعام الحمام وتنظيف القفص الخاص بهم قبل الاستعداد لزفافها.

خرجت بعد وداعها من منزلهم وعيناها لا تستطيع الرؤية بها بسبب كم الدموع التي هطلت منها كنهر جاري. كم شعرت بتلك اللحظة بضعفها وضعف صديقتها، وأن الحياة التي كانوا يظنونها في صغرهم كرحلة ممتعة يستعدون لها قد قذفتهم إلى الجحيم على يد أقرب الناس لهم.

مؤلم جدًا، مؤلم إلى حد الرغبة بالموت أن تواجه مصيرًا لم تختاره وتتحمل كل مصائبه وحدك بجناح قد كسر نصفه وجسد مليء بالأذى.

في طريقها للمنزل كان يتقدم باتجاهها رجل بيده سبحة من العقيق الأسود، وكلما يتقدم نحوها خطوة كان يسبح بتلك السبحة ثلاث مرات وعينيه تنظر مباشرة نحوها دون أن ترمش.

كان رجلًا عاديًا يرتدي جلبابًا أسود، ولكن هنالك هالة غريبة تحيط به أشعرتها بعدم الراحة رغم أنها بقيت تمشي بخطوات ثابتة نحوه وهو كذلك.

فور اقترابها منه ومحاولتها العبور بقي واقفًا في طريقها لا يتحرك، كلما حاولت العبور يمينًا أو يسارًا كان يفعل مثلما تفعل لتنظر إليه وتقول:

- يا عم، ابتعد أرجوك.

ابتسم وقال:

- أنا تائه، وأظن أنني في المكان الخطأ، هل تستطيعين إخباري ما اسم هذه القرية!

- قرية (*****) تبعد عن مدينة (الطائف) ساعتين تقريبًا إن استخدمت الحافلة. أشارت بيدها تجاه إحدى الطرق فجلس ليصبح مستوى طوله مقارب لها وقال:

- حقًا، يبدو أنك فتاة ذكية.. تعلمين الطرق رغم صغر سنك، ما اسمك؟

- جمرة.



- اسم غريب، ولكني أحببته.

كانت تشعر بروحها تكاد تهرب منها في تلك اللحظة نتيجة الخوف حيث إنه يتحدث معها وعينيه لا ترمش ابدًا ويده لازالت تحرك أحجار سبحته. كلما رغب بالتحدث إليها، يعيد التسبيح لثواني قليلة ثم يعاود التحدث معها:

- أريني يا جمرة باطن يدك اليمنى.

كانت على وشك فتح يديها بالكامل له، لكن صوت والدتها جعلها تتوقف حيث صرخت بأعلى صوتها من نهاية الزقاق.

- ابتعد يا جابر عنها!

شاهدته يبتسم لها بخبث دون أن يلتفت نحو والدتها، حيث همس لها قبل أن يذهب:

- سيكون لنا لقاء قريب، متأكد من ذلك.

اقتربت محاسن بتلك اللحظة منه وقالت:

- أنت تعلم جيدًا أن هذه المنطقة لي وأن هذه الفتاة تكون ابنتي، كيف تتجرأ على الاقتراب منها وتمارس معها خبثك أيها الحقير.

لم يرد عليها، بل ذهب في طريقه بخطوات ثابتة وهو يسبح بتلك السبحة في كل خطوة يخطوها ثلاث مرات. للحظة أطلقت جمرة العنان لنفسها بالبكاء، حيث لم تعد تحتمل كل هذا الرعب في حياتها رغم صغر سنها. بكت كالأطفال تمامًا لتقترب منها والدتها وتحضنها بكل قوتها، لكنها أزاحتها وهي تصرخ:

- أنت أيضًا مخيفة، أخاف منك ومنه ومن شياطينك يا والدتي.. لماذا يحدث هذا لي؟ لماذا تفعلين كل هذا بي!

جلست محاسن بجانبها وبدأت بالبكاء أيضًا وهي تقول:

- أنا أيضًا أخاف من نفسي، ولكن كل ما أفعله لأجلك فقط.. كل ما أفعله يا عزيزتي لأجل حمايتك، ثقي بوالدتك.

مسحت جمرة الدمع من عينيها وقالت:

- ماذا تقصدين؟ كيف تحمينني باقترابك من هذه المخلوقات!

أمسكت والدتها يدها وقالت:

- دعينا نذهب إلى المنزل، المكان خطير جدًا هنا،

عند دخولهم إلى المنزل وبعد إقفالهم للباب جلست محاسن على إحدى الأرائك في الفناء الخارجي بجانب مجموعة من الحطب لتشعل



النار وتخرج أعشاب كريهة الرائحة من حقيبتها السوداء وتضعها في النار.

ثم انطفئت النار بلحظة واحدة وكأنها لم تكن مشتعلة قبل لحظات لتقول:

- كل ما حدث بسبب والدك..

- لم أفهم، ما دخل والدي الميت فيما تفعلينه!

افهمي كل شيء ولا تسألي فلا يوجد وقت، عندما تشتعل النيران مجددًا في المكان هذا يعني أنهم عادوا للاستماع لنا.. وصدقيني هم يعلمون أني سأقص عليك الآن المحرم علي قوله وسينتقمون..

(6)

حقيقة محاسن

قبل اثني عشر عامًا، كان هناك رجل دميم تفوح منه رائحة العفن. منعزلٌ في منزله وإن أراد الخروج يتوجه إلى الجبال التي تبعد عن قريته ساعات قليلة سيرًا على قدميه دون أن يتعب.

والدته شعرت بالخوف عليه خصوصًا أن ابنها الأخر يسير في حياته بهدوء شديد، لديه عمل يؤمن له قوت يومه وقد كون عائلته الصغيرة.

ظنت أنها إن زوجته سيبتعد عن كل ما يدور من سواد حوله، ومن يدري قد يسلك طريق التدين ويتقرب من الله بعد أن يرزقه بأبناء كأخيه.

لكن كيف لها أن تجد له زوجة والجميع في القرية يخاف منه ويلقبونه بالساحر مالك.

نعم هذا صحيح فذلك الابن الذي ترغب والدته بتزويجه فعلاً شخص محترف في السحر.

رغم علمها بكل ما يقوم به أصرت أن يتزوج فقالت له في ليلة مظلمة بعد أن عاد من تلك الجبال ومعه الكثير من المواد الغريبة، وضعت وشاحها على أنفها لتغطيه من قوة الرائحة الكريهة التي تفوح منه.

- أين كنت طوال هذه الأيام يا مالك!

شعر بالارتباك فور رؤيتها له بهذا المنظر، فهو رغم كل شيء يكن لوالدته الكثير من الاحترام والتقدير ولا يرغب أن تراه يفعل ما يفعله حيث أراد منذ وقت طويل أن يعزل مسكنه عن مسكنها لكيلا تصيبها الاعيب الشياطين.

- كان لدي عمل أقوم به، لماذا لم تخلدي للنوم حتى هذا الوقت؟

نظرت نحوه بشك، ولكنها سرعان ما استسلمت وقالت:

- لا يهم، جهز نفسك سأقوم بتزويجك.

أصابته الدهشة مما قالته، حيث نطق سريعًا:

- تزوجيني ممن وأنتِ تعلمين أقاويل الناس عني.. لن يرضى بي أحد ثم إني لا أرغب بالزواج من أي أحد.

شعرت هتّار بالغضب والحسرة على حال ابنها، ولكنها أصرت أن يفعل ما تقوله إن رغب في الحصول على رضاها قبل موتها. وافق مكرهًا وتمنى في داخله أن ترفضه تلك الفتاة التي اختارتها والدتها له.

في الواقع، كان متأكدًا أن أي فتاة يقع عليها الاختيار سترفضه، حتى لو كانت تعيش في عش وتقتات على الفتات.

وقع الاختيار على فتـاة بعمر الثالثة عشـرة تسكن في إحدى القرى المعزولة عن المدن مع عمها وزوجته. علمت هتّار أن ذلك العم وتلك الزوجة يرغبون بالتخلص منها بأي طريقة وإن كانت تؤدي إلى هلاكها، كل تلك المعلومات حصلت عليها من قريبتها التي تسكن نفس القرية، فثرثرة النساء لا تنتهي ابدًا.

بالفعل تم زواجها من مالك فقد تمت الموافقة في نفس اليوم دون أن يكلف عمها نفسه بالسؤال عنه.

في أول ليلة اقترب مالك من محاسن زوجته وبدأ يردد عبارات لم تفهم منها شيئا فقالت له:

- أليس من المفترض أن تقرأ بعض الآيات ليتبارك زواجنا؟

نظر إليها بغضب وصرخ قائلا:

- في هذا المنزل يمنع عليكِ قراءة القرآن، إن أردتِ النجاة فعليك كبح فضولك أمام كل شيء غريب ترينه..



شعرت بالرعب في تلك الفترة التي عاشتها معه حيث كانت تشاهده يخرج وفي نيته الغياب لمدة شهر كامل ليعتكف في الجبال، ولكن بعد خروجه بليلة واحدة تجده يقف أمامها، وبشكل أكثر رعبًا وقبحًا.

كانت تعلم أن هذا الشخص ليس زوجها مالك، ولكنها ادعت الغباء كي لا تفقد الباقي من عقلها.

بعد فترة من تلك الحياة البائسة والمليئة بالرعب شعرت بآثار الحمل، ومن خوفها على ذلك الطفل الذي ينمو داخلها هربت من منزله متجهة إلى قريتها. حاولت تحصين نفسها حتى لا يقتربون منها، عانت كثيرًا للوصول إلى منزل عمها، ولكن رغم نجاحها بالوصول وطلبها منه أن يبقيها لديه كخادمة وألا يعيدها، لم يستجب لها وأعادها إليه بكل برود.

عادت إلى مالك والخوف متلبسٌ بها حيث كانت نظراته لها مليئة بالحقد. من بعدها أصبحت تلك الإشارات التي كانت تراها حينًا بعد حين تظهر لها علانية حتى شعرت أنها على وشك فقدان عقلها.

بعد فترة شعرت محاسن بآلام المخاض، فصرخت عليه:

- أحضر والدتك، أشعر بالمولود يخرج مني يا مالك.

لم يكن يبالي بصرخاتها، بل كان يجلس بجانب نار أوقدها في الفناء الخارجي ويتمتم بطلاسم لم تفهم محاسن منها شيئًا.

أرادت الذهاب إلى منزل هتّار الملاصق لهم، ولكن نظرة واحدة منه جعلتها تعود إلى غرفتها لتتحمل آلام الولادة وحدها. تركها في تلك الغرفة تصارع الموت حتى سمعت صوت بكاء طفلتها لتبتسم رغم كل الألم الذي شعرت به.

عندها فقط تحرك من مكانه، فتح الباب ودخل. ظنت أن قلبه سيلين عند رؤيته لابنته فقالت:

- أنظر يا مالك، إنها ابنتنا، ابنتك.

أمسك بها رغم خوف محاسن عليها منه ونظر إلى تلك الطفلة نظرة حائرة لا يتضح معناها لدقائق معدودة، ثم سرعان ما أخذها وتوجه بها خارجًا.. نحو الجبل. ركضت خلفه وهي تصرخ وجسدها الواهن يقطر دمًا:

- مالك أرجوك يا مالك أعد إلي ابنتي.

اختفى بلمح البصر وصوت بكاء تلك الطفلة اختفى أيضا لتنهار محاسن وتضرب نفسها وهي تصرخ:

- أرجوك يا مالك أعد لي ابنتي.



كانت تشعر بجمرة تشتعل في قلبها، حقد وحزن لا نهاية له في تلك اللحظة. شعرت بشخص يتقدم نحوها لتلتفت نحو الصوت فتجدها هتّار تنظر إليها بحزن مليء باليأس. ركضت نحو قدميها لتقبلها راجية:

- أرجوك يا عمتي مالك يحترمك كثيرًا، دعيه يعيد إلي ابنتي.

ربتت هتار على ظهر محاسن وقالت لها:

- لا تقلقي سيعود، فقط انتظري.

ثم سرعان ما ذهبت إلى منزلها وهي تتمتم بخيبة أمل:

(كنت أعتقد أنه سيتغير، لكن ذلك الإنسان لن يتغير ابدًا).

تجمعن الجارات حول محاسن رغم خوفهن، لشعورهن بالشفقة عليها، لكنها ظلت تردد بطريقة متواصلة كالمجانين:

- أخذها ورحل.. رحل وأخذها معه.. أخذها ورحل.. رحل وأخذها معه.

طوال يومين وهذه هي الجملة الوحيدة التي تنطق بها، حتى جاء مرة أخرى بابنتها ووضعها في حضنها وقال:

- ها هي ابنتك يا امرأة، والآن أعدي لي العشاء.

نظرت إلى ابنتها فوجدتها هادئة تمامًا، ثم ضمتها نحوها بكل قوتها محاولة إخفائها عن شرور هذا العالم بكل من فيه. بعد وقت من عناقها لابنتها قالت له بعد أن وضعت له العشاء وبدأ بالأكل:

- لنسميها جمرة.

نظر إليها بدهشة ثم سرعان ما ابتسم وقال:

- لكي ذلك..

علمت محاسن بعدها بوقت ليس طويل أنه قدم ابنتهم جمرة كقربان لأجل الحصول على الخدمات المطلقة من الشياطين. كان طامعًا بكل شيء وتلك الشياطين أيضا أكثر طمعًا منه.

أرادت تلك الشياطين الحصول على جمرة بأسرع وقت ممكن، لكنها لا تستطيع، عليها أن تتخلص منه أولًا ثم تتفرد بخدمتها لهم.

بدأوا بالهمس لزوجته محاسن أن تقتله، خيلوا لها أن قتله سيكون مفتاح الفرج والخلاص من العذاب لها ولابنتها، ففعلت. طعنته بكل قوتها على ظهره وكم كان يتلوى في صراع مع الموت، كان يحتضر. اخبرته أنها فرصته للتوبة وعليه حماية ابنته، وذلك بأن يقذف عهوده التي قطعها لتلك الشياطين وينقلها لها.



إن لم ينقل عهوده قبل موته فستنتقل سريعًا إلى تلك الطفلة التي وضعها قربان لهم حال موته، لكن في حال حصول محاسن على تلك العهود سيكون عليهم خدمتها كما كانوا يفعلون مع مالك حتى تموت ليحظوا بعدها بجمرة.

فعل ما قالته رغم سماعه لصرخات شياطينه الغاضبة وخصوصا ذلك الشيطان همام والذي كان مهووسًا بجمرة منذ ولادتها. أراد أن يفعل أي شيء لمنع ما يحدث بتلك اللحظة لكن وبعد أن لفظ مالك آخر أنفاسه وخروج روحه من جسده كانت محاسن قد امتلكت تلك العهود.

كان يقف عاجزًا أمام سيدته الجديدة هو وثلاثة من الشياطين عمام، ريلاس وخاتمة. وصدقني أنت يامن تقرأ هذه الصفحات، تلك الأخيرة أكثر شرًا ورعبًا من الآخرين.

صرخت أمام جثة زوجها قائلة:

- أنا سيدة المكان، وأنتم لستم إلا خدم لي.

لتظهر خاتمة أمام باب غرفة جمرة الحالية وتجلس على عتبتها ببرود شديد، بملامح امرأة عجوز مرتدية حجابًا أسود ولها عينان مليئتان بالسواد قائلة:

- لكن أتعلمين أن هنالك شروط عليك فعلها لبقاء تلك العهود معك يا محاسن؟

- سأفعل أي شيء.

ابتسمت لتظهر أسنانها المتآكلة السوداء وبلحظة واحدة أصبحت بجانبها، تشعر بأنفاسها الكريهة لتغمض محاسن عينيها خوفا بينما تلك الأخرى تهمس لها:

- في جميع الأحوال ستموتين، مثلما قتلتي زوجك سنجد من يقتلك، وسنصل إليها.. نحن لا نحتاجها الآن ونستطيع الاكتفاء بك إلى أن تكبر جمرة.

كانت خبيثة ومرعبة، وكان صوتها كفحيح الأفعى. لطالما كانت محاسن تشعر بالخوف منها فلم تطلبها ابدًا في أعمالها حيث كانت تكتفي بالبقية.

أخفت جثة زوجها في كيس كبير ثم سحبته نحو الجبال التي كان يعتكف داخلها لأيام طويلة بمساعدة شياطينه ثم أبلغت والدته بعدها بأيام أن مالك لا أثر له.

لم تكلف تلك الأم نفسها بالإبلاغ عن اختفائه حيث التزمت الصمت واعتكفت منزلها حتى انتهى نصيبها من هذه الحياة. بينما أخ



مالك انتقل إلى المدينة منذ زمن ولم يكلف نفسه بحضور عزاء والدته أو البحث عن أخيه.

أما بالنسبة إلى محاسن فبسبب خوفها على ابنتها توجهت للكثير من السحرة ومنهم مآثر الأحمد والذي يعد أكبر ساحر في إيران ومن سلالة متمكنة في السحر. كانت تنتقل من دولة إلى أخرى بمساعدة شياطينها دون أن يشعر بغيابها أحد من القرية، أخذت النصيحة منه فنصحها بطلب اتفاق بينها وبينهم بواسطة نفس العهود التي انتقلت لها لإبطال القربان.

فعلت ما قاله ليكون شرطهم أن تمارس السحر الأسود على البشر بواسطة طلبات البشر أنفسهم. بدأت تمارس سحر الربط وجلب الحبيب وأصبحت تفرق بين الزوجين، بل وتقتل بعضهم بادعائها أنها تعالجه، كما فعلت بمريم.

كانت تنفذ الأوامر حيث كان الاتفاق أن تقوم بفعل ألف عمل لأجل أن تنال حرية طفلتها.

(7)

نهاية البداية

في تلك اللحظة عادت النار للاشتعال مجددًا وشعرت جمرة بأن أحدًا يراقبهم. حيث التفتت خلف والدتها باتجاه المطبخ لتجد امرأة ترتدي حجابًا أسود وعينيها سوداء بالكامل، تنظر إليها وتبتسم بطريقة مخيفة.

علمت فورًا أنها خاتمة من وصف والدتها قبل قليل ولم تكن تتواجد في المكان وحدها، بل كان هناك طفل يحمل بين يديه دمية مقطوعة الرأس ينظر إلى جمرة بجمود.. نعم كما توقعت أنه ليلاس، يقف في إحدى أطراف الفناء الخارجي.

وذلك المخلوق المسخ الذي شاهدته من قبل في المطبخ كان يجلس بجانب والدتها وينظر إليها بابتسامته المخيفة.

همست لوالدتها:

- إنهم هنا..

نظرت محاسن إلى ابنتها بصدمة وقالت:

- أترينهم!



أومأت جمرة برأسها إيجابًا لتنهض محاسن من مكانها وتصرخ

نحوهم:

- لم يكن هذا اتفاقنا، طلبت منكم عدم الظهور أمامها حتى أنفذ

جميع عهودي، بقي عمل واحد، عمل واحد أيتها الشياطين.

كانت جمرة تنظر للثلاثة بهدوء حيث خاتمة والطفل ينظرون لمحاسن

بسخرية بينما ذلك المسخ كان يحدق بجمرة وابتسامته المخيفة مازالت

مرسومة على وجهه.

ثم بدأ بالاقتراب منها وهو يتمتم تلك التهويدة اللعينة:

نام.. نام

في بحر يملأه الجفاف

قد لوثته دماء الغمام

فمن همام ومن غمام

هم أسياد المكان

نام.. نام

فأنت في حضن الهمام

لتصرخ بكل قوتها وتضع يديها على أذنيها مانعة تلك التهويدة أن تدخل إلى رأسها. لم تشعر وقتها إلا بيد والدتها تسحبها بكل قوتها للخارج قائلة:

- لا تخافي يا جمرة هو عمل واحد وسننتهي منهم.

في تلك الليلة ظلتا خارج المنزل رغم سماعهما لصوت ضحكات تلك الشياطين وسخريتهم. كان الأمر مرعبًا جدًا حيث شعروا بالعجز من الخلاص، كانت جمرة تشفق على والدتها، فقد تم وضعها في طريق لا يناسبها فقط لتحمي ابنتها.

يجب أن تضحي بنفسك لأجل من تحب حتى وإن كان ما ستفعله سيضر خلق الله أجمع، تلك هي الفكرة التي تؤمن بها محاسن.

لم تلمها مطلقًا، من ذا الذي سيتخلى عن ابنته للشياطين غير مالك.

عند طلوع الشمس اختفت تلك الأصوات من المنزل فقالت محاسن لابنتها:

- انتظري هنا، سأجلب شيئًا من الداخل وسنذهب لفعل آخر عمل لأتخلص منهم للأبد.

- أخاف عليك من الدخول وحدك.

- لن يستطيعوا إيذائي، انتظري وسأعود..

دخلت للمنزل وظلت ربع ساعة ثم خرجت وبيدها تلك الحقيبة السوداء وقالت:

- هيا لنذهب.

ذهبتا إلى الحافلة ودفعت محاسن كل ما تملكه لصاحب الحافلة لتستطيع الصعود على متنها. كان الطريق طويلًا حيث إنهم ذاهبون باتجاه المقابر التي تقع في منطقة بعيدة عن القرية.

في تلك الحافلة الممتلئة بالناس، عندما التقت أبصارهم بمحاسن وابنتها شعروا بالذعر حيث ابتعدوا جميعهم للخلف وتركوا المقاعد الأمامية بأكملها لهم. لم تبالي محاسن بما حصل على عكس جمرة والتي كانت تشعر بالحرج من تلك النظرات المرعوبة بسبب سمعة والدتها

المنتشرة في أنحاء القرية. عند جلوسهم اخرجت محاسن من حقيبتها صورة لم تشاهدها جمرة قبلاً وبدأت بالتمتمة ووضع الإبر على تلك الصورة الموجودة بين يديها. أصاب جمرة الفضول لرؤية تلك الضحية المسكينة لتجدها فتاة جميلة جدًا يبدو أنها في العشرين من عمرها، رغم بشاعة منظر الإبر التي تخترق وجهها، ولكن جمالها لا يمكن إخفاءه.

شعرت في تلك اللحظة بالحزن الشديد عليها وعلى ضحايا والدتها الذين كانوا قبلها، وتساءلت عما حل بهم وأصابهم بعد تدخل والدتها في حياتهم. قطع تفكيرها صوت إحدى النساء تصرخ باتجاههم رغم خوفها:

- ماذا تفعلين أيتها المعتوهة، هل تمارسين السحر في العلن!

كانت تلقي بتلك الكلمات على محاسن أمام الجميع، ولكن الأخيرة لم ترد عليها، بل أكملت ما تقوم به بكل هدوء.

شعرت جمرة من تمتمات الجميع لبعضهم والرعب الظاهر على وجوههم أنهم مستائين وقد يجتمعون على فعل شيء بهم فبدأت تحرك عباءة والدتها وتقول لها:

- توقفي إنهم يروننا، أرجوك توقفي قليلًا..



بدأت أصواتهم تعلوا وطلبوا من سائق الحافلة قذفهم للخارج والبعض منهم أتفق على أن يتم تسليمهم لمركز الشرطة. كل ذلك يأتي على مسامع جمرة الخائفة كالسم ينسكب في أذنيها بينما والدتها لا تفعل شيئًا عدا الاستمرار في عملها وكأنها في عالم أخر بعيد كل البعد عنهم.

توقفت الحافلة ليدخل سائقها إلى منطقة الركاب ويصرخ:

- اخرجا الآن!

ألقت جمرة النظر من النافذة إلى المكان الذي توقف به ولم تشاهد إلا أرضًا جرداء خالية من الشجر والبشر فقالت:

- لقد دفعنا الأجرة بأكملها ومن واجبك أن تذهب بنا إلى وجهتنا.

أمسك بها بكل قوته وهو يتمتم:

- لا أوصل الساحرات ايتها اللعينة.

وقذفها إلى الخارج، أراد وقتها أن يفعل ذات الشيء بوالدتها، ولكن نظرة واحدة من محاسن جعلته هو ومن حوله يقفون ساكنين وعلى وجوههم آثار الفزع، لتنهض بنفسها وتخرج من تلك الحافلة ولسانها لم يتوقف عن التمتمة.

تحركت الحافلة بكل سرعتها مبتعدة عنهم، ولكن بلحظة واحدة انقلبت بطريقة مرعبة جعلت قلب جمرة يكاد يخرج من موضعه، عندها فقط توقفت محاسن عن التمتمة وقالت:

- هيا انهضي لنذهب..

قالت جمرة بصوت مليء بالتوتر:

- هل سنتركهم هنا؟ يجب علينا اسعافهم!

- لقد ماتوا، جميعهم من أكبرهم وحتى أصغر واحد فيهم.

أصاب جمرة الرعب والشفقة عليهم وعلمت أن تلك الشياطين هي من فعلت بهم ذلك. كم ودت أن تفهم ما يفعلونه، هم يرغبون بها بشدة ويعلمون أن هذه المهمة ستكسر لعنة ارتباطها بهم وسيخسرونها للأبد ورغم كل ذلك يساعدون والدتها لإكمال عملها.

غريب جدًا وهذه الغرابة جعلتها تشك في صدق ما قالته لها والدتها.

مشوا خطوات كثيرة حيث حل الظلام عليهم وهم في ذلك الطريق الطويل حتى وصلوا إلى قرية نائية بجانبها مقبرة. تسللوا إلى تلك المقبرة وبدأت والدتها بحفر إحدى القبور وهي تقول:

- ساعديني لننتهي قبل أن ينتبه لنا أحد!



رغم طول المسافة التي قضوها بالمشي لكن جمرة لم تكن تشعر بالتعب مطلقًا. كانت تائهة لا تعلم ما عليها فعله، لكنها بعد لحظات دون وعي منها قامت بمساعدة والدتها وأصبحت تقذف التراب بعيدًا لفتح ذلك القبر وقد تمزق القليل من ردائها وبقي جزء منه عالقا بين الشجيرات الأرضية نتيجة الحفر، ولكنها لم تبالي.

فور أن ظهرت الجثة وضعت محاسن تلك الصورة وبعض اللفافات داخل فم الجثة والتي يظهر أنها قد دفنت قبل أيام لا أكثر، ثم خاطت فمها وأعادت التراب عليها والسعادة مرسومة على وجهها وقالت وهي تحتضن ابنتها:

- لابد أن اللعنة قد كسرت الآن، لقد أصبحنا أحرار يا جمرة..

كادت الأخيرة أن تبتسم رغم كل شيء، ولكن صوت رجل جاء من خلفهم فجأة يصرخ عليهم جعلها تنظر باتجاهه والفزع ظاهر على وجهها. لم يكن رجلًا واحدًا، بل ثلاثة رجال من الشرطة. قال أحدهم:

- ماذا تفعلون هنا!

نظرت جمرة إلى والدتها حيث شعرت بالخوف يظهر عليها أيضًا ثم سرعان ما قالت:

- نحن هنا لزيارة قريب لنا، قد مات منذ زمن.

قال موجهًا كلامه لحارس المقبرة وهو رجل عجوز يقف بعيدًا عنهم بعض الشيء:

- هل تعيش المرأة والطفلة هنا أيها الرجل؟

- كلا، لم أشاهدهم في هذه المنطقة أبدًا.

وجه أحد رجال الشرطة كلامه لمحاسن:

- ما اسم قريبك؟ فهذا الرجل العجوز يحرس المقبرة منذ سنوات ويعلم عن كل شخص موجود هنا.

ظنت جمرة أن الشياطين ستساعد والدتها، ولكن صمت محاسن وقتها جعلها تعلم أنهم قد تخلوا عنها.

تم ابعادهم عن مكان الجثة وبدأ العجوز بالحفر، ولكن لحسن الحظ لم تكن تلك الحفرة ذاتها التي وضعت محاسن داخلها عملها فشعروا الاثنتين بالراحة، ولكن صعقوا عندما وجدوا أن الجثة التي لم يلمسنها تخرج منها لفافة مليئة بالطلاسم السحرية.

علموا جميعهم فور رؤيتهم لذلك العمل أن محاسن ليست سوا ساحرة تقوم بعملها الأسود على هذه الجثة البائسة. بينما نظرات محاسن

وابنتها كانت عبارة عن صدمة حيث إن ذلك العمل لم يكن ذات العمل الذي دفنوه قبل لحظات، بل إن الجثة من الأساس لم تكن ذات الجثة.

همست محاسن نحو ابنتها جمرة بسخرية سوداء

- يبدوا أن الأعمال السحرية منتشرة في هذه المقبرة.

تم امساكها وإدخالها إلى سيارة الشرطة بواسطة اثنين منهم بينما جمرة تم امساكها برفق لتذهب مع الرجل الثالث بسيارة أخرى. فور صعودها معه بكت وقالت:

- أرجوك دعني أذهب معها، لا أريد الابتعاد عنها.

حاولت كثيرًا فتح الباب الموصد لكن دون فائدة فقال لها:

- لا تقلقي كل شيء سيكون على ما يرام، هل هي والدتك؟

اومأت برأسها إيجابًا ليقول بعدها:

- ما اسمك؟

- جمرة.

- اسم غريب..

ثم تحركت السيارة باتجاه المدينة، حيث مركز الشرطة. من هناك بدأت التحقيقات لها ولوالدتها وبينما الأخيرة اعترفت بكل شيء بعينين مليئتين بالدموع أما جمرة كانت تصر على الإنكار خوفًا على والدتها من عواقب الاعتراف.

قال لها رجل يدعى ماجد برفقة احد الضباط:

- تنكرين أنكم كنتم ذاهبون لدفن عمل أسود، أم أنك من الأساس لا تعلمين ماهيته يا جمرة؟

صمتت لبعض الوقت ثم قالت:

- كنا نزور قريب لنا لم نره منذ زمن بعيد لا أكثر.

- وما اسم ذلك القريب؟ صفي لي مكان قبره..

عادت للصمت مجددًا فلا تعلم ما تقول، إن قالت اسمًا عشوائيًا وتم التأكد من أنه غير صحيح فستثبت لهم ظنونهم. لم ينتظر إجابة منها، بل ابتسم وربت على كتفها وقال بعد أن نهض من مكانه:

- يبدو أن حياتك كانت سيئة أيتها الصغيرة، أعدك أن القادم أجمل.



استأذن الضابط للخروج بقوله

- اعتنوا بها، يجب علي الخروج مبكرا فاليوم زفاف اختي مياسم.

بارك له الجميع وتمنوا لأخته حياة هانئة.

شعرت جمرة بحزن شديد، بينما هي ووالدتها يعانون هنالك من يعيش سعيدا ويمارس حياته الطبيعية بذات اللحظة.

(8)

منزل القاصرات

تم أخذ جمرة إلى منزل القاصرات حتى يأتي الحكم النهائي على والدتها الذي أخذ عشرون يومًا ثم صدر القرار النهائي والذي يقضي بقصاصها علانية لتكون عبرة لكل من له يد في هذا العالم أو يملك في داخله الرغبة بالدخول إليه.

علمت جمرة بشأن الحكم من مديرة الدار رجينة حيث قالت لها:

- ابنتي جمرة، هل أنتِ سعيدة بالبقاء هنا؟

- سعيدة، لكني أرغب بالرجوع إلى منزلي مع ووالدتي..

أجابتها رجينة وهي مشفقة:

- في الحقيقة لا اعلم كيف سأقول لكِ هذا الخبر يا ابنتي، ولكن يجب عليّ ذلك وقد طلب مني القاضي اخبارك أن والدتك سيتم إعدامها بسبب ما فعلته واعترفت به.

لم تستطع جمرة النطق من هول الصدمة التي شعرت بها، لم تمر دقائق من تلقيها الخبر حتى سقطت مغشيًا عليها ونبضات قلبها تتسارع بطريقة مرعبة، لتنقل بعدها إلى المشفى وتبقى هناك ثلاث أيام بسبب خطر



حالتها، فكل مرةٍ تستيقظ فيها تصاب بنوبة هلع وتتسارع نبضات قلبها حتى يكاد أن ينفجر.

في الليلة الثالثة نهضت بصعوبة وحاولت الخروج، حيث بعد يوم سيكون موعد قصاص والدتها. تم منعها وإرغامها على البقاء فحالتها لم تسمح لها بالخروج بعد. لم تستطع أن تبقى والموت يقترب من روح والدتها، فهربت في نهار يوم القصاص برداء المشفى الأزرق وبعينين مليئتين بخيبات الزمن.

كانت تترنح يمينًا ويسارًا من شدة هلعها فاليوم سترحل والدتها، رحيلًا ابديًا.. رحيلًا لا رجعة منه، ليس بإمكانها فعل أي شيء لتغير كل هذه الأحداث أو لتهرب هي ووالدتها، وحتى ليس بإمكانها أن تموت معها.

وصلت إلى المكان المنشود حيث تجمع الناس ليشكلوا عائقًا أمامها بلا مشاعر فقط من باب الفضول، فهذه المرأة التي ستموت اليوم لا تعني لهم شيئًا. قالت بصوت بالكاد يخرج منها:

- أرجوكم ابتعدوا، دعوني أعبر بينكم، أرجوكم إنها أمي.

بعد مجهود كبير جدًا استطاعت أن تشاهدها تجلس على ركبتيها ووجهها مغطى بكيس قماشي أسود اللون يشبه لون الحياة في عيني جمرة

تلك الفتاة الصغيرة، بدأت بالركض وقبل أن تصل إلى والدتها تم قطع رأسها بكل قوة ليتدحرج مبتعدًا عن جسدها مسافة بعيدة.

لم تتمالك جمرة نفسها أمام المنظر في تلك اللحظة فصرخت، صرخت حتى خارت قواها وبدأ جسدها بالارتعاش. لم تعد قدميها تحملانها على الوقوف لقد سقطت وأصبحت تحبو باتجاه رأسها ثم اخرجته من ذلك السواد الذي يغطيه وعند رؤيتها لذلك توقفت تلك الآهات التي تخرج منها وفقدت القدرة على النطق وأصبحت تبكي بصمت.

أخرجوها العديد من الرجال وسمعت كلماتهم الجارحة عن والدتها:

- لاحول ولا قوة إلا بالله.

- يقولون أنها ابنتها.

- بئس الأم.

- كيف لها أن تفعل ذلك؟ ألم تفكر في ابنتها قط!

ليتهم يعلمون، ليتهم فقط يعلمون أن هذه الأم فعلت الكثير الكثير لابنتها. فعلت مالم يستطع رجلٌ على فعله، لكنها قبل لحظة فقدت القدرة على الدفاع عنها فصوتها قد رحل معها مودعًا هذه الروح البائسة لتكمل مشوارها بمفردها.



(9)

مغامرة الموت

بعد عدة أيام.. منذ تلك الحادثة وبعد ذلك اليوم المشؤوم لم تغادر سريرها المتواجد في زاوية إحدى غرف الدار. حاولت كثيرًا رجينة أن تجعلها تختلط بالفتيات اللاتي في مثل عمرها لكن دون فائدة.

كانت تمسـك بقلم والكثير من الأوراق لتكتب فيه كلما حادثتها إحداهن هذه الجملة:

(لا أرغب في التحدث مع أي أحد)

كانت تبكي بصمت كلما فتح أحدهم حديثًا معها وإن كان من باب إدخال البهجة على قلبها.

ذات يوم طلبت رجينة من جمرة أن تتوجه لها وتم إرغامها من المسـؤولة سـوزان على النهوض. كان وجهها شـاحبًا مليئًا بالحزن وجسدها قد فقد نصف وزنه نتيجة فقدان شهيتها.

فور دخولها ابتسمت رجينة لها وقالت:

- اجلسي يا جمرة لدي خبر جميل لك.

نظرت إليها بلا مبالاة فلا شيء سيكون جميلاً بعد خسارتها لوالدتها،

فأكملت رجينة ما تريد قوله:

- تحدث معنا اليوم الشيخ ماجد وطلب منا أن نسمح له بأخذك

ليقوم بتربيتك مع أبنائه.

لم تكن تعلم بتلك اللحظة من تقصد رجينة بالشيخ ماجد، ولكن

سرعان ما عادت بها ذاكرتها إلى ذلك الشيخ الذي كان يحقق معها برفقة

إحدى الضباط وهو أيضًا القاضي الذي أصدر الحكم على والدتها

فنهضت بعد أن كتبت على الورق الذي تمسكه بقوة حيث أن القلم انكسر

بين يدها:

(لا أريد أن أذهب معه، أنا سعيدة هنا)

- أعلم أن الأمر ليس هينًا عليكِ، ولكن الشيخ ماجد رجل ميسور

الحال وعائلته لطيفة جدًا، صدقيني ستكونين سعيدة معهم، وأيضًا

أخبرني أنه مستعد لإعادتك إلى المدرسة التي حرمتك منها والدتك، كما

أن لديه ابنة جميلة في مثل عمرك ستصبحان أختان تتشاركان كل شيء.

أصاب جمرة الغضب لتكتب بسرعة بنفس القلم المكسور والذي تناثر حبرة في أرجاء المكتب:

(قلت لك لا أريد الذهاب إلى أي مكان، إن أردت حقًا التخلص مني فلتعيديني إلى منزلي)

نظرت رجينة إلى حالتها بشفقة حتى خرجت جمرة من مكتبها لتعود إلى فراشها. ذلك الملجأ الوحيد بعيدًا عن فضول الناس وأعينهم، وبلا شعور غطت في نوم عميق لتجد نفسها في إحدى الجبال الخضراء ترتدي فستانًا أبيض اللون وتشع من وجهها السعادة. لحظات فقط ليتحول ذلك المكان الجميل إلى أرض قاحلة، وردائها الأبيض قد غطته بقع الدماء بينما تحول وجهها وعاد شاحبًا مليئًا بالضياع.

نهضت من نومها والفزع مرسوم على وجهها، لتلتفت إليها إحدى الفتيات في الغرفة وتركض لتجلب لها كوبًا من الماء وقالت:

- يبدو أنه كابوس.. ذلك الذي جعلك تنهضين في هذا الوقت.

تناولت جمرة كوب الماء منها وشربت القليل وأشارت إلى معصمها بيدها لتستعلم عن الوقت. لتجيبها الأخرى:

- إنها الثانية بعد منتصف الليل.

حاولت جاهدة العودة للنوم في تلك الليلة لكنها لم تستطع، وفور أن فتحت عينيها شاهدت بعض الفتيات يتسللن إلى الخارج. لتكتب على الورقة:

(أين سيذهبون في هذه الساعة)

نظرت تلك الفتاة إلى الورقة لوقت طويل، ففي الليل تأخذ المشرفات جولة على جميع الغرف ويغلقن الأنوار حتى يناموا في الظلام، قالت فور أن أتضح لها المكتوب بصعوبة:

- سيتوجهون إلى إحدى البيوت المسكونة في نهاية الحي، بما أنهم مراقبون صباحًا وممنوع علينا الخروج بدون أحد البالغين قرروا الهرب ليلاً والقيام بمغامرة لا أعلم نهايتها.

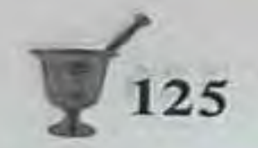
أنتاب جمرة الفضول فكتبت سريعًا:

(لنذهب معهم إذًا)

- هل جننتِ؟ حالتك لا تسمح ابدًا بالنهوض من السرير فما بالك بمغامرة كهذه!

كتبت:

(لدي رغبة في مواجهة أكبر مخاوفي وأعتقد أن هذه الفرصة مناسبة لي)



نظرت لتلك الفتاة بانتظار موافقتها، لكن الأخرى فضلت الصمت لتقفل جمرة النقاش بكتابة:

(إن أردتِ ابقي هنا، أما أنا سأذهب معهم)

اتضح التوتر على وجه حواء، ولكن في نهاية المطاف قالت:

- طلبت مني السيدة رجينة أن أهتم بك لذلك علي البقاء معكِ أينما تذهبين.

ابتسمت جمرة لها ونهضت لتلحق بأولئك الفتيات وحواء تتبعها مضطرة. توجهن للبوابة الخلفية من الدار وقد كانوا ثمان فتيات وقتها بقيادة واحدة منهم وتدعى سارة تم فتح البوابة المغلقة ليركضن جميعًا بعدها إلى الخارج باتجاه طريقٍ وعر.

كان الأمر جنونيًا لكنها أحبته، أحبت شعور المغامرة برفقة أشخاص لا تعرف عنهم الكثير، رغم خبرتها الجيدة عما يبحثون عنه في ذلك المنزل.

في الواقع، غريب جدًا، كانت متعجبة من نفسها في تلك اللحظة هي التي هربت منهم وفعلت برفقة والدتها المحرمات في سبيل الخلاص منهم، الآن تجد نفسها تبحث عنهم في محاولة منها لانتزاع الخوف من

داخلها. ألم يقولوا إن أردت الهرب من شيء تعمد مواجهته؟ يبدو أن هذا ما ترغب جمرة بفعله.

بعد دقائق بسيطة وصلوا إلى منزل متهالك رغم فخامته. حيث كان يوجد آثار حريق تلبست به الجدران سوادًا. شعرت للحظة فور وقوفها أمام باب المنزل بالخوف ينساب داخل صدرها لتكتب لهم على الأوراق التي جلبتها معها:

(يكفي دعونا نعود أدراجنا)

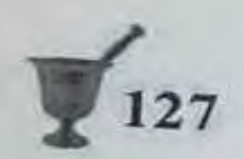
نظرت إليها حواء وقالت:

- هل ترغبين أن نعود أنا وانتِ؟

هزت جمرة رأسها نافية وكتبت:

(يجب علينا جميعًا أن نعود، المكان مخيف وقد يتسبب بقتلكم)

نظرت سارة باتجاه جمرة وسرعان ما صرخت في وجهها مصدرة صوتًا كأصوات الأشباح، متوقعة إخافتها وبالفعل تمكنت من ذلك لتضحك عليها برفقة البقية عدا حواء والتي كانت غاضبة من فعلتهم وقالت لهم:



- جمرة تعاني وأنتم لا تراعون هذا الأمر ابدًا، دعونا نعود الآن وإلا أخبرت السيدة رجينة بما تفعلونه.

سارة بسخرية:

- لم نطلب منكم المجيء، أنتم من حشرتم أنفسكم بيننا، إن أردتم الرحيل فلترحلوا، ولكن في حال اخباركم للسيدة رجينة بما نفعله، سنجعل حياتك أنت وهذه الغريبة في الدار جحيمًا.

أرادت حواء الاستمرار في الجدال، ولكن صوت من داخل ذلك المنزل جعل الجميع ينظرون في اتجاه واحد بدهشة شديدة. لقد فتح باب المنزل أمامهم على مصراعيه وكأنه يرحب بدخولهن إليه. لقد كان صوت فتحه شبيهًا بصوت باب منزل جمرة المهترئ تمامًا لتشعر بأن صوت دقات قلبها ازداد قرعها وعقلها يطلب منها الرحيل من هذا المكان في أسرع وقت ممكن.

امسكت ذراع حواء وكتبت لها:

(دعينا نرحل الآن)

في المقابل بقية الفتيات دخلن إلى ذلك المنزل وهم يتضاحكون. نظرت جمرة باتجاه إحدى النوافذ لتجد شخصًا يراقبها من خلاله. عندما ثبتت نظرها نحوه لتحاول معرفة ماهيته، حتى شاهدتها إنها خاتمة تنظر إليها والشرر يتطاير من أعينها لتتراجع جمرة للوراء خطوة تلو أخرى وهي تقول بداخلها حيث إن صوتها يأبى الخروج (لا لا يمكن أن يعودوا).

حاولت حواء تهدئتها، ولكن جمرة ركضت باتجاه الدار بكل سرعتها رغم أنها كانت تسقط كثيرًا والدم ينزف من جسدها نتيجة ارتطامها بالكثير من الأغصان والأحجار القاسية.

كانت حواء تركض محاولةً اللحاق بها وهي تصرخ:

- توقفي جمرة أخبريني ما بك، جمرة أرجوك توقفي!

لم تجد نفسها إلا أمام الباب الخلفي للدار فارتكزت عليه بيديها، ثم نفثت الهواء بكل قوة إلى خارج جسدها وكأنها تحاول إبعاد كل السواد الذي يحوم حولها. فور وصول حواء صرخت في وجهها:

- هل جننتي؟ ما بك.. أخبرتك في حال رغبتك بالرجوع سآتي معك، ولكن لماذا ركضتي هكذا!



لم تستطع كتابة شيء يعبر عن سبب فعلتها تلك، فذلك المشهد مازال عالقًا في عقلها. همست حواء لها:

- هل شاهدتي شيئا لا يجب عليك مشاهدته!

نظرت إليها بتلك اللحظة لتجد الرعب مرسـومًا على ملامحها فأمسكت بقلمها وكتبت سريعًا:

(كلا، شعرت فقط أنني احتاج للذهاب إلى دورة المياه وهذا سبب ركضي)

لم تعلق حواء أبدًا، بل فتحت الباب ليدخلا وتركته مواربًا ليتمكن البقية بعد انتهاء مغامرتهم من الدخول. مرت ساعتان منذ عودتهم وإلى الآن لا أثر للفتيات ابدًا، عندها نطقت بينما جمرة تتقلب على فراشها:

- لقد تأخروا كثيرًا، هل تتوقعين أنهم بخير؟ كتبت جمرة:

(ربما هناك الكثير من العجائب في ذلك المنزل مما جعلهم لا يشعرون بالوقت ابدًا)

- لكن الفجر قريب، ومن عادة السيدة رجينة أن تتفقدنا عند الساعة الخامسة، سيقعون في ورطة فور معرفتها بما فعلوه.

ثم نهضت حواء من سريرها وأكملت:

- علينا العودة إلى ذلك المنزل، يجب علينا تحذيرهم.

كتبت جمرة بيد ترتعش من الخوف:

(لن أعود لذلك المنزل مرة أخرى، لن اعود ابدًا)

عادت حواء تحاول النوم مجددًا، ولكن سرعان ما نهضت وقالت:

- لن أستطيع النوم وتأنيب الضمير يقتلني يا جمرة، يجب علي أن أحذرهم، ثم من يدري قد يصادفن بعض المشاكل في ذلك المنزل.. سأذهب أنا، وأنتِ أبقي هنا.

لم تترك لجمرة أي فرصة للتفكير فعند نهوضها أوقفتها بيدها وأومأت لها برأسها موافقة على الذهاب ومضت معها.

توجهتا مجددًا للطريق المؤدي إلى ذلك المنزل وكلما اقتربتا خطوة شعرت أنها على مشارف هاوية لا قاع لها، تمضي وهي تعلم أن لقاءها بتلك المخلوقات بات قريبًا. شاهدوا ذلك المنزل مجددًا بعد دقائق من المشي ليبدو ساكنًا وكأن لا أحد فيه.

قالت حواء لجمرة:

- ليس من عادة هؤلاء الفتيات الهدوء، حتى وإن كانوا في منزلٍ مسكون.

كتبت الأخرى لها:

(ربما قد خرجوا من المكان وعادوا إلى الدار في هذه اللحظة من طريقٍ آخر)

- لا يمكن، هذا هو الطريق الوحيد.

لاحظوا أن باب المنزل كان مقفلاً، لتقترب حواء منه وتحاول فتحه ليصدر ذات الصوت الذي تمنت جمرة لو تفقد ذاكرتها لنسيانه.

همست لها حواء:

- هيا تعالي..

اقتربت بخطوات مترددة نحو ذلك المنزل، كانت عيناها تنظر إلى النافذة التي شاهدت خاتمة من خلالها قبل ساعتين من الآن، ولكنها في هذه اللحظة كانت مغطاة بالستائر.

أقنعت نفسها أن ما شاهدته قبل ساعتين من الآن لم يكن سوى وهم تخيلته نتيجة تفكيرها المتواصل بهم وقالت في داخلها:

(إنهم جبناء يا جمرة جبناء يجيدون صنع الوهم).

دخلتا يدًا بيد إلى المنزل، كان المنزل يحتوي على ساحة كبيرة في منتصفها مجسم لفتاة تحمل إناء على كتفها. من المفترض أن تكون نافورة ينسكب الماء منها لتزين ساحة ذلك المنزل، وتواجدت الكثير من الغرف في أطرافه وهناك بجانب النافورة الميتة توجد شجرة عملاقة خضراء وكأنها لم تذبل قط وفي أحد أغصانها حبال ملفوفة لتشكل أرجوحة، تبدو وكأنها قد صنعت منذ زمن.

أصبحت حواء تردد بصوت مرتفع:

- هل أنتم هنا يا فتيات، سارة، نور، يا فتيات أرجوكم لقد تأخر الوقت كثيرًا!

لم تجد ردًا سوى ضحكات غريبة من إحدى غرف المنزل، ثم سرعان ما شعروا بشخص يركض لتلتفتا إلى جهة الصوت الصادر من أقدام أحدٍ ما، فإذا هي لفتاة صغيرة بعمر الرابعة ترتدي فستانًا أخضر يبدو باهض الثمن، وتحمل بين يدها دمية، وتدخل لذات الغرفة التي سمعتا صوت



الضحكات يصدر منها، حتى سقطت تلك الدمية من يدها أمام عتبة الباب.

اختفت تلك الفتاة بلمح البصر فكتبت جمرة لحواء:

(هل شاهدتِ ما شاهدته أم أن الوهم قد أصابني بالكامل)

لم تنظر إلى جمرة، بل ظلت تنظر للغرفة التي دخلت تلك الطفلة إليها. علمت جمرة وقتها أن الوهم بهذه اللحظة لم يكن وهمًا، بل كان واقعًا كالكابوس حل عليهم.

لم تتردد مرتين في التوجه نحو تلك الغرفة لتتوقف بعدها أمام الدمية اللطيفة التي كانت في يد الطفلة، ولكن فور أن التقطتها حتى تحولت إلى دمية بشعة مليئة بالثقوب والعفن منتشر عليها، دلالة على أنها في هذا المكان منذ فترة طويلة.

في نفس اللحظة بدأت تلك الأرجوحة بالتحرك رغم أنه لا توجد رياح داخل المنزل. ثم سرعان ما عادت الضحكات مجددًا داخل الغرفة التي لا يفصل بينها وبين جمرة سوى خطوة واحدة. كانت تلك الغرفة كالجحيم رغم أنها لم تستطع رؤية ما في داخلها، ولكن رعبًا غريبًا كان ينبعث من تلك الغرفة دون غيرها مما جعلها تحاول الابتعاد، ولكن:

باءت محاولاتها بالفشل لتجد نفسها تقف في منتصفها أمام ظهر كرسي متحرك. تجلس بجانبه تلك الطفلة على الأرض وتلعب بنفس الدمية التي تحملها جمرة بين يديها بينما هناك من يجلس على الكرسي ويضع يده على رأس الطفلة. كان ظهر الشخص الجالس على الكرسي مقابلًا لوجهها، حيث مشت ناحيته وبدون شعور وضعت يدها على ظهره لتتفاجأ بوجه سارة وقد كان متآكلًا وعلى عينيها آثار الهلع.

ركضت جمرة للخارج نحو حواء، حيث حاولت أن تسحبها بعيدًا ناحية البوابة لكنها لم تتحرك. كان نظرها متجهًا إلى أعلى تلك الشجرة لتنظر جمرة إلى نفس النقطة التي تحدق بها حواء لتجد مشهدًا أقل ما يقال عنه أنه مصدر كل الرعب الموجود في هذا العالم.

كانت جثث الفتيات معلقة بواسطة حبال بالية على تلك الشجرة وعلى وجوههم جميعًا آثار الهلع وكأنهم قبل لحظات من موتهم شاهدوا أعظم مخاوفهم.

هزت جمرة كتف حواء كثيرًا ثم كتبت لها:

(علينا الرحيل)



لم تكن تجيب، بل كانت في حالة صدمة جعلتها تنظر لذلك المنظر بثبات حتى ضربتها جمرة بكل قوتها على وجهها لتفيق ثم سرعان ما بدأت بالبكاء والانهيار على الأرض. لم يكن هناك وقت لكل هذا، لا وقت للانهيار في هذا المكان.

تركتها وركضت لتلك البوابة في محاولة منها لفتحها، ولكنها كانت مؤصدة لا تفتح. طرقت على الباب كثيرًا لعل أحدًا يسمعها، وتمنت لو أن حواء تأتي لمساعدتها، ولكنها لا تجيب.

فالتفتت لها لتجد تلك الفتاة الصغيرة تسحبها من قدمها نحو تلك الغرفة بينما هي تحاول الصراخ، ولكن صوتها لم يكن يخرج من موضعه. في تلك اللحظة تذكرت آية الكرسي، ولكنها لا تستطيع النطق، فكل ما فعلته بمحاولة يائسة منها هي كتابة تلك الآية على الورق عدة مرات وهي ترددها في قلبها، لتنظر لها تلك الفتاة ووجهها قد امتلأ بالغضب.

تركت قدم حواء لتتقدم نحو جمرة، ولكنها لم تستطع وكأن شيئًا خفيًا يمنعها، لتركض الفتاة نحو تلك الغرفة بلمح البصر ليقفل الباب عليها، وفي هذه الأثناء كانت قد فتحت البوابة بدون تدخل من أحد رغم أن جمرة حاولت جاهدة أن تفتحها للهرب منها مسبقًا، ولكن دون جدوى،

ركضت جمرة مسرعة ناحية حواء التي كانت على وشك الموت رعبًا لتمسك بها وتسحبها إلى خارج المنزل.

فور خروجهم من المكان وجلوسهم على أول عتبة تقابلهم كتبت سريعًا لحواء التي كانت على حافة الانهيار.

(لا تخافي يا حواء إنهم جبناء، جبناء يجيدون صنع الوهم)

لا تعلم هل تحاول بتلك الكلمات تهدئة روعها أم أنها تحاول إقناع نفسها بأن تلك المخلوقات أيًا كانت ماهيتها لا يمكنها أذيتهم أبدًا، فكل ما تصنعه يكون وهمًا لا أكثر.

لطالما كانت تخفف قبح المواقف التي تراها وتشعر بهم فيها بهذه الكلمات، لدرجة أنها قد آمنت بها. هم لا يستطيعون أذيتنا ابدًا، بل يزرعون الخوف فينا فنقتل نحن أنفسنا بأنفسنا هربًا منهم.. ذلك ما آمنت به.

(10)

اتهامات باطلة

ظهرت الشمس في ذلك الوقت الذي كانتا فيه عائدتين إلى الدار، ووجدتا السيدة رجينة وحارس الدار والمساعدة سوزان وبعض الفتيات منتشرون في المكان يبحثون عنهم ويبدو على وجوههم القلق.

فور رؤية السيدة رجينة لهم ركضت نحوهم وهي تصرخ:

- ماذا حدث؟ أين كنتم!

لم تستطع جمرة أن تجيبها ولم تستطع السيدة رجينة التحقيق أكثر من ذلك. حيث إن حواء سقطت مغشيًا عليها.

أربع ساعات كاملة في المشفى لتهدئة حواء فبعد استيقاظها أصبحت تصرخ بطريقة هستيرية وكأنها تواجه الشيطان ولا تهدأ إلا عندما يتم حقنها ببعض المهدئات لتعاود النوم مجددًا.

كانت جمرة تقف في ممرات المشفى تستمع لتلك الصرخات وتتلقى النظرات من السيدة رجينة الغاضبة والمليئة بالأسئلة حتى شعرت أنها لا تقوى على تحمل كل ما يدور أمامها.

ذهبت إلى الحارس والذي جاء معهم وكتبت له:

(ارغب بالعودة إلى الدار، هل تستطيع إعادتي)

لم يكن يعرف القراءة، شعر بالربكة وهمّ بالتحدث إليها، لكن صوت السيدة رجينة منعه حيث قالت:

- ابقى أنت هنا وأخبرني كل شيء عن حالة حواء.

ثم نظرت إلى جمرة بغضب وقالت:

- وأنتِ، تعالِي معي.

مشيت خلفها رغم علمها بأن استجوابًا لا ينتهي سيبدأ بعد قليل، ومن يعلم قد تكون نهايتها كنهاية والدتها في ذلك المكان حيث يتجمع الجميع لرؤية ذلك السيف ينحر عنقها.

فور وصولهم إلى حديقة المشفى قالت:

- اخبريني الآن كل شيء، أين ذهبتم وماذا حصل لبقية الفتيات يا جمرة!



لم تعلم ماذا تقول، ولكن فور رؤيتها لأحد رجال الشرطة يقف بعيدًا وينظر إليها كتبت سريعًا لها:

(هل بلغتي الشرطة عني؟)

- أخبرتهم بأن ستة من فتيات الدار لا أثر لهم، وصادف هذا الأمر وجودك في الدار يا جمرة.

لم تكتب شيئًا، إنها تشك بها.. صفعتها بكلماتها وشعرت بخيبة أمل، فلا يمكن أن تجد أحدًا يثق بها بعد وفاة والدتها. ظلت تنظر لذلك الشرطي والرعب واضح على وجهها، لتكمل رجينة:

- أين ذهبتي بالفتيات الأخريات، هل أنتِ ساحرة كوالدتك!

كتبت سريعًا بعد غضبها من تلك الجملة التي سمعتها:

(لست أنا السبب، هن من أردن القيام بمغامرة من باب المتعة فانتهت تلك المغامرة بمقتلهن)

نهضت السيدة رجينة من مكانها وقالت بصوت مرتجف وعينين توشكان على البكاء:

- مقتلهن!

كتبت جمرة في تلك اللحظة كل شيء حصــل من بداية الرحلة حتى نهايتها، ورغم أن ذلك الشـرطي تقـدم لقراءة ما تكتبه لكنها لم تتوقف، بل أخبرتهم بكل التفاصـيل عدا خاتمة تلك الشـيطانة التي كانت تخدم والدتها.

قال الشرطي ساخرًا:

- ما هذا الجنون الذي تخبرينا به الآن أيتها الطفلة؟

كتبت:

(انا لا أكذب، تستطيعون سؤال حواء فهي كانت معي وتعلم صدق ما أكتبه، مؤكد أنكم ستصدقونها على عكسي تمامًا)

صرخت السيدة رجينة في وجه جمرة:

- حواء تلك الطفلة المنهارة والتي لا أعلم أيضًا ماذا فعلتي بها.

(أنا لا أكذب، أذهبوا لذلك المنزل وستجدون جثثهم معلقة على الشجرة)

كم شعرت بأن ذلك الشرطي أراد لكمها، ولكنه في نهاية الأمر أمسك يدها بكل قوته وأخذها معه نحو السيارة في نفس المكان الذي كانت تجلس والدتها فيه في الخلف مثل مجرمة تم القبض عليها.



مجموعة من رجال الشرطة توجهوا إلى مركز الشرطة ليأخذ معه مجموعة من رجال الشرطة ليذهبوا مجددًا ناحية المنزل المسكون. ضربتهم على أكتافهم لينظروا لها ثم بدأت تكتب:

(لا أرغب بالعودة مجددًا لذلك المنزل، أرجوكم اتركوني في المشفى برفقة السيدة رجينة واذهبوا بمفردكم)

لكنهم لم يكترثوا لها ولا لرجفة قلبها الصغير، مؤلم هذا الشعور الذي انتابها بتلك اللحظة. عند انهيار حواء خاف الجميع عليها وعاملها كطفلة لدرجة أنهم لم يحققوا معها مثلما فعلوا بها، بينما هي وفي هذه اللحظة حيث كانت ستهوي من حافة الجنون، لم يعرها أحد أي اهتمام يذكر، فلعنة ابنة الساحرة ستظل تلازمها طالما كانت على قيد الحياة.

توقفوا أمام المنزل المسكون وتم جر جمرة نحوه ليفتح واحد منهم البوابة فتظهر أمام أعينهم جميعًا تلك الجثث في ذات المكان الذي وصفته لهم جمرة، كانت جثث الفتيات معلقة في أغصان الشجرة والتي كانت قاحلة صفراء وكأنها لم تذق المياه منذ سنوات طويلة على عكس ما شاهدته سابقا جمرة.

نظرت جيدًا لهم فشاهدتهم مرتدين فساتين بيضاء ومتزينين ببعض مساحيق التجميل على عكس حالتهم عندما خرجت هي وحواء.

شعرت برعب رجال الشرطة وترددهم، ثم سرعان ما ذهب واحد منهم لنشر الخبر في ذلك المركز فجاءت مجموعة أخرى منهم وبرفقتهم السيدة رجينة والتي فور رؤيتها لذلك المنظر بدأت بالبكاء.

توجهت أصابع الاتهام جميعها نحو جمرة رغم محاولاتها الدفاع عن نفسها والتبرير، لكن دون فائدة. تم التحقيق معها مرارًا والتغيير في الأسئلة ثم إعادتها كما هي، لعلها تخفق وتغير أقوالها، كأنهم بفعلتهم هذه يرغبون بإرباكها، ولكن إجاباتها كانت ثابتة حيث أنها هي الحقيقة.

وضعوها في غرفة مغلقة في الدار حيث تشرف عليها السيدة رجينة والحارس فقط. لم تكن السيدة رجينة ترغب بالنظر إلى وجه جمرة، ولكنها مرغمة على التعامل معها حتى تنتهي القضية لتقذفها بعد ذلك نحو مصيرها.

بعد خمسة أيام من الحادثة، فتح الباب ليظهر منه الحارس وبصحبته ذلك القاضي المدعو ماجد والذي يود أن يأخذها للعيش معه. كانت تشعر أنه في داخله يحمد الله كثيرًا على رفضها الانتقال للعيش معه، ولكنه لم يظهر لها شيئًا من شعوره الخفي نحوها، بل كان يبتسم لها بطريقة لطيفة خالية من المكر.

كان يحمل بيده كيسًا مليئًا بكل ما يشتهيه الأطفال من أنواع الحلويات التي لم تشاهدها في حياتها من قبل وقال لها:

- لا تخافي، فور انتهاء التحقيق في الحادثة التي أعلم جيدًا أنه لا دخل لك بها سآخذك إلى منزلي وستكونين أخت جيدة لابنتي ندى.

في تلك اللحظة سمحت لنفسها بالبكاء، حيث انه منذ زمن طويل لم يهتم أحد بها. الكل أصبح يخاف منها ومن يحاول التودد لها كان بدافع أخذ الأجوبة في لحظات انهيارها، ولكن هذا الرجل، لم يطلب منها الحديث ولم يتوقع ذلك منها حتى. كان شيخًا لطيفًا يحاول أن يزرع بعض السلام داخلها.

أخذت منه ذلك الكيس دون أن تنطق لتشيح بعدها بوجهها المليء بالدموع عنه فخرج من المكان بعد أن ابتسم لها وربت على رأسها بهدوء.

بعد يومين عادت حواء من المشفى وقد تحسن حالها كثيرًا بفضل العناية المكثفة التي تلقتها هناك. بدأت بسرد كل ما واجهوه في تلك الليلة المشؤومة للسيدة رجينة والضابط المسؤول عن التحقيق، ليقفل بعدها ملف هؤلاء الفتيات دون إجابة عن ماهية الفاعل، وتم تسوير كل الأماكن التي تؤدي إلى ذلك المنزل ووضع حراسات مشددة حوله.

(11)

روح بدل روح

قبل ثلاثين عامًا بالتحديد سنة 1382، كانت تلعب في أرجوحتها والخدم حولها يفعلون كل شيء لإرضائها ووضع البسمة على شفتيها. لم تكن كبقية الفتيات في زمنها، بل كانت كأميرة على عرش مصنوع من الذهب. تدعى هدير ابنة سلمان، لم تتجاوز الرابعة في تلك الفترة.

رغم كل ما تمتلكه لم تكن تبتسم قط، بل كان وجهها عابسًا نتيجة إصابة والدتها بمرض لم يلقى له أي طبيب علاج في أنحاء المملكة وحتى خارجها.

كان والدها سلمان مغرمًا بزوجته منى حد الجنون، وعند علمه باقتراب أجلها أصبح يهيم في أرجاء الدنيا بحثًا عن أي طريقة لعلاج محبوبته.

لم يكن سلمان مهتمًا بابنته هدير، بل كان يشعر أنها شؤم دخل حياتهم ليدمرها. منذ ولادتها وحالة زوجته تزداد سوءًا مما جعله يربط قدومها بذلك.



تلك الطفلة كانت تتلقى كل ما تشتهيه نفسها وبجانبها أربعة من الخدم فقط لإشباع رغباتها، لكنها لم ترغب بكل هذا، بل كل ما تريده هو الحصول على القليل فقط من حب والدها واحتواءه.

في تلك الأرجوحة التي صنعتها لها الخادمة مانيرا، كانت تفكر بطريقة طفولية هل يعقل أنني أخطأت في شيء ليعاملني والدي بكل هذا الجفاء.

شعرت تلك الخادمة بشرودها فقالت لها:

- بماذا تفكرين يا صغيرة؟

- لماذا والدي يكرهني هكذا، لم أذكر أني فعلت شيئًا خاطئًا من قبل.

ابتسمت مانيرا، وجلست على ركبتيها لتكون قريبة من وجه هدير وقالت لها:

- عزيزتي، لا شأن لك بكل ذلك السواد الذي أصاب والدك، هو فقط حزين على مرض أمك، ومن لا يحزن لسوء حالة من يحب؟!

في تلك الاثناء شعروا بصوت باب غرفة والديها يفتح ليخرج منه سلمان راكضًا وهو يصرخ:

- احضروا الطبيب، الآن!

اثنان من الخادمات خرجتا لإعلام الحارس بضرورة إحضار الطبيب حالًا، بينما مانيرا والخادمة الأخرى حمراء ركضوا إلى الداخل لمعرفة ما حدث.

أصـــاب هدير الفضـــول لمعرفة ما يحدث في الداخل، حيث كانت صرخات والدها وهو يترجى زوجته ويحثها على المقاومة ومحاولات الخادمات لإسعافها.

أمسكت بدميتها بشدة وقفزت من أرجوحتها لتمشي الخطوة تلو الأخرى ببطء حتى وصلت إلى تلك الغرفة. كان وجه والدتها أسود اللون، وتنتفض بطريقة غريبة على السرير وكأنها تنازع الموت.

شعرت بالربكة ودقات قلبها أصبحت أقوى وأقوى، وبدون قصد منها بللت ثيابها ليتسرب ما فعلته على عتبة الغرفة.

لاحظتها مانيرا لتقفل الباب سريعًا في وجهها بعد أن همست لها:

- اذهبي إلى غرفتك يا صغيرة.

لم تستطع التحرك من مكانها من هول ما رأته، فبقيت واقفة في نفس البقعة إلى أن حضرت الخادمتان برفقة الطبيب. قبل دخوله ربت على رأسها وابتسم لها ثم دخل وأقفل الباب بعده. أمسكت يدها إحدى الخدم وابعدتها عن المكان.



في تلك الغرفة وبعد أن فعل الطبيب كل ما يستطيع للتخفيف عن السيدة منى. طلب من سلمان الخروج معه، وفور خروجهم أخبره:

- هذا كل ما نستطيع فعله الآن، للأسف حالتها متقدمة جدًا وقد.. تصمد لبضعة أيام فقط لا أكثر.

- افعل أي شيء تستطيع فعله لإنقاذها وإن كلف الأمر ثروتي كلها.

ربت على كتفه محاولًا مواساته وهز رأسه علامة على عدم قدرته على فعل ما يطلبه منه وأكمل:

- أرجو أن تكون قويًا، من أجل ابنتك.. فهي تستحق.

لم يقوى على سماع تلك الكلمات وإن كانت تعبر عن الحقيقة التي دائمًا ما يحاول تجنبها. خرج من القصر وعقد عزمه على البحث عن حل لدى السحرة بالاستعانة بشياطينهم. هو يؤمن أن لكل داء دواء، وتلك الشياطين لابد أنها تمتلك من المعرفة ما لم تتوصل له البشرية حتى هذه اللحظة.

ذهب إلى أكبر ساحر في المنطقة والذي يدعى مالك ابن شيحان، لطالما كان ينعزل مالك بين الجبال لفترات طويلة جدًا قد تمتد لأشهر، هذا ما جعل أمر عثور سلمان عليه أشبه بالمستحيل.

طلب منه الكثيرون أن يبقى أمام منزله، فهو سيأتي ذات يوم لكنه رفض وقرر أن يذهب بنفسه ويبحث عنه في الجبال التي يعتكف فيها ذلك الساحر.

كان الأمر مرعبًا للكثيرين فتلك الجبال يقال أنها وكر الشياطين والمردة، لكنه لم يكن مهتمًا لكل هذه الأقاويل، فكل ما يهمه في ذلك الحين هو أن يجد حل ينقذ محبوبته قبل انتقالها لعالم الموتى.

حزم أمتعته وشد رحاله إلى تلك الجبال وحيدًا. فور اقترابه شعر بشعور غريب ونسمات باردة تهب عليه، لم يعتدها من قبل في منطقته، وكأنه في بلدة أخرى باردة.

كانت الحشائش والأنهار منتشرة في تلك الجبال رغم أن رؤيتها من بعيد توحي للشخص أنها جرداء موحشة ومليئة بالزواحف السامة.

همس لنفسه لو أن زوجتي بخير لجلبتها إلى هنا لتشاهد هذا الجمال الذي تراه عيناي. بتلك اللحظة نطق شخص من خلفه:

- من أنت، وماذا تفعل هنا؟

نظر للخلف فوجد رجل كبير دميم المنظر، يرتدي ثياب الرعاة وحوله عشرات الخراف التي لم يسمع صوتها قبل لحظات.



تمالك نفسه يحاول السيطرة على خوفه وقال:

- أبحث عن شخص يدعي مالك، لي حاجة عنده وقالوا لي أنه يعتكف هذه الجبال، فهل تعرفه!

تقدم ذلك الرجل الدميم نحو سلمان حتى شعر بأنفاسه الخائفة وهمس له:

- ولماذا أنت خائف؟

علم وقتها سلمان أن هذا المخلوق لا يمكن أن يكون إلا واحد من اثنين، إما مالك نفسه أو أنه أحد شياطينه

لكنه قال بثبات:

- لست خائفا، والآن أخبرني عن مكان مالك إن كنت تعرفه أو امضي في طريقك ودعني ابحث عنه بنفسي:

ضحكات ساخرة خرجت منه لينطق بعدها بصوت غريب أشبه بالحشرجة:

- تقدم للأمام، ومهما تشاهد حولك لا تخف ولا تتردد بالمسير خطوة واحدة، وإلا ستهلك.

ثم اختفى من أمامه وكأنه لم يكن وتلك الخراف أيضًا اختفت معه.

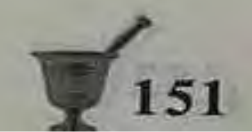
فعل ما طلب منه حيث تقدم في طريقه، كان يستمع لأصوات ضحكات غريبة ثم صرخات، ثم صوتًا كصوت زوجته منى يناديه ويطلب منه الرجوع إليها.

لكنه ورغم أنه أصبح يتصبب عرقًا من الخوف إلا أنه أستمر بالسير في ذلك المسار يومًا كاملًا دون أن ينام أو يستريح لحظة واحدة.

شاهد امرأة في نهاية الطريق ترتدي حجابًا وثوبًا حريريًا أصفر، كانت جميلة جدًا، أشبه بالملاك. توقف للحظات متأملًا جمالها، فنظرت إليه وهي تقطف بعض الفواكه المتدلية من شجرة غريبة، فتلك الشجرة تحتوي على الكثير من أنواع الثمار التي يستحيل أن تجتمع في مكان واحد فما بالك بشجرة واحدة، قالت له:

- هل تستطيع مساعدتي، أحتاج أن أقطف بعض التفاح من هذه الشجرة.

أراد التوجه لمساعدتها، ولكنه تذكر سريعًا ما قاله له ذلك الراعي ليتراجع بعيدًا عنها ويكمل طريقه، أصبحت تناديه وتتقدم إليه حتى



بدأت بالمشي معه خطوة تلو أخرى وهي تعيد ما طلبته أول مرة، ولكنه لم يستجب وقد غض البصر عنها.

تغير صوتها ليصبح مرعبًا وكأنه خارج من حنجرة رجل وهمست في أذنه:

- لقد نجحت أيها البشري.

لتختفي ويظهر أمامه كوخ صغير، شعر عند وصوله له بالسكينة تنبعث داخل قلبه ليعلم أن في داخله ذلك الشخص الذي جاء لأجله. طرق الباب عدة مرات ليفتح بعدها بمفرده ويظهر أمامه رجل يجلس على كرسي خشبي وبيده كتاب وحوله عشرات، بل مئات الكتب الغريبة.

فور أن شاهده سلمان قال:

- هل أنت مالك الذي أبحث عنه؟

نظر إليه ذلك الرجل دون مبالاة وكأنه يعلم بشأن قدومه. وضع الكتاب على الطاولة ونهض مبتسمًا له وقال:

- صحيح، وأنت سلمان، من تبحث عن المعجزات لعلاج زوجتك.

لم يكن ما قاله مفاجئًا للآخر حيث إنه توقع أن شياطينه تهمس له بكل الحقائق من حوله فقال:

- لقد سهلت الأمر بمعرفتك لي، فلا داعي للمقدمات إذًا.

جلس بعدها على الكرسي الوحيد المتواجد في الكوخ والذي كان يجلس عليه قبل لحظات مالك وقال:

- أستطيع أن أعطيك كل ما أملكه لأجل أن تنجو زوجتي وتعيش عمرًا معي، أنت تعلم أني أمتلك الكثير.

ضحك مالك بسخرية نتيجة الهراء الذي صدر منه وأجابه بعد أن أبعد الكتاب عن عينيه، كان كتابًا غريبًا لا اسم لمؤلفه ولا عنوان له.. لقد كان مصنوعًا من الجلد الأسود وعليه رسومات محفورة عليه.

رسمة لفتاة تحمل كتابًا وترفعه للأعلى بيديها، لقد كان كتابًا مقلوبًا، وفي الأعلى رسمة لثلاث أفاعي تعانق بعضها البعض وفوقهم شعاع الشمس، وفي منتصفه عين حمراء كأنها تحدق في حامله.

شعر بالغرابة من الكتاب وقال:

- ما هذا الكتاب؟



- (العرين) مطلب السحرة.

- هل هو كشمس المعارف!

لم يجبه، بل أبعد الكتاب سريعًا عنه ووضعه في إحدى أرفف مكتبته وطلب منه الخروج معه. فور خروجهم شاهد سلمان شيئًا غريبًا جدًا. تلك الحشائش، الأشجار الخضراء، وبرودة الرياح، جميعها اختفت.

تحولت الجبال إلى أرض قاحلة، مليئة بالرياح الحارقة ودوامات تسحب داخلها العقارب والزواحف السامة.

لا يعلم هل هذا الذي أمامه وهمًا صنعته شياطين مالك أم أن ما قبله كان وهمًا وما يراه الآن هو الحقيقة.. نعم إنها حقيقة لا يمكن إنكارها.

قال له مالك مقاطعًا تفكيره:

- هذه الحقيقة، الشياطين تستطيع تزيين ما تراه عينيك لتظن أن الجنة هي مقعدك الحالي، وتستطيع في ذات اللحظة تحويل واقعك إلى جحيم لا تستطيع العيش فيه. ما تراه الآن لا يعد جحيمًا ولا جنة هو واقع لا غير، واقع منطقتنا الصحراء الجافة حتى وإن أوهمتك شياطينك بغيرها سيكون واقعك في النهاية هو واقعك لن تستطيع تغيير كينونته.

- ماذا تقصد بكلامك هذا!

- أقصد أن شياطيني يا سلمان يستطيعون أن يجعلوك تعيش وهم تحسن صحة زوجتك، مثل الوهم الذي عشته قبل مجيئك لي.. وهم لا تفرقه عن الحقيقة لكنه في نهاية الأمر يكون وهمًا.

شعر سلمان بالغضب يتغلغل داخله، كيف للشياطين أن تمتنع عن علاجها ليقول باستياء:

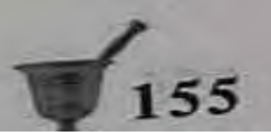
- أليس لكل داء دواء في هذه الأرض، هم الذين عاشـوا آلاف السنين قبلنا، أليسوا هم من يستطيعون التنقل بلمح البصـر من شمال الأرض إلى جنوبها؟

- لكل شيء دواء، عدا الموت، دواء الموت هو الموت نفسه.

لم يقبل سلمان ما قاله هذا الساحر، ولن يقبل أن يترك الموت يأخذ زوجته منه، ولن يستسلم ليعيش في لذة الوهم طوال حياته فهذا أمر لا يمكن له أن يتحمله.

خرج من تلك الجبال خالي الوفاض، حزين، منفطر القلب. لقد فعل كل شيء يستطيع فعله لأجلها، تجاوز كل قيود الدين التي تربطه لأجل إنقاذها، وحتى بعد كل هذا لم يجد علاجًا لها.

أيعقل، أيعقل أن يقبل بأن يسلبه الموت ذلك الحب؟ الحب الذي عاش سنينًا طويلة على أمل الحصول عليه، وبعد أن حصل عليه سيذهب



من بين يديه دون أن يقدر على فعل أي شيء، يالمرارة الحياة، تجلب لك ما تهوى، لتفرح به وتشعر أن الأرض لا تسعك من فرط سعادتك ثم سرعان ما تسلبه منك لتترك قلبك خاويًا منفطراً ينتظر الموت.

توجه لمنزله، ليفتح الباب ويجد الخدم يبكون على عتبة باب غرفة زوجته. لقد كانت جثة لا تتحرك، جثة ملفوفة بقماش أبيض استعدادًا لدفنها.

صعق بعد رؤيته للمنظر، وكأن هنـــاك يد خفيـــة تسدد عشـــرات الطعنات في صـــدره. تقدم إلى غرفتها، وذهب نحو سريرها الذي كانت عليه بخطوات بطيئة، خائفة، مترددة.

وعندما أصبح أمام جثتها، لا يفصل بينهما شيء وضع يده على ذلك القماش الذي يغطي وجهها ليبعده. ليجد وجه زوجته وحبيبته شاحبًا كأنه قطعة من جليد لا روح فيها.

بتلك اللحظة صرخ بكل قوته، وكأنه يحاول بذلك إخراج السواد من داخل قلبه، سواد ألم الفقد الذي حل عليه، سواد الكفر الذي وصل إليه، سواد الحياة في عينيه، سواد الموت، الموت الذي أخذ منه أغلى ما يملكه.

في تلك اللحظة كانت هدير تنظر إلى ذلك الموقف باستغراب وحزن في ذات الوقت، هي لا تعلم ماهية الموت.. كل ما كانت تعلمه أن المرض إن حل على شخص سيرحل عنه عاجلًا أم آجلًا، فلطالما مرضت ولطالما رحل المرض عنها، هذا ما كانت تقوله لها مانيرا كلما سألتها عن حال والدتها.

فور أن وقع نظر سلمان على ابنته صرخ على الخادمات:

- ابعدوا تلك المشؤومة عن وجهي!!

لتبعدها مانيرا بعيدًا عن أعين والدها وهي تهمس لها:

- لا عليك، عزيزتي إنه حزين فقط.

- هل سترحل والدتي للأبد؟

لا تعلم كيف تخبرها بموت والدتها، فهي طفلة في نهاية المطاف، والأطفال لا يعلمون ماهية الموت وإن شرحت لهم، فقالت:

- هي داخل قلبك عزيزتي، رحلت لتستقر داخل قلب ابنتها.

مرت الأيام بعد وفاة منى، وأبح المنزل باهتًا وكأنه ملك للأشباح ولم يعد هناك أي بشر فيه، حرم عليهم سلمان إضاءة الأنوار وفعل كل الأشياء المبهجة في هذه الحياة.



لقد عانت هدير في تلك الأيام وعاشت عذابًا لا ينتهي، كل الأشياء المتعة أصبحت من المحرمات. لقد أمر والدها الجميع بالتعايش مع الحزن للأبد بمن فيهم ابنته.

تلك الأرجوحة تم رفعها فوق أغصان الشجرة، ومنع الماء عن النافورة لتصبح جافة.

لقد سلب الموت روح المكان، وروح ساكنيه، وروح من لا روح فيه!

رغم كل الأوامر الغريبة التي يطلبها وتستجاب له لم يقوى على العيش هكذا، وكأن شيئًا من الجنون قد أصاب عقله. انعزل في غرفة زوجته بين ثيابها وأغطية نومها، يبكي شوقًا إليها. ثم سرعان ما خطرت في باله فكرة، لماذا لا يقبل بالوهم الذي أراد الساحر مالك تقديمه له. أن يعيش وهم وجودها خير له من العيش بدونها.

خرج سريعًا من تلك الغرفة بشعره المبعثر وهندامه الذي بقي على جسده منذ وفاتها، كان أشبه بشخص قد سلب عقله.

خرج من منزله نحو الجبال، حيث يكون مالك، وهو على ثقة أنه ما زال هناك. هو في الواقع لا يعلم كيف يعلم لكن وكأن شيئًا يهمس له بأن يتوجه مباشرة إلى الجبال.

هذه المرة لم يكن هناك أثر للحشائش والرياح الباردة، لقد كانت جبال جرداء قاحلة تفوح منها رائحة الموت.

عبر من نفس الطريق الذي كان قد مشى فيه عندما قدم أول مرة، متجاهلًا جميع الأصوات والتي كانت هذه المرة أكثر رعبًا وشرًا من ذي قبل، شاهد امرأة تحاول قطف الأشواك من شجرة قاحلة لا ثمار فيها وبدأت معه نفس المحادثة التي فعلتها من هي قبلها، ولكن هذه المرة كانت بشعة، بشعة إلى حد لا يفكر به أحد بالاقتراب منها.

- هل لك أن تساعدني؟

لم يكن المنظر مغريًا هذه المرة للاقتراب منها، بل ذهب في طريقه متجاهلًا كلماتها. لتتقدم منه وتهمس له:

- لقد نجحت أيها البشري.

ليظهر أمامه ذات الكوخ، فدخل إليه هذه المرة دون أن يطرق بابه فيجد مالك يجلس في مكانه الذي شاهده به أول مرة وبيده ذات الكتاب (العرين) يتصفحه بشغف واضح.

فور أن نظر مالك نحوه مبديًا تعجبه هذه المرة قال له:

- أرغب بشراء الوهم الذي اخبرتني به.

ابتسم له وقال:

- ولكن، ألم أخبرك يا سلمان أن هناك ثمن لهذا الوهم!

أخرج من محفظته الجلدية رزمة الأوراق النقدية بالإضافة إلى كيس ملىء بالذهب وقال له:

- كلها لك، هذه كل ممتلكاتي وسأجلب لك غيرها إن أردت.

شعر مالك بالغضب من وقاحة سلمان وإهانته لشياطينه فنطق صوت مرعب من داخله:

- ابعد تلك النقود أيها البشري عن أعيننا، أتظن أنك تستطيع شرائنا ببعض النقود، نحن من نجلب النقود لك أيها الغبي.

شعر بالرعب من ذلك الصوت والذي كان شبيهًا بصوت الراعي في رحلته الأولى هنا فقال معتذرًا بعد أن أخفى تلك النقود:

- أعتذر منك، أعتذر منكم جميعًا، أرجوكم تقبلوا اعتذاري وأعفوا عني غفلتي وساعدوني.

ابتسم مالك وعاد صوته لما كان عليه وقال:

- الروح بديل للروح.

- ما الذي تقصده؟

- لكي تستطيع أن تحصل على الوهم، عليك قتل روح لتكون قربانًا للشياطين:

- لدي الكثير من الخدم، أستطيع قتلهم جميعًا.

ضحك بسخرية عليه ثم عاد لهدوئه وقال:

- يبدو أن هذه الشياطين تهمس لي بابنتك، هل اسمها هدير!

شعر سلمان بالصدمة، كيف لهم أن يطلبوا منه قتل ابنته، رغم كرهه لها لكنها في النهاية ابنته، فقال:

- لماذا هدير بالذات، لماذا لا يمكن للخدم أن يكونوا عوضًا عنها؟

- إن أردت شيئًا غاليًا على قلبك، عليك أن تقدم لهم الأغلى.. هذه سياسة الشياطين في عالمهم وعالمنا. ثم لا أظن أنهم طلبوا الأغلى، حسب ما وصلني فإنك لا تحب هذه الفتاة على كل حال، أليست شؤمًا بنظرك يا سلمان!

وافق في نهاية الأمر على طلبات الشياطين وحصل من مالك على كل التعليمات التي سيقوم بتنفيذها ليضمن أن القربان قد سلم بالطريقة الصحيحة.



عاد لمنزله وذهب ولأول مرة إلى غرفة ابنته، لقد كانت نائمة كالملاك وتحتضن بيديها الاثنتين دميتها التي لم تتركها منذ ولادتها.

شعر للحظة بأن عقله يمنعه من هذه الفعلة، لكن قلبه العاشق يطلب منه سرعة إنجاز الأمر ليلتقي بوهم محبوبته.

اختلاف تلك الرغبات في نفس الجسد كان مرعبًا، أن تتأرجح بين الصواب والخطأ فتارة تختار عقلك الذي يمنعك ويدلك على الصواب وتارة تختار قلبك الذي يرجوك سرعة اختيار الخطأ. هو يعلم، في الحقيقة كان يعلم ذلك الرجل الفرق بين الخطأ والصواب، الخير والشر لكنه في نهاية المطاف أختار أن يستمع لقلبه وأن يصبح أنانيًا.

أخرج كل الخدم من القصر وأمرهم بالبحث عن عمل أخر. جميعهم رحلوا دون اعتراض عدا الخادمة مانيرا التي أبت أن تترك هدير بمفردها معه وطلبت منه، بل ترجته أن تبقى معها دون أجر، لكنه رفض رفضًا قاطعًا وسحبها من شعرها ليقذف بها خارج القصر، ثم أغلق الباب بكل قوته على وجهها. لترحل من دون حول منها ولا قوة، والحزن يسيطر عليها خوفًا وشفقة على هدير.

في ذلك القصر، كان يجلس في الفناء الخارجي وبجانبه خنجر حاد، وقماش أبيض.

بعد أن أعلنت الساعة قدوم الثالثة صباحًا حتى ذهب لغرفة ابنته النائمة ليوقظها وقال لها:

- هدير انهضي أرغب بالتحدث معك.

نهضت لتجده ينظر لها بابتسامة مريحة لم تعهدها منه فقالت:

- لماذا أنت هنا يا والدي، وأين مانيرا؟

- ستأتي قريبًا لا عليكِ.

امسك بيدها ثم قبلها على وجنتيها وقال لها:

- ما رأيك أن نتحدث خارجًا، في ساحة القصر.

لتومئ برأسها إيجابًا بحماس وتنهض من فوق سريرها. في تلك الساحة أنزل الأرجوحة وبدأ باللعب معها حتى شعرت أن الحياة قد ضحكت لها ولأول مرة. كان يسألها مرارًا هل ترغبين بشيء فتجيب بما في نفسها فيلبيه لها، ثم يعاود سؤالها:

- هل هنالك شيء أخر ترغبين فيه؟



هزت رأسها نفيًا فأمسك بها ووضع رأسها على حافة البركة في منتصف الفناء وقال:

- سنلعب لعبة، لعبة جميلة جدا يا هدير، ستجلب لنا هذه اللعبة والدتك.

- لقد قالت مانيرا أن والدتي تسكن داخل قلبي الآن، كيف نستطيع إخراجها من قلبي يا والدي؟

ابتسم وقال:

- فقط أغمضي عينيك، وسأخرجها لاعليك.

فور أن أغمضت عينيها نطق، لأجلك يا همام، لأجلك يا خاتمة لأجلك يا عمام ويا ريلاس أرجو أن تقبلوا روح أبنتي هدير بديلًا لوهم زوجتي منى.

ثم سرعان ما نحر رقبتها كما تنحر الأغنام في ليلة العيد. لتمتلئ البركة بالدماء، دماء هدير وعند آخر قطرة سمع صوت حركة داخل غرفة زوجته، ركض إلى الغرفة فوجدها، كما لو أنها لم تمرض يومًا، في أبهى صورها تنظر إليه وتبتسم ليرد لها الابتسامة بمثلها ويحتضنها معبرًا

لها عن شوقه إليها. متناسيًا تلك الجثة الصغيرة في ساحة القصر لأيام طويلة، كان متنعمًا بجوار محبوبته.

بعد مرور الوقت دفنها أسفل الشجرة التي كانت تقضي أغلب وقتها بجوارها، وقبل أن يغطيها بالرمال قذف بدميتها بين أحضانها، لعلها تزيل وحشة القبر عن روحها الصغيرة.

شهور مرت وهو على حاله، منعزل عن البشر، يعيش مع وهمه إلى أن زاده الجنون جنونًا وتلك الصورة التي هيئتها له الشياطين قد أصبحت أقرب للمسخ على أن تكون زوجته.

وكأنه مع جسد بروح مختلفة، أمر مرعب، مخيف، مثير للغثيان. لم يتحمل كل هذا ليعلق حبلًا على غصن تلك الشجرة التي دفن ابنته تحتها ويشنق نفسه بين أنظار وهمه التي ظلت مبتسمة أمامه لا تفعل شيئًا سوى النظر له.

مخيف جدًا

هذا العالم بكل ما يحتويه!

(12)

حياة أخرى

اعتذرت السيدة رجينة بالإضافة إلى رجال الشرطة عن اساءتهم الظن في جمرة رغم أنها طفلة لا تعي من السحر شيئًا. حيث تقدمت إليها السيدة رجينة وجلست بجانبها على سريرها، بعد خروجها من الزنزانة التي وضعت فيها:

- أتستطيعين مسامحتي لعدم الإنصات لك يا جمرة؟

لم تستطع مسامحتها في تلك اللحظة، حيث إنها شعرت بأنها لم تكن سوى جرذ أسود يعيش بين عشرات العصافير ذات الألوان الزاهية، فكلما حدث مكروه لأحد منهم أشاروا إليه فقط بسبب السواد الذي يحيط به.

لكنها لم تخبرها بكل تلك المشاعر التي تصارع للخروج من داخلها، بل كل ما كتبته لها بعد طبع ابتسامة طفولية على وجهها:

(لا عليكِ)

حزمت أمتعتها القليلة والتي تم جلبها من منزلها القديم بواسطة رجال الشرطة، بعد وصولها إلى الدار. ثم رحلت ممسكة بيد الشيخ ماجد والذي وعدها بأن حياتها بأكملها سوف تتغير للأفضل.



في تلك السيارة الفارهة انطلق بها نحو ذات الحي الراقي الذي يكون فيه منزل مريم سابقًا، تلك الفتاة التي قتلها شيطانها العاشق وجاءت والدتها للثأر من محاسن ظنًا منها أنها السبب بكل ما حصل لابنتها.

رغم فخامة منزل مريم إلا أن منزل الشيخ ماجد والذي كان موجودًا في نهاية الحي يعد الأفخم. في الواقع، هذا المنزل يكون أجمل منزل يتواجد في ذلك الحي. كان مكونًا من ثلاث طوابق وحديقة كبيرة جدًا مليئة بكل أنواع الورود.

في تلك الحديقة بستاني يدعى أمير، يرتدي عمامة بيضاء وثوبا أبيض. كان مشغولًا برش الماء على الأشجار حولهم. ناداه الشيخ ماجد ليحضر فورًا فيقول له:

- هل أحضر السائق ندى وليث من المدرسة؟

- نعم يا سيدي، لقد وصلوا منذ ساعة تقريبًا.

- جيد، شكرًا لك.

طلب منها اللحاق به إلى الداخل وفور أن فتح الباب تقدمت باتجاههم امرأة جميلة ترتدي رداء مطرز بالكامل باللون الأزرق وتغطي

شعرها الأسود الحريري بوشاح أسود اللون مطرز بخيوط زرقاء. فور رؤيتها للشيخ ماجد أبعدت الوشاح عن رأسها وقالت:

- ظننتك أمير، حيث إني طلبت منه الاهتمام بالحديقة الخلفية بعد انتهائه من عمله.

ثم نظرت إلى جمرة وقالت بدهشة:

- من هذه!

ابتسم وقال:

- ابنتنا الجديدة.

نظرت إليه بتعجب لتقول له:

- لم أفهم!

- هذه جمرة فتاة يتيمة تبنيتها وستعيش معنا يا مها.

في داخلها الكثير من الأسئلة، لينادي باسم مينا فتظهر خادمة المنزل ليطلب منها أخذ جمرة إلى إحدى الغرف المخصصة للضيوف.

علمت جمرة أنه لم يخبر زوجته شيئًا عنها، فتلك الدهشة التي على وجهها توضح جهلها بكل شيء فعله. توجهت مع الخادمة مينا بهدوء

دون أن تنطق حرفًا.. هي لا تستطيع أن تنطق على أي حال، وفور صعودها إلى الطابق الثاني حتى قالت زوجته مها:

- من هذه يا ماجد؟

- أخبرتك، فتاة يتيمة أردت تبنيها.

- لماذا لم تأخذ رأيي على الأقل، قد لا أوافق على هذا الأمر!

جلس على أول مقعد أمامه وقال بعد ذلك:

- صدقيني يا مها، تلك الفتاة عاشت قصة مؤلمة جدًا، لا أعلم إن كنت سببًا رئيسيًا ببعض الألم الذي تشعر به لكني أشعر بالذنب، ولأجل هذا الشعور أرجوك اقبلي بها أبنة لك فهي مسالمة.

علمت وقتها أن في داخله أشياء لا يقوى على البوح بها ومن باب معرفتها به ربطت ذلك الذنب بشيء يخص عمله فلم تطلب منه المزيد من التفاصيل لتقول:

- سأحاول أن أتقبلها يا ماجد، لأجلك.

ابتسم لها وقال:

- ستحبينها مع مرور الزمن، أنا أثق بذلك.

في الواقع، لم تهتم جمرة لشعور السيدة مها نحوها، فهي منذ طفولتها غير مرحب بها في أي مكان تذهب إليه، لم يكن الأمر غريبًا لتهتم به.

أدخلتها الخادمة إحدى غرف الضيوف وقالت لها:

- هذه غرفتك، استريحي إلى أن يجهز الغداء.

كانت تبتسم لجمرة بطريقة لطيفة، رغم عدم معرفتها من تكون أو هل ستعيش حقًا في هذا المكان أم لا، لكنها تنفذ كل ما يقال لها بانصياع وتقبل شديد.

كانت الغرفة تحتوي على سرير مرتفع جدًا لم تشاهد مثله، حيث كان مليء بالنقوش في أركانه. خزانة الثياب كانت زاهية ومريحة للأعين ممزوجة باللون الأبيض والزهري بطريقة مبهرة جدًا، بينما الجدران كانت باللون الأبيض أيضًا، وكأن هذه الغرفة من عالم أخر بعيد كل البعد عن عالم البؤس والضياع الذي كانت تعيش فيه.

تفحصت كل شيء تقع عليه عينيها غير مصدقة، هل يعقل أن يعيش بعض الأشخاص هذه الحياة المثالية بينما الكثيرون يعتصرهم الجوع حتى الموت على بعد خطوات قليلة من هنا.



فتحت خزانة غرفتها لتجدها فارغة، لا تعلم ما الذي كانت تتوقع أن تراه، الكثير من الثياب التي تناسب مقاسها وكأنهم مستعدون منذ أشهر لاستقبالها!

سخرت من نفسها، وفي وسط سخريتها دق الباب لتدخل منه بعد لحظات السيدة مها وعلى وجهها ابتسامة لطيفة وقالت لها بينما يديها ما زالت تمسك بمقبض الخزانة المفتوحة:

- يبدو أنك تبحثين عن شيء لارتدائه.

شعرت جمرة بالحرج وأمسكت سريعًا بتلك الأوراق التي تحملها معها دومًا وكتبت:

(لدي.. لدي الكثير من الثياب جلبتها معي لكنها في سيارة الشيخ ماجد لم يدعني أجلبها إلى هنا)

أصابت الدهشة ملامح السيدة مها حيث إنها لم تعلم من زوجها أن هذه الفتاة خرساء، فشعرت بالحزن والشفقة على حالها. ما بال المصائب إن تجمعت على شخص لا ترحمه وتقذف في داخله كل سوادها..

خرجت لبعض الوقت من غرفة جمرة دون أن تتحدث وسرعان ما عادت لتفتح الباب بأكمله فتدخل الخادمة محملة بثلاث فساتين تناسب مقاسها ومعها كل المكملات من أحذية وجوارب.

تفحصت جمرة تلك الفساتين بعينيها لتجدها أشبه بفساتين الأميرات تمامًا، وضعتها الخادمة على السرير برفق لتقول بعدها السيدة مها:

- أخرجت هذه الثياب من خزانة ابنتي ندى، ولكن قريبا جدًا سنجلب لك ثياب خاصة بك.

ابتسمت جمرة وأومأت برأسها إيجابًا لتبدأ الخادمة بمساعدتها قبل موعد الغداء، وبعد نصف ساعة بالتمام أصبحت جاهزة لتشاهد نفسها في المرآة وقد تغير شكلها تمامًا وكأنها ليست هي، بل شبيهة لها تعيش في عالم الأحلام الذي لطالما تمنته.

شعرها الأسود الطويل، بدأت بتسريحه بطريقة تناسب وجهها المستدير، ووضعت لتزينه شريطة صفراء كلون الفستان الذي ترتديه. عندها ابتسمت لتظهر بشكل واضح غمازتيها البارزة، حيث إنها منذ زمن لم تشاهدها بسبب الحزن والهموم التي تكالبت عليها.

كم شعرت وقتها أن كلام الشيخ ماجد صحيح وأن اليوم هو اليوم الأول لحياة جديدة وجميلة تنتظرها. شعرت أن الأمنيات التي نتمنى أن تكون واقعًا قد تتحقق لتعيد لنا روحنا التي تاهت من فرط الحزن.

مشت بخطوات بطيئة للأسفل، حيث مائدة الطعام والتي كانت مليئة بكل ما تشتهيه الأنفس. لم تستطع أن تبعد عيناها عن تلك المائدة رغم وصول السيدة مها، وزوجها، وابنائهم ليث، وندى.

بدأ الشيخ ماجد بأخذ مقدمة ليعرفهم على جمرة، ورغم سعادة ندى الواضحة للعيان بوجود فتاة أخرى في المنزل، لم يكن يظهر ليث أي حماس عكس أخته، بل كان ساخطًا متذمرًا يتمتم قرب والدته رغم محاولتها منعه من إظهار ما في جعبته.

لم تكن جمرة تبالي، فكما قلت مسبقًا لم يكن مرحبًا بها من قبل لتتعجب من أسلوبه السيئ تجاهها.

بدأت بالعيش مع هذه العائلة بسعادة غامرة، فكل ما تتمناه تجده أمامها بعد سويعات قليلة من طلبها. لكن الغرابة بدأت تحدث منذ تلك الليلة المشؤومة، حيث فور عودتهم من المدرسة هي وندى، لم يكن ليث معهم فقد كان متعبًا في الصباح فسمحت له والدته بالغياب عن المدرسة.

عند وصولهم مع السائق حسن لاحظوا وجود رجلين تبدو على وجوههم آثار الصلاح والتدين الشديد بينما هناك واحد معهم تعلم من يكون جيدًا. بردائه الأسود وسبحة العقيق الأسود في يده، لقد كان جابر، ذلك الساحر الذي حذرتها والدتها منه. فور رؤيته لها ابتسم ابتسامة مليئة

بالخبث بينما عينيه لم ترمش مطلقًا منذ أن نظرت إليه. نظر إليهم الشيخ ماجد ليبتعد عن أولئك الرجال ويقترب منهم وهو يقول:

- ندى، أذهبي أنتِ وجمرة إلى غرفة واحدة معًا إما غرفتك أو غرفتها ولا تخرجوا منها.

قالت ندى سريعًا من باب الفضول:

- هل ساءت حالة عمتي مجددًا؟

لكنه لم يجبها، بل تجاهل سؤالها وابتعد لتمسك بيد جمرة وتذهب معها حيث أمرها والدها.

بدأتا باللعب رغم القلق الذي أصاب جمرة من ذلك الساحر، ولكنها بدأت بتهدئة نفسها حيث إن كل شيء انتهى وهي الآن بأمان في منزل الشيخ ماجد، لن يستطيع الإمساك بها مجددًا. لكن ما كان يشغل بالها أكثر منه هو السؤال الذي سألته ندى لوالدها، حول عمتها، ولكن بعدها بدقائق معدودة سمعوا صوت صراخ امرأة يجوب في أرجاء المكان.

شعرت جمرة بالرعب، تلك الصرخات تذكرها بصوت صرخات الأشخاص المستحوذ على أجسادهم من الشياطين عند علاج والدتها



لهم. أرادت بشدة الصعود للأعلى حيث تلك الصرخات رغم محاولة ندى منعها حيث قالت لها:

- والدي أمرنا بالبقاء وعلينا ألا نخرج من الغرفة حتى يأذن لنا يا جمرة، هذه قوانين المنزل.

لم تكن تبالي بكل ما قالته لها فتلك الصرخات كانت تزداد رعبًا، أشبه بشخص ينازع لأجل الخلاص من عذاب قاتل. فور أن فتحت الباب ومشت بخطوات مترددة نحو مصدر الصرخات في الأعلى، حيث كان الطابق الثالث محرم عليها الصعود إليه وقد حذرتها مرارًا السيدة مها منذ أول ليلة جاءت بها للمنزل أنه يمنع على أي أحد الصعود للأعلى مهما كان السبب.

كانت ندى تتبعها وهي ترجوها العودة، ولكنها لم تستجب لها، بل صعدت الدرجات بحذر لتجد أن الطابق الثالث لا يقل جمالًا عن الأسفل، بل قد ينافسه بالجمال، ولكن هناك غرفة في نهاية الممر الذي يواجهها، كان الجميع يقف أمامها بينما أولئك الرجلين الذين ألتقت بهم في حديقة المنزل ومعهم الساحر جابر، تستطيع رؤية رؤوسهم وتستطيع أيضًا سماع أصواتهم وهم يرددون آيات القرآن بينما في كل مرة ينطقون كلمة الجن كان صوت الصرخات يزداد أكثر فأكثر.

لم تفهم ما يحدث، ولم تتمكن من البقاء طويلًا لفهم ما يحدث حيث انتبهت لها السيدة مها والتي فورًا تقدمت نحوها وسحبتها إلى الأسفل هي وندى وقالت لهم:

- لماذا لا تنفذان ما طلبناه منكم، لماذا أنتم عنيدتان هكذا!

ظنت جمرة أن ندى ستقول شيئًا عنها حيث إنها هي السبب في كل هذا ولكنها فضلت الصمت، رغم نظرات العتاب الواضحة من عينيها لها.

أعادتهم السيدة مها إلى الغرفة مجددًا، ولكنها هذه المرة تأكدت من إقفال الباب لمنعهم من الخروج، لم تفهم جمرة لماذا كل هذا، فكثيرًا ما عالجت والدتها تلك الأجساد ولم تكن تحبسها في غرفة خوفًا عليها. لقد أصابها الفضول فكتبت لندى:

(من يعيش بالأعلى، ويمنع علينا الصعود بسببه)

لم تكن ترغب بالتحدث، ولكن بسبب إصرار جمرة قالت:

- عمتي مياسم.

(عمتك!)

- نعم، عمتي اللطيفة مياسم، في الواقع لا أعلم لماذا تبدل حالها وأصبحت مرعبة جدًا هكذا. حيث إننا قبل مجيئك بأكثر من شهر تقريبا كنا نحضر لزفافها، ولكن أثناء الزفاف أصبحت تضحك بطريقة مرعبة وترقص في أنحاء المنزل والحديقة بفستانها الأبيض بجنون. ثم سرعان ما بدأت بإثارة الرعب لجميع الحاضرين ومنهم زوجها، ولكن والدي أستطاع الإمساك بها.

منذ تلك الحادثة وهي في الأعلى وأصبح شغل والدي الشاغل علاجها، فكل عدة أيام يأتي برقاة من جميع أنحاء المملكة لعلاجها، ولكن دون جدوى.

اتضح التوتر على وجه جمرة لتكتب بعدها:

(رغم أني موجودة هنا منذ قرابة العشرة أيام لكني لم ألاحظ شيئًا)

- صحيح، لقد كانت حالتها مستقرة في الأيام السابقة وكان والدي يأتي بالرقاة فور ذهابنا إلى المدرسة حتى لا تشعري بالخوف، ولكن يبدو أن حالتها اليوم قد ساءت وهذا سبب مجيء أولئك الرجال في مثل هذا الوقت.

لم تستطع جمرة التعليق أبدًا، فبحسب خبرتها البسيطة بهذه الأمور.
قد يكون ما أصابها مس عاشق أصابه الغضب نتيجة تزويجها أو قد يكون
سحرًا تم عمله في نفس ليلة زفافها.

بقوا في تلك الغرفة لساعتين حتى فتح الباب ودخل منه الشيخ ماجد
والذي كان وجهه متعبًا جدًا ومليئًا بالخيبة والانكسار بسبب وضع أخته.
وجه كلامه نحو ندى قائلًا:

- هل تستطيعين إعطاءنا بعض الوقت أنا وجمرة بمفردنا يا عزيزتي،
اذهبي للاطمئنان على أخيك.

أومأت برأسـها إيجابًا وخرجت من الغرفة مقفلة الباب وراءها
ليجلس ماجد بجانب جمرة على حافة السرير قائلاً لها:

- هل أنتِ سعيدة معنا يا جمرة، هل تناسبك حياتنا؟

أومأت برأسها مبتسمة.

قال بعدها سريعًا:

- في منزلي هناك قوانين يجب أن يتقيد بها كل أفراد عائلتي، وبما أنك
الآن واحدة منهم أرجوا أن تفعلي مثلهم. أهم ما يجب عليك فعله هو



الالتزام بأوامري دون جدال، والشيء الآخر وقد أخبرتك عنه مسبقًا، هو عدم الصعود لأي سبب من الأسباب للأعلى.

صمتت جمرة وبدت حائرة فقال لها راغبًا بإجابة واضحة:

- هل أنتِ موافقة!

اومأت برأسها ليبتسم لها ليبعث الطمأنينة في داخلها بعد أن ربت على رأسها برفق وقال:

- تجهزي للخروج فاليوم سنذهب في نزهة.

ليخرج بعدها تاركًا في داخلها عشرات الأسئلة التي تعمدت تجاهلها وإقفال باب الفضول في وجهها تنفيذًا لأوامر الشيخ ماجد.

كانوا يلعبون طوال اليوم في المتنزه القريب من المنزل، وبعد الانتهاء تناولوا الغداء في إحدى المطاعم الشهيرة ثم ابتاع لهم البوظة. لقد وقعت جمرة في غرامها منذ أن تذوقتها لأول مرة.

ثم عادوا للمنزل وهم سعداء رغم تعمد ليث مضايقة جمرة في كل مرة يكونوا فيها بمفردهم. كان ليث مراهقًا في عمر الرابعة عشرة، يمتلك وسامة لا مثيل لها وكانت ندى تحب التباهي به أمام زميلاتها في الصف، حيث كانوا يتقربون منها لأجله.

كانت تشعر جمرة دوما بالغضب منها فتكتب لها كلما كانوا بمفردهم:

(لو علم أنك تتعمدين التباهي به للحصول على محبة الفتيات وصداقاتهم لغضب منك.)

ابتسمت بمكر لها وقالت:

- لا يهم إن كان سيغضب أم لا، مادام كونه أخي مفيدا لهذه الدرجة سأستغله.

من غرابة ما كانت ندى تفعله هي كثرة الوعود لجميع الفتيات، كل واحدة تستفرد بها وتخبرها بصدق مشاعرها تجاه أخيها لتقول لها

ليث أيضًا أخبرني أنه يحبك وعندما يكبر لن يتزوج إلا بك.

لتبقى تلك المسكينة تعيش في عالم الأحلام تبني بيتًا من سراب وتزينه وعود ندى الزائفة.

مرت السنوات على هذه الحال، وكلما انتهت من مرحلة لتنتقل لمدرسة أخرى كانت تصرخ بصوت مرتفع لجميع الفتيات:

- أخشى أنني قد كذبت عليكم جميعًا، فالغبي ليث لا يهوى إلا نفسه.



ثم تركض ممسكة بيد جمرة نحو سيارة السائق متجاهلين صراخ الفتيات ومحاولتهم الإمساك بهم.

كان الأمر ممتعًا في نظرها، ولكن عندما وصل إلى مسامع والدتها السيدة مها عن طريق إحدى الأمهات التي شكت لها عما تفعله ابنتها، صرخت في وجه ندى بطريقة أشعرت جمرة بالخوف منها:

- منذ متى يا ندى، منذ متى يتحدثون الأطفال عن هذه الأمور ويزرعونها في أذهان أطفال آخرين، ما بك لماذا أنتِ هكذا؟

لم تستطع الرد، لقد بقيت صامتة رغم منازعة الدموع للخروج من عينيها أكملت والدتها بخيبة أمل كبيرة قائلة:

- لم أتوقع أن تكوني هكذا.

ثم نظرت إلى جمرة بغضب وقالت:

- وأنتِ أيضا يا جمرة لقد خيبتي أملي فيكِ، احتضنتك وقبلت بك كأبنة لي، ولكنك تتجاهلين كل ما فعلته من أجلك أنا وزوجي وتعاونينها على فعلتها.. يا للخسارة.

تلك الجملة التي قالتها كانت كخنجر غرزته في قلب جمرة، لماذا أدخلتها في هذه المقارنة، فهي منذ أن جاءت لم تعتبرها إلا أمًا لها، ولكن

السيدة مهما وإن تظاهرت لا يمكن أن تعتبرها مثل ابنتها والدليل على ذلك ما قالته قبل لحظات.

خرجت ندى من المكان وأقفلت الباب بكل قوة لتبقى في غرفتها لا تعلم ما عليها فعله، لقد علمت وقتها فداحة ما كانت تفعله رغم اعتقادها سابقا أنه نوع من الفكاهة لا غير.

حاولت جمرة الدخول عليها، ولكنها لا تجيب لتذهب إلى غرفتها كذلك وقد اغرورقت عينيها بالدموع لتبكي بعدها كالأطفال من فرط الحزن الذي ينهش قلبها. لطالما كانت تحاسب نفسها على كل حركة تقوم بها لكيلا تتلقى مثل هذه الكلمات، لكنها بالنهاية حصلت عليها رغم أن الذنب لم يكن ذنبها.

لقد علمت بأن ليث أصبح يعرف ما فعلته أخته، ومن يدري قد يظن أنها هي أيضًا شاركتها بفعلتها مثلما تهيأ لوالدته. لكنه كان ينظر إليها ببرود شديد ثم يستمر بتجاهلها كما يفعل عادةً دون أن ينطق أمامها بأي حرف معاتبًا.

شهرين تقريبًا وبدأ بحزم حقائبه استعدادًا للسفر لإكمال دراسته خارج البلاد، وحيث أنه ودع الجميع لكن عندما جاء دور جمرة تردد واضطرب ثم أشاح بوجهه عنها ورحل مبتعدًا.



كان شعور غريب في قلبها لا تعلم ماهيته، فقد ركضت إلى غرفتها وبكت كطفل لم يتجاوز الثالثة من عمره. أراد قلبها بشدة أن يطلب منه البقاء، ولكن الكبرياء بداخلها أبى أن يعترف له بالفراغ الذي شعرت به فور عزمه على الرحيل.

(13)

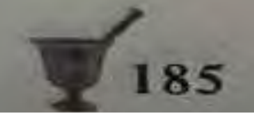
عودة الشياطين

عند رحيل ليث كان عمره ثمانية عشرة عامًا، بينما جمرة وندى قد تجاوزتا الرابعة عشرة بقليل. كلما كبرتا أكثر بالعمر كانت ملامحهما تصبح أكثر نضجًا وأنوثة، ورغم أن جمالهما كان متقاربًا إلا أن النساء اللاتي يترددن إلى منزل السيدة مها كانوا يطلبون ندى لأفضل أبنائهم بينما اسم جمرة لم يكن مذكورًا ضمن أحاديثهم.

لم تكن السيدة مها توافق على هذا الأمر فهي ترفض زواج ابنتها قبل أن تتم الثامنة عشرة فتقول لهم:

- لابنتي أحلام كثيرة، لا أعتقد أن الزواج أحدها في هذه الفترة.

لم تكن جمرة أيضًا ترغب بالزواج، ولكن فكرة ألا يتم ذكرها أبدًا وكأنها شيء خفي لا تراه أعين الجميع أثار الحزن في داخلها. هم يعلمون أنها يتيمة، ولكنهم لا يعلمون أن والدتها ساحرة، وتستطيع أن تؤكد لنفسها بأن السيدة مها كذلك لم تكن تعلم، رغم ذلك لم تتقدم أي امرأة لها، ربما بسبب عدم قدرتها على النطق أو يتمها.



مرت أربع سنوات أخرى وأصبحت أعمارهما ثمانية عشرة عامًا. تمت خطبة ندى بعد دخولها الثامنة عشر من عمرها بخمسة أيام من ابن صديقة السيدة مها والذي كان طبيبًا متخصصًا في جراحة القلب، رغم أنه لم يتجاوز الثامنة والعشرون من عمره.

كانت ندى سعيدة جدًا به، أولًا بسبب وسامته التي اشتهر بها وثانيًا بسبب مكانته، فلطالما كانت تطمح أن تكون طبيبة، وزواجها من شخص ينتمي الى نفس المجال الذي تحلم به أمر لطيف ومن المؤكد أنه سيكون متفهمًا جدًا.

تم زفافها في الحادي عشر من شوال وقد صادف حضور أخيها ليث، وكم كانت جمرة سعيدة عند علمها برجوعه.

في تلك الليلة ارتدت جمرة ثوبًا حريري أحمر اللون وعقد من الألماس كان هدية من السيدة مها، شبيهًا بالعقد الذي أهدته لندى أيضًا.

أرادت السيدة مها أن توضح لها بهذه الهدية أن مكانتها مثل مكانة ابنتها، بل قد يكون أكثر بكثير.

شعرت بالامتنان الكبير والفرح الذي يكاد أن يخرج منها ليغطي هذا المكان بأكمله، فاليوم زفاف أختها الوحيدة والتي لطالما أحبتها وتمنت لها الخير.

تركت شعرها الأسود ينسدل على ظهرها وأبعدت بعض الخصلات من وجهها لتظهر غمازتيها عند ابتسامتها، لطالما أخبرتها ندى أنها تحسدها على هذه الغمازات.

وضعت الوشاح اللؤلؤي على شعرها وبدأت مراسم الاحتفال في المكان. الغناء ورقص النساء وأطفالهن. كان المكان مزدحمًا ومليئًا بشعور البهجة الذي جعل الجميع يبتسم طوال الليل.

في تلك الليلة كانت جمرة مصدر اهتمام الجميع، حيث تساءل الكثير إن كانت مرتبطة فتجاوبهم السيدة مها:

- كلا، لم يأتي نصيبها حتى الآن.

عندما كانت مراهقة في عمر الرابعة عشرة كانت تتمنى أن يهتم النساء لها، ولكنها الآن لم تعد تكترث لكل هذا، حيث إن النضج الذي وصلت إليه أبعد عنها ستائر الأحلام ووضع لها واقعًا واحدًا لا بديل له، أنها مهما حاولت تزييف واقعها فهي في النهاية من نسل السحرة الذين يتعوذون النساء منهم عند جلب سيرتهم.

تخيلت إن علم زوجها في المستقبل بشأن عائلتها ماذا سيقول لها. قد يقذف بها بعيدًا عنه بعد أن يغرز في قلبها سهام لعناته عليها وعلى والديها.

جميل جدًا أن يعلم الشخص مقداره لكيلا يسقط من مكان مرتفع بسبب درجات صنعها بفضل الوهم لا أكثر، هذا ما كانت تؤمن به في داخلها.

شاهدت ليث ينظر إليها وعلى وجهه ابتسامة لم تعهدها منه، فقد كان عبوسًا باردًا يجيد فن التجاهل. بادلته الابتسامة لتظهر تلك الغمازات التي جعلته يضع أصبعه على خديه موضحًا لها أنها قد سلبت عقله، أشاحت بوجهها عنه خجلًا، ودخلت إلى المنزل متجهة نحو غرفة ندى لتجهيزها للخروج فقد اقترب الوقت. عند صعودها للطابق الثاني وفور اقترابها من السلالم المؤدية نحو الطابق الثالث شاهدت امرأة توليها ظهرها، حيث إنها كانت تنظر للجدار خلف السلم.

اقتربت منها وضربت بالسلم بقوة لتنتبه لها، ولكنها لم تجبها، بل ظلت ثابتة تنظر لذلك الجدار في منتصف الدرجات المؤدية إلى الأعلى. صعدت تلك الدرجات حتى وصلت إليها ووضعت يدها ناحية كتفها ثم كتبت لها:

- أرجوك دعينا نذهب للأسفل، لا يجب عليك التواجد هنا.

نظرت تلك المرأة إليها بتلك اللحظة سريعا ليقشعر بدنها وتتراجع خطوة وراء خطوة للأسفل حتى سقطت بسبب تعثرها.

كانت تشاهدها وسط ألمها وصرخاتها المكتومة فابتسمت لها ومشت بخطوات ثابتة عائدة للأعلى. كانت تلك الفتاة تشبه إلى حد كبير المرأة في الصورة، المرأة التي كانت والدتها محاسن تضع الإبر على وجهها في الحافلة قبل إمساكها من قبل الشرطة بساعات قليلة.

فتحت ندى باب غرفتها ونظرت بطرف عينيها فور سماعها لصوت سقوطها، لتركض نحوها بفستانها الأبيض والذي منعها من التحرك بأريحية.

ارتكزت عليها وقدمها اليسرى تؤلمها كلما حاولت وضعها على الأرض فكتبت لها فور جلوسها على طرف السرير:

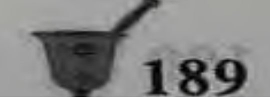
(يبدو أن قدمي قد أصابها التواء بسيط)

أخرجت ندى مرهمًا من إحدى الأدراج ووضعته على قدمها فأبعدتها جمرة سريعًا وكتبت لها:

(لا تفعلي ذلك، لا أرغب بأن يتلوث فستانك الجميل بالمرهم، اتركيني وتجهزي الآن)

قالت ندى بغضب:

- لماذا من الأساس صعدتي تلك الدرجات، ألم يخبرك والدي أن ذلك المكان ممنوع علينا؟



فكتبت لها جمرة:

(لم أذهب، ولكن..)

ثم توقفت عن الكتابة حين شعرت بالحيرة عن كيفية تبريرها لما حصل لها. بدأت ندى بتدليك قدميها بيديها وقالت:

- ولكن ماذا؟

لتكتب بعدها على ذات الورقة:

(لا شيء انسي الأمر..)

فتح الباب لتدخل منه السيدة مها وبيدها حامل للبخور لتبخر به ابنتها ومعها الخادمة مينا. فور رؤيتها لجمرة وهي مستلقية وتتألم أثار ذلك الخوف فيها حيث قالت موجهة سؤالها لندى:

- ماذا حصل لجمرة؟

نظرت ندى نحو أختها لتهز رأسـها كرجاء على عدم إخبارها ما حصل فقالت:

- لا شيء، يبدو أن قدمها قد آلمتها بسبب ذلك الحذاء المرتفع حيث إنها لم تعتد على هذا النوع من الأحذية.

تنهدت السيدة مها تعبيرًا عن راحتها وقالت:

- كدت أسقط من خوفي، ارتاحي عزيزتي لا ترهقي نفسك.

ثم بدأت بتجهيز ندى حتى أصبحت تبدو كأميرة صغيرة، نزلت بعدها إلى الحديقة وسط غناء النساء ودقات الطبول ليستقبلها زوجها سعود بابتسامة ساحرة.

كانت جمرة تستند على أثاث غرفتها للوصول إلى النافذة لمشاهدة زفتها، عند مشاهدتها لأختها شعرت بالسعادة تغمرها رغم شعورها بالألم في كاحلها.

لم يقاطع نظراتها نحوها سوى صوت قرع الباب المتواصل بهدوء شديد. شعرت بالخوف في تلك اللحظة حيث إن الجميع خارجًا ولا يمكن أن يكون هناك أحد في المنزل بهذه اللحظة.

تذكرت سريعًا تلك المرأة وما حدث معها قبل لحظات وهمست داخل نفسها برثاء شديد عليها:

- يبدو أن الماضي لن يكون ماضيًا بعد الآن.

تسارعت نبضات قلبها، ولكنها لم تفتح الباب، في تلك اللحظة زادت الدقات بشكل مرعب لدرجة شعرت أن الباب قد يسقط فسقطت على الأرض ووضعت يديها الاثنتين على أذنيها وهي تردد داخل نفسها:

(هم جبناء يا جمرة، جبناء يجيدون صنع الوهم، جبناء يجيدون صنع الوهم، جبناء يجيدون صنع الوهم..)

أصبحت تردد هذه الجملة داخلها دون صوت لتبعث القليل من السكينة في قلبها الذي يرتجف هلعًا ليتوقف بعدها صوت الطرقات وعاد الهدوء مجددًا للمكان سوى من غناء النساء خارجًا.

لم تقدر بتلك اللحظة على فتح الباب أو عمل أي شيء سوى الذهاب إلى أبعد نقطة عن الباب واللجوء إلى زاوية الغرفة مثلما كانت تفعل في صغرها حتى ينتهي هذا الكابوس.

انتهت زفة ندى، تستطيع معرفة ذلك من هدوئهم وتعلم جيدًا أنهم بهذه اللحظة بدأوا بمرحلة توديعها، كم تمنت أن تودعها معهم، ولكن خوفها من الخروج منعها.

انتهت الليلة لتدخل الخادمة مينا لتنظيف الغرفة وفور أن وجدتها في زاوية المكان قالت:

- ما بك، لماذا أنتِ جالسة هكذا؟

لم تعد تقوى على الكتابة لتشرح لها فكل ما فعلته أنها نهضت من مكانها وذهبت إلى غرفتها لتقفل الباب على نفسها وتستلقي في سريرها لتغط في نوم عميق.

مر يومان على ذهاب ندى إلى منزل زوجها وكما قالت السيدة مها أنها هذه الليلة ستأتي لتناول العشاء ثم ستذهب في رحلة شهر العسل إلى مصر.

كانت تحدث جمرة كثيرًا عن مصر وعن مدى تطورها، ولكن الأخيرة لم تستطع زيارتها إلى الآن فكتبت للسيدة مها:

(كم أتمنى أن أذهب إليها يومًا ما)

- سنفعل ذلك قريبًا، فقد وعدني والدك بالذهاب في جولة لثلاث دول بعد عدة أشهر ومن ضمنها مصر.

ابتسمت جمرة لها وكتبت لها بحماس:

(سمعت أن الفساتين هناك جميلة وذات تصاميم مميزة)

- أعطيت اختك بعضًا من المال وأوصيتها إن شاهدت أي شيء يليق بك يجب أن تجلبه معها.



لتكتب لها:

(حقًا؟ وماذا عن الكتب؟)

ضحكت وقالت ممازحة لها:

- حسنًا إذًا، يجب علي إخبارها أن تلغي فكرة شراء الفساتين وتجلب لجمرتي الكثير من الكتب.

كتبت لها جمرة:

(ألا تستحق جمرة الإثنين الفساتين والكتب يا سيدة مها)

اتضح الحزن على ملامحها بسبب تكرار جمرة لاسمها فقالت سريعًا قبل رحيلها:

- مثلما تريدين عزيزتي.

تعلم جمرة جيدًا شعورها فلطالما كان وجهها يتبدل للحزن كلما كتبت اسمها بدلًا من كلمة والدتي، في السابق كانت تتمنى أن تعاملها السيدة مها كابنتها، ولكن ذلك لم يحصل والآن عندما تعودت على كلمة "سيدة" تبدل الحال لتشعر الأخرى بالحزن منها. في جميع الأحوال، هي لا تستطيع أن تنطق بهذه الكلمة لأحد غير والدتها الحقيقية.

فمهما فعلت لها السيدة مهما لن تستطيع فعل نصف ما فعلته من أجلها تلك الماكثة تحت التراب.

جاءت ندى وزوجها، حيث كانا يتحدثون كثيرًا عن كل شيء يدور في عقولهم، كانت جمرة سعيدة وهي تقص عليهم عن طريق أوراقها ذكرياتها مع ندى. بينما ليث كان ينظر لها بإعجاب شديد وكلما ابتسمت يبتسم دون شعور منه.

غريب هذا التغير فيه حيث إنه قبل رحيله كان سعيدًا بالخلاص من النظر لوجهها والآن لا تكف عينيه عن تأمل تفاصيل وجهها الذي لطالما شعرت أنه كان مصدر بؤس له.

رحلت ندى برفقة زوجها وهمست لجمرة قبل رحيلها:

- سأجلب لك كل ما تشتهيه نفسك فأنا أعرف ذوقك لا تقلقي.

ابتسمت لها وكتبت:

(سأنتظر مجيئك بفارغ الصبر، لا لأجلك، بل لأجل تلك الأشياء التي ستجلبينها معك)

- يا لكِ من وقحة يا جمرة!



ثم حضنتها ورحلت في طريق سعادتها، بتلك اللحظة قال لها الشيخ ماجد:

- سيأتي دورك مثلها عزيزتي لتنعمي بسعادة أبدية مع من اختاره لك قدرك.

ابتسمت وكتبت:

(وهل هذا يعني أن أتركك؟ لا يمكن أبدًا)

ضحك وقال:

- إذا سنطلب من زوجك أن يعيش هنا معنا ما رأيك؟

بتلك اللحظة وجه ليث كلامه لوالدته وقال لها:

- احتاج إلى التحدث معك على انفراد..

ليذهبوا إلى إحدى الغرف ولم يمر سوا القليل من الوقت لتخرج السيدة مها وعلى وجهها سعادة الكون بأكملها وهو كذلك لم يكن أقل سعادة منها. انتاب جمرة الفضول لمعرفة ما قاله، ولكنها فضلت التظاهر بعدم الاهتمام وذهبت إلى غرفتها.

بدأ الجميع بالتوجه إلى غرفهم أيضًا، والمنزل الذي كان قبل لحظات مليئًا بأصوات ضحكاتهم ونقاشاتهم أصبح ساكنًا لا صوت فيه. كانت جمرة تتقلب في سريرها وهي تفكر بتلك الفتاة التي شاهدتها والتي تشبه إلى حد كبير فتاة الحافلة.

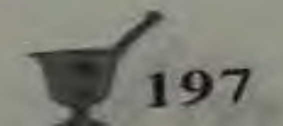
شعرت بالخوف من فكرة أن تكون هذه رسالة منها لتعلمها بأن الانتقام قد حان موعده.

في عمق تلك الأفكار التي تجوب عقلها سمعت صوت طرقات على الباب فظنت أنها السيدة مها:

فتوجهت لتفتح لها، ولكن فور أن فتحت الباب لم تجد أحدًا، لا أحد سوى تلك الإنارة بجانب السلالم تنطفئ وتشتعل بطريقة لم تعهدها. توجهت نحوها لإقفالها تمامًا، ولكن شعرت عندها بأن عين أخرى تراقبها لتنظر للأعلى باتجاه سلالم الطابق الثالث فتجدها تنظر إليها وعلى وجهها ابتسامة كابتسامة الشياطين.

شعرت أنها على وشك الموت، ولكن عقلها يهمس لها أن هذه الفتاة تكون مياسم عمة ندى وليث. في ظل أفكارها ما زالت تلك المرأة تنظر إليها والابتسامة مرسومة على وجهها ثم قالت بصوت أجش مليء بالرعب:

- جمرة منذ زمن لم نلتق يا جمرة..



شعرت بروحها تود الهرب من هذا الجسد لأبعد مكان عن هذه البقعة، ولكنها تمالكت نفسها وأمسكت قلمها المعلق على رقبتها وحزمة الأوراق التي أصبحت ترافقها في كل مكان وكتبت:

(تعلمين من أكون!)

كانت تكتب لها وتقترب خطوة وراء أخرى منها رغم الرعب الذي يسري بداخلها، ولكن تأنيب الضمير الذي تعيشه كان أضعاف الخوف الذي تشعر به فتغلبت عليه للحظات فقط.

فور أن اقتربت منها ولم يكن يفصل بينهم عدا خطوة واحدة لا أكثر كتبت لها بينما الأخرى تراقبها بصمت:

(كيف أستطيع أن اخلصك من كل هذا العذاب)

ابتسمت بطريقة أكثر عمقًا لتظهر أسنانها بأكملها ثم سرعان ما رددت نفس التهويدة اللعينة التي لم تخرج من ذاكرتها يومًا لتذكرها به:

نام.. نام

فأنت في حضن الهمام

من قَتل لأجلك سبعون جان

في بحر يملأه الجفاف

قد لوثته دماء العمام

فمن همام ومن عمام

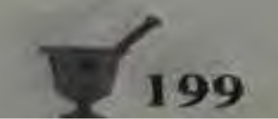
هم أسياد المكان

نام.. نام

فأنت في حضن الهمام

بينما تردد تلك التهويدة ووجهها مبتسم بالكامل كانت الدموع تساقط من عينيها بطريقة غريبة جدًا، وكأن هذه الروح المنكوبة تطلب منها العون.

لم تستطع فعل شيء في تلك اللحظة لها وهي تشاهد الشيطان همام قادمًا بابتسامته المشقوقة من تلك الغرفة.



كان يمشي بخطوات الواثق ومن خلفه الشيطانة خاتمة وذلك الطفل ابن الشياطين الملعون ذو الدمية مقطوعة الرأس ليلاس.

رجعت للوراء خوفًا وهلعًا وفي كل مرة تخطو بها خطوة للوراء تجدهم يتقدمون ثلاث خطوات باتجاهها، بينما تلك المرأة مياسم ما زالت تردد هذه التهويدة بصوت كفحيح الأفاعي.

خطوة وراء أخرى للأسفل بينما تلك الفتاة ثابتة في مكانها وتلك الشياطين تقترب منها ثم ما إن خطت جمرة خطوتها الأخيرة نحو آخر درجة للطابق الثاني حتى تلبست الثلاث شياطين جسد مياسم لتتبدل نظراتها الباكية إلى نظرات مليئة بالشر، ثم سرعان ما تتجه نحو جمرة بسرعة مرعبة حبيًا على أطرافها الأربع، ظهرها للأسفل ورأسها مقلوب للأعلى.

كان منظرًا تقشعر منه الأبدان وكأنه قد تم سحبه من الجحيم ليرتكز أمام عينيها.

حيث كانت تنظر نحو جمرة بنظرات مرعبة جعلت الأخيرة تتصنم في مكانها من شدة الهلع، وفي اللحظة التي كادت أن تصل إليها حتى سمعت صوت ليث بجانب غرفتها قائلًا:

- ما بك تقفين هكذا!

نظرت مياسم نحوها نظرة أخيرة قبل أن تنهض من مكانها وتركض بطريقة جنونية إلى الأعلى.

لم تستطع أن تزيح نظرها عن تلك السلالم رغم اقترابه منها ومحاولته فهم ما يحصل لها. أصابه الفضول فنظر لنفس النقطة التي كانت تنظر إليها فلم يجد شيئًا، ثم سرعان ما استجمعت القليل من طاقتها المتبقية وقالت له بكلمة بالقوة خرجت من فمها وبحروف متقطعة:

- أعتذر

بتعجب شديد نظر إليها وقال:

- لقد تحدثتي!

بتلك اللحظة وضعت يدها على فمها وكأنها غير مصدقة لما حصل لها، هل فعلًا ذلك الصوت الذي ظنته رحل للأبد برفقة والدتها قد عاد مجددًا شوقًا لها.

لم يعطها القليل من الوقت لاستيعاب ما حصل لها فقد ركض إلى غرفة والديه ودخل عليهم دون أن يطرق الباب حتى وهو يصرخ بسعادة:

- إنها جمرة، لقد نطقت أخيرًا.



تلك الليلة كانت أجمل ليلة تحصل العائلة عليها، وقد فاقت فرحتهم ليلة زفاف ندى. حيث تواصلت السيدة مها مع ابنتها في مصر فهي لم تستطع الانتظار وأخبرتها ما حصل:

- أخبرتك لقد تحدثت، اخبرنا ليث بذلك.

- هل نطقت أمامك؟ كيف يكون صوتها؟ أرجوك أعطها الهاتف أرغب بسماعه..

في الواقع جميعهم يحاولون معها للتحدث مرة أخرى، ولكنها ظلت صامتة غير مصدقة لكل ما حدث لوقت طويل جدًا ثم سرعان ما قالت:

- أرغب بالنوم، أرجوكم اعذروني.

تلك الجملة الوحيدة التي سمعها الشيخ ماجد والسيدة مها وكم كانت سعادة الأخيرة كبيرة جدًا بينما الشيخ ماجد ظل ينظر نحو جمرة بشك وريبة في ذات الوقت دون أن يبدي أي شيء يذكر.

لم تعد تحتاج كومة الأوراق التي تحملها معها لكل مكان تذهب إليه، لقد عاد صوتها الذي افتقدته كثيرًا. رغم ذلك، لم تكن سعيدة حيث إن ذلك الصوت لم يعد من فرط سعادتها، هرب منها بسبب قمة الهلع التي شعرت به عند وفاة والدتها ليعود ذلك الهلع إليها الآن مضاعفًا برفقته.

ما بال هذه الحياة يا جمرة، لماذا تصفعك كلما ابتسمت لك لثواني قليلة. تلك الشياطين قد عادت، لتحصل عليكِ مثلما وعدها والدك قبل ثمانية عشرة عامًا. هي لا تنسى، لا تنسى الوعود أبدًا، ولا تنسى حقوقها وإن مرت السنوات، وإن نسي صاحب الوعد وعده.

(14)

ليلة زفاف مياسم

قبل سبعة أعوام وليالي قليلة كانت تقف أمام المرآة، تنظر إلى جمالها الذي لطالما عشقه وتهافت عليه الجميع.

لطالما وصفت بالملاك، وكم تمنت تبديل اسمها لذلك الاسم لكن أخيها ماجد يرفض قائلًا:

- مياسم هو اسم جدتك، ولن يرضى والدك عنك في قبره إن علم بتغييرك له، ارضي بنصيبك يا مياسم ليرضى عنك.

شعرت بالغضب من تحكم أخيها بكل تفاصيل حياتها، رغم أن هنالك أيضًا من يشعر بذات الغضب بسبب اهتمام هذا الأخ بأخته.

هذه هي الحياة هكذا لا أحد يرضى بنصيبه رغم أنه قد يكون سببًا لإثارة الغيرة والحسد في نفوس الآخرين.

بعد عدة أيام فقط سيكون زفافها، من صديق أخيها حازم، والذي شعر وقتها بالفخر لفوزه بها. فقد تقدم لها الكثير من الرجال، ولكنها كانت ترفض بلا سبب رغم كمالهم، ولم يكن يفعل أخيها شيئًا عدا أنه يستجيب لما تطلبه فيرفضهم بدوره.

تكفل ماجد بدفع مبالغ طائلة تحضيرًا لليلة زفافها رغم رفض زوجته لما يفعله حيث قالت له:

- لما تصرف من أجلها كل هذه الأمـوال التي لم تدفـع ربعها في زفافنا؟

نظر إليها بغضب، ثم سرعان ما قال:

- هذه أموالها يا مها، وهل نسيتِ أن ورثها أمانة عندي!

- لكن منذ متى وأهل الفتاة يدفعون لها عند زفافها، بل من المفترض أن يتكفل زوجها بكل شيء.

نهض من مكانه وأراد الصراخ في وجهها لعلمه بشعور الحسد الذي ينبعث منها تجاه أخته، لكنه صمت لوقت قليل ثم قال ساخرًا:

- أشعر أن تجهيزات الزفاف لا تليق بمياسم، لذلك أفضل أن ادفع ضعف هذا المبلغ ليكون كل شيء ملائمًا لها.. وسيكون هذا المبلغ هدية مني، لن أمس نصيبها من الورث أبدًا وإن كان لأجلها.

نهضت بدورها ونظرت نحوه نظرة غاضبة، لكنها لم تقل شيئًا، بل ذهبت للأعلى، ولكن قبل ابتعادها بخطوات قليلة أضاف قائلًا:

- في طريقك، أخبري مياسم أني أريدها، أظن أن الوقت قد حان لتسليمها ورثها يا عزيزتي.



قبضت على يدها بكل قوتها من شدة الغضب، ولكنها سرعان ما ابتسمت وأدارت وجهها نحوه وقالت ببراءة:

- أحسنت، هذا حقها وكان عليك منذ البداية أن تعطيها إياه، سأخبرها بذلك لا تقلق.

فور رحيلها شعر بشعور غريب، تناقض زوجته الذي ظهر فجأة أمامه، هو يعلم أن مها لا تحب أخته أبدًا، وتلك الأخت أيضًا كانت تبادلها شعور الكره.

شعور مها تجاه مياسم، كان له سبب قوي وهو الغيرة والحسد. فهذه الزوجة لم تكن تتلقى الدلال في منزل والدها ولم تتلقاه أيضًا في يوم زفافها. فلم يدفع ماجد عليها الأموال التي يدفعها الآن بسعادة لأجل أخته.

فمياسم، تلقت الدلال في منزل والدها ومع أخيها وستتلقاه أيضًا في منزل زوجها. حيث إن حازم يعد من أفضل الرجال وأكثرهم ثراءً.

كان ماجد يتمنى أن يكون حازم زوج أخته، وها قد حصل ما يريده، لا يفصل بين زفافهم سوى أيام معدودة.

توجهت مها نحو غرفة، بل أقصد جناح مياسم وطرقت الباب لتفتح لها الخادمة سهير، تلك الخادمة كانت مخصصة لخدمة مياسم فقط ولا تستمع لأي أمر يصدر من غيرها.

- أهلًا، يا سيدة مها ماذا تريدين؟

- أرغب برؤية مياسم، أفسحي لي الطريق.

قالت رغم توترها:

- الآنسة الآن تقيس فستان زفافها، الرجاء القدوم في وقت أخر.

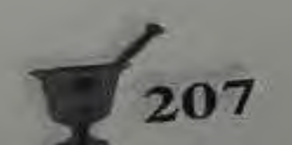
شعرت بالغضب وأبعدتها بكل قوة بيدها لتدخل فتجد مياسم تتأمل المرآة وعلى وجهها ابتسامة مليئة بالثقة، ولكن فور رؤيتها لانعكاس مها على المرآة التي أمامها عبس وجهها وقالت:

- ألا تعلمين ماهي آداب الدخول!

- أخبرني أخاك أنه يريد رؤيتك في الأسفل.

نظرت إليها مياسم في تلك اللحظة وقد صنعت على وجهها ابتسامة ساخرة وقالت:

- كان بإمكانك إخبار سهير بهذا الأمر، وهي بدورها ستخبرني.. حسنًا فعلتي ما جئتني لأجله والآن رجاءً أخرجي من جناحي.



كاد قلبها في تلك اللحظة أن يحترق من فرط الغضــب، ولكنها رسمت على وجهها ذات الابتسامة وقالت:

- مثلما تريدين يا جميلة.

قبل رحيلها وعلى غفلة من مياسم وخادمتها سهير التقطت صورة لها قد وضعت على الطاولة بجانب الكثير من الثياب وخرجت سريعًا بعد أن أخفتها بين يديها.

كان الغضب والحقد قد أعمى بصيرتها رغم أنها لم تكن كذلك من قبل، ذهبت إلى إحدى الساحرات التي سمعت عنها في إحدى تجمعات النساء.

لقد تناست دينها، وقد قذفت كل مبادئها بعيدًا لأجل إشباع سواد قلبها. توجهت إلى القرية برفقة سائق أختها وفور وصولها إلى المكان المنشود طرقت الباب ليفتح على مصراعيه في ذات اللحظة مرحبًا بها.

كانت تنظر لفناء ذلك المنزل والذي كانت تفوح منه رائحة كريهة جدًا، تفوق رائحة العفن المنتشر في أزقة القرية بأكملها.

حاولت منع ملامحها من إظهار التقزز الذي تشعر به داخلها، واظهرت ابتسامة مصطنعة فور رؤيتها لامرأة تجلس في زاوية الفناء وبجانبها نار مشتعلة. لتقول لها:

- أعذريني على دخولي دون إذن، ولكن..

قاطعتها تلك المرأة قائلة:

- إذًا أتيتي يا مها، لإرضاء شرور نفسك.

شعرت مها بالرهبة فور نطقها لاسمها، لتقول لها المرأة:

- اجلسي.

لم تقوى على الجلوس من شدة الرعب، فصرخت عليها:

- أخبرتك أن تجلسي!

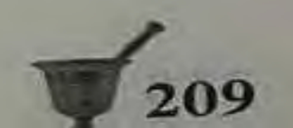
كانت ترتعش، لكنها فعلت ما قالته تلك المرأة وقالت:

- سيدة محاسن، سمعت عنك الكثير وأرغب بطلب المساعدة منك.

ابتسمت محاسن ابتسامة شيطانية وقالت رغم علمها:

- وما هو نوع المساعدة!

- أرغب بالقيام بعمل لأخت زوجي، تدعى مياسم، في ذات الليلة التي ستتزوج بها.. أي بعد ثلاثة أيام.



- ولماذا؟

تلعثمت مها، حيث إنها لم تتوقع هذا السؤال من تلك الساحرة، فالسحرة يفعلون ما يأمرون به مقابل المال على حسب ظنها لتقول:

- لقد جلبت معي الكثير من النقود، وإن لم تكن كافية سأجلب المزيد.

أخرجت بتلك اللحظة حزم كثيرة من حقيبتها حوالي عشرون ألف ريال، لكن ما زالت محاسن ترغب بمعرفة إجابتها لتقول:

- لكنك إلى الآن لم تخبريني عن سبب فعلتك هذه، رغم التزامك.

- لماذا ترغبين بمعرفة دوافعي!

- لست أنا، في الحقيقة هم الذين يرغبون بأخذ الإجابة منك، رغم معرفتهم بأسبابك.

علمت وقتها من تقصد بـ(هم) لتجيب:

- كل الأمنيات التي تمنيتها، تكون تحت قدميها، تعيش حياة لا تستحقها، لا أقوى على تحمل هذا الشعور الذي يزداد يومًا بعد يوم داخل قلبي.. أرغب بالخلاص.

- ترغبين أن تذوق العذاب للخلاص من ذلك السواد الذي يتغلغل داخلك؟

- صحيح، قد أعيدها لوعيها في المستقبل، لكني الآن أرغب أن تذوق القليل فقط من سوء القدر وبشاعته.

سيصيبهم الله بذات الحزن الذي ملؤنا به.

جاءت الليلة المنشـــودة والتي ينتظرها الكثيرون لرؤية ما سـيتم تقديمه لمياسم أخت الشيخ ماجد.

رغم ثراء المدعوين، لكن هذا الرجل وأخته كانا يحبان إظهار المال في كل شيء يقومان به، مما جعلهم مصدر اهتمام للجميع.

نظرت للمرآة بعد أن انتهت من تزينها وبجانبها ابنة اخيها ندى والتي قالت لها:

- أنتِ جميلة جدًا يا عمتي، تبدين كالأميرات.

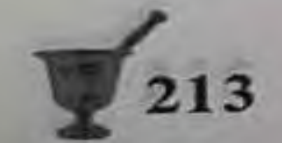
ربتت على رأس ندى وهمست لها:

- لكني متأكدة، في يوم زفافك عندما تكبرين ستكونين أميرة تفوقني جمالًا، أنتظر ذلك اليوم بفارغ الصبر يا أميرتي الصغيرة.

دخلت بتلك اللحظة مها، وقالت:

- استعدي، فزفتك ستبدأ بعد دقائق.

لم تجبها، بل نظرت سريعًا للمرآة لتبحث عن أي غلطة قبل خروجها للجميع لكنها لم تجد سوى الكمال الذي أضفى على هذه المرآة حُسنًا



فأصبحت كلوحة تم رسمها على يد أمهر الرسامين في العالم. ابتسمت بثقة وقالت لسهير:

- أخبري الجميع أنني سأخرج الآن.

كان التوتر يتضح على وجه مها والتي تنتظر أن يظهر تأثير ما قامت به تلك الساحرة عليها، ولكن لا يبدو أن هناك شيء سيحدث فشعرت بالغضب وتمتمت لنفسها:

- هل يعقل أن تلك الساحرة لم تفعل لها شيئًا، وتلك الأموال ذهبت أدراج الرياح!

بدأت الأغاني تعزف في القصر ترحيبًا بمياسم بينما زوجها حازم وأخيها ماجد ينتظرانها في الحديقة ومن حولهم ألسن النساء التي لا تصمت لحظة واحدة. لتقول واحدة منهم:

- يا لجمال الشيخ ماجد، كم أحسد مها عليه.

- لا تستحقه، لكن أنظري إلى زوج مياسم يفوقه وسامة، لكنها فعلاً تستحق.

فور وصولها للحديقة وانبهار الجميع بها بمن فيهم زوجها حازم والذي ابتسم لها، بينما أخيها دمعت عيناه تعبيرًا عن سعادته لرؤية أخته أخيرًا بثوب الزفاف.

توقفت فجأة وأصبحت تنظر للأرض وتصدر أصواتًا غريبة ومرعبة، حاولت سهير الاقتراب منها لمعرفة سبب توقفها، ولكن قبل أن تلمسها نظرت مياسم إليها نظرة مرعبة جعلتها تبتعد بخطوات خائفة إلى الوراء.

ما زال صوت الأغاني والعزف منتشر في المكان، لتنظر أخيرًا نحو زوجها بابتسامة مرعبة جعلته يفقد ابتسامته وينظر إليها بصدمة، بدأت بالرقص بتناغم مع الأغاني الشعبية، كان تناغمًا جنونيًا أشبه بما يكون رقصًا للشياطين عند ليلة التحضير.

كان جسدها يرتفع شيئًا فشيئًا ثم يعود مجددًا للأرض وهي ترقص وتحرك شعرها في كل الاتجاهات بطريقة جنونية، لتحاول سهير إيقافها وسحبها للداخل وبدلًا من استجابتها لخادمتها هجمت عليها بطريقة شرسة جدًا جعلت الجميع يرحل من المكان خوفًا منها.

حاول أخيها ماجد تهدئتها لكن دون جدوى، لم تكن مياسم الرقيقة التي يعرفها. بل إن قوتها تعادل قوة عشرات الرجال في ذات الوقت.

كل تلك الأشياء تحدث أمام نظر زوجها والذي سرعان ما أمسكت والدته به وقالت له:

- علينا الرحيل، هذه الفتاة مجنونة.



صرخ عليه ماجد:

- تعال يا حازم وساعدني في إمساكها.

ولكن الأخير بعد أن خرج من صدمته قال لصديقه:

- أختك لا تنفع لي، أختك لن أتزوجها.

ثم رحل مع عائلته هاربًا من المكان، تاركًا صديقه ينازع صدمة الخذلان الذي حصل عليها وصدمة هذا الجسد الذي لا يهدأ.

كل تلك الأشياء تحدث أمام مها والتي كان خوفها حقيقيًا باستثناء ادعائها الخوف على مياسم بطريقة متقنة جدًا.

حاول ليث مساعدة والده بإمساك عمته وابعادها عن سهير لكن في تلك اللحظة أمسكته والدته وقالت له:

- لا دخل لك، لا تلمسها!

لكنه لم يستجب لها، بل أبعدها بكل قوته وركض ليساعد بتهدئة عمته، تعاون الاثنان لإبعادها وبالفعل نجحوا بذلك ثم سرعان ما بدأ الرجال بالدخول بعد أن نهضت سهير رغم ما تعانيه وقذفت بوشاح أسود على رأس مياسم لتتم السيطرة عليها وتسقط مغشيًا عليها.

ذلك الموقف رغم فضاعته لم يشفِ قلب مها الحاقد بعد، بل أرادت المزيد والمزيد. فكلما تقول اقترب الفرج وسأتحرر من شرور نفسي حتى تشعر بذلك السواد يزداد شيئًا فشيئًا إلى مالانهاية.

انتهى كل شيء وتم الإقفال على مياسم في غرفتها بعد تقييدها. ثم قال ماجد للخادمة سهير

- ابقي معها، فهي لا تشعر بالأمان سوى معك.

كان يجلس على مقعده في غرفة القراءة ويتضح على وجهه التوتر.

اقتربت منه زوجته وقالت له:

- ماذا سنفعل الآن، لقد فضحنا ولقد انفصلت اختك في ليلة زفافها.

- اصمتي!

- أتوقع أن أختك تعاني من الجنون.

نهض واقفل بيده فم زوجته ليقول لها:

- لا تنطقي شيئًا، لا تنطقي بأي شيء الآن فأنا لا احتمل.



ثم خرج نحو غرفة أخته وفتح الباب ليجدها نائمة وبجانبها سهير فقال لها:

- هل استيقظت؟

- كلا، ما زالت نائمة.

اقترب منها ليضع يده على رأسها، ولكن فور أن لمس بيده رأسها حتى فتحت عينيها باتساع وقالت بصوت غريب ممزوج بعدة أصوات:

- أخرج من هنا.

علم وقتها ما يحدث لأخته، فهذا ليس صوتها، بل هو صوت شيطاني متلبس بها، أي أن ما يستحوذ على جسدها ليس شيطانًا واحدًا، بل العديد منهم.

إن كان ذلك الشيطان (عاشقًا) فهو لن يسمح باستحواذ شياطين أخرى على جسدها. الشياطين العاشقة تحب التملك، إذًا فهذا الذي داخلها ليس شيطانًا عاشقًا!

كل تلك الأشياء جاءت داخل عقله فور سماعه لصوتها، ليقول:

- لماذا أخرج من هنا، هل تخافون مني!

سرعان ما تحولت نظراتها الغاضبة إلى ضحكات ساخرة لتقول له:

- نحن لا نخاف، بل نستمتع بهذه اللعبة حتى نمل منها ونرحل.

- متى ترحلون!

- بعد أن نقتل صاحب الجسد.

شعر ماجد بالغضب من تهديد تلك الشياطين له بقتل أخته. ليمسك رأسها بكل قوته ويتلو الكثير من الآيات في محاولة منه لطردهم.

لم تكن تلك الشياطين تصرخ، أو تظهر ألمًا رغم تيقنه من شعورها به، بل كانت ترسم على وجه ذلك الجسد الذي امتلكته نظرات السخرية لا أكثر.

شعر باليأس، ليخرج من تلك الغرفة نحو حديقة منزله، وفور وصوله إلى بقعة خاوية صرخ بكل قوته تعبيرًا عن شعوره بالعجز وقلة الحيلة.

كانت تنظر إليه من نافذة غرفتها في الطابق الثاني، رغم شعورها بالشفقة على حال زوجها فهو والد أبنائها رغم كل شيء، لكنها لم تشعر بالندم أبدًا.. بل أرادت لذلك الجسد المزيد من العذاب.

أصبحت كمن يشرب من ماء البحر أملًا بإرواء ظمئه، ولكنه ما زال عطشًا يتوق للمزيد.

جلب ماجد لها الكثيرون لعلاجها.. لكن دون جدوى. ظل متماسكًا حيث كان يذهب إلى عمله ويأتي بعدها لمتابعة حالتها التي تزداد سوءًا يومًا بعد يوم.

في تلك الليلة كانت تراقبها الخادمة سهير ككل يوم، ثم سرعان ما غفت على الكرسي المتحرك الذي كانت تراقبها منه.

صحت على صوت همسات بجانب أذنها تقول لها:

- سهير، انهضي يا سهير.

فتحت عينيها لتجد مياسم واقفة أمامها تنظر إليها بنفس النظرات الشيطانية في يوم زفافها. ثم نظرت إلى سريرها لتجد الحبال التي كانت تقيدها قد أتلفت بالكامل.

قبل أن تستوعب كل ما يحدث أمسكتها يد مياسم من رقبتها لترتفع عن الأرض بينما كل محاولاتها للإفلات من يدها كانت دون جدوى.

لحظات بسيطة فقط لتلفظ سهير أنفاسها الأخيرة وتصعد روحها إلى السماء. رمتها على الأرض جثة لا تتحرك وذهبت إلى المرآة لتشاهد

نفسها، ثم شاهدت وشاح زفافها فوضعته على رأسها وبدأت بالحركة أمام المرآة بطريقة عشوائية جدًا.

كانت الشياطين تتأمل هذا الجسد وكأنه دمية بين يديهم. في لحظة تأملهم لجسدها وملامحها خرجت امرأة من العدم، ترتدي وشاح أسود وعينيها سوداء بالكامل، لقد كانت الشيطانة خاتمة.

اقتربت من مياسم لتجلس الأخيرة على الكرسي أمام المرآة وبجانبها الكثير من مساحيق التجميل ثم بدأت الشيطانة بوضعها على وجه مياسم والتي تحول وجهها الضاحك لوجه مليء بالرعب، كانت تبكي بينما تلك الشيطانة تضع لها مساحيق التجميل وهي تدندن بأغنية سمعتها في يوم زفاف مياسم.

هؤلاء الشياطين مليئين بالخبث، كلما سنحت لهم الفرصة بتعذيب الأجساد الذين يستحوذون عليها لا يترددون أبدًا. يجعلون الروح لبعض الوقت تعود لوعيها فتشاهد رعبًا كالجحيم ويتلذذون بشعور الخوف الذي يصيبهم في تلك اللحظات ثم سرعان ما تذهب الروح لسباتها فتعود لهم السيطرة الكاملة على الجسد المنكوب.

جاء صباح اليوم التالي لينهض الجميع ويتفاجؤوا بجثة الخادمة سهير معلقة على إحدى ثريات المنزل بواسطة ذات الحبل التي رُبطت به مياسم.

كان الأمر مرعبا للجميع بمن فيهم مها. لم تكن تتوقع أن يتفاقم هذا الأمر للوصول إلى القتل. أبعدت أبنائها عن المكان خوفًا عليهم من رؤية المنظر بينما زوجها علم فورًا أن الفاعل هو أخته مياسم.

كان متيقنًا إن علمت الشرطة بما فعلته حتى وإن كانت تعاني من الجنون سيتم أخذها وفي أفضل الأوضاع ستحبس بين جدران مشفى الأمراض العقلية إلى أن تنتهي حياتها.

ليقوم بفعل أمر لم يتوقع مطلقًا أنه سيفعله، أخذ تلك الجثة بواسطة سيارته ودفنها في مكان بعيد جدًا عن أنظار الجميع. مكان لن يبحث بداخله أحد أبدًا، حيث الأموات نائمون فيه بسكون تام (المقبرة).

من سيبحث عن شخص مفقود داخل مقبرة بداخلها مئات الموتى. فتح أحد القبور ودفن جثة سهير بجانب الجثة المتواجدة في الداخل مسبقًا.

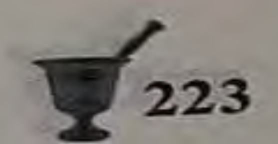
ثم أعلن اختفاءها، في الواقع تم البحث عنها كثيرًا حتى ظنوا أنها قد هربت بسبب سوء المعاملة لتعمل في بيت أخر. لم يكن الأمر ذا أهمية لدى الشرطة، الكثير من الخدم يهربون ليلًا ونهارًا ويعملون في بيوت أخرى دون أن يتم العثور عليهم.

سكتت مها وآثرت التكتم على ما حدث، فكل ما فعلته بتلك المسكينة كان كافيًا، لم تكن تنوي أن تلقي بها وبزوجها بين جدران السجن ومن يدري قد يكون الإعدام مصيرهما نتيجة جريمتين، الأولى بسبب القتل والأخرى بسبب التستر عليها.

ثم بعدها بليالي قليلة توجهت إلى القرية التي تسكن فيها الساحرة محاسن لفك السحر الذي سببته، ولكنها وجدت المنزل مقفلا من الخارج وعندما سألت المارة عن صاحبته تمت افادتها بأنها قد نالت عقابها ورحلت للأبد.

عاد ماجد إلى منزله في الليل متعبًا، لا يقوى على حمل نفسه لكنه فور وصوله ذهب إلى غرفة مياسم المغلقة ليجدها تجلس على حافة السرير بابتسامتها الشيطانية.

لم تكن تبالي بدخوله، بل كانت تنظر للمرآة وعلى رأسها ذات الوشاح الذي كانت ترتديه لزفافها بينما وجهها مليء بمساحيق التجميل.



كان الأمر مرعبًا ومثيرًا للرهبة، لكنه عقد عزمه وجلب معه الحارس أمير والسائق حسن لمساعدته على أخذها للطابق الثالث، والذي سيكون من هذه الليلة مسكنًا لها.

ذلك الدور كان مخصصًا لليث بعد زواجه، لكنه الآن أصبح سجنًا لمياسم والشياطين التي معها.

ثم استعان بآيات الله ليحرس به الطوابق من تحته. كان الأمر غريب فقد جعل ذلك الطابق وكرًا للشياطين دون أن يضع به آية واحدة.

وكأنه بفعلته أعلن الاستسلام لهم، أن يأخذوا أخته ويستحوذوا على جسدها كما يفعلون الآن على أن لا يلحقوا بأبنائه أي ضرر.

لقد فهمت سريعًا تلك الشياطين الاتفاق الذي بناه معهم رغم عدم بوحه به ووافقت عليه. تلك الشياطين الذكية، الخبيثة، المليئة بالفجور.. كانت تجيد فن اللعب.

حذر ليث وندى من الصعود للأعلى، فذلك الطابق أصبح محرم عليهم، ثم بعد أسبوعين من تلك الحادثة جاءت جمرة.

ظن الجميع أن سبب جلبه لتلك الطفلة اليتيمة هو شعوره بالذنب الذي يعتصر قلبه بسبب فعلة مياسم للخادمة سهير، وكأنه بفعلته هذه يحاول تكفير ذنبه أمام ربه.

لكن الأمر لم يكن هكـذا أبـدًا، كـان أعمق من هـذه النقطـة التي توصلت لها مها بكثير.

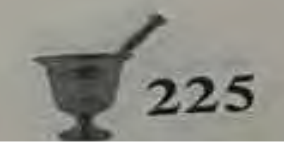
أتعلمون عن لعبة الشياطين؟ أولئك الشياطين وحبهم لأن يحركوا أجساد البشر ويتحكمون بأفعالهم كلعبة الشطرنج. تظن أنك تفعل الأصح لتنجو بينما أنت تغرق أكثر فأكثر بالوحل، وحل تصعب عليك إزالته.

في ذات الليلة التي وضع بها مياسم في الطابق الثالث وبعد نوم جميع أفراد عائلته. توجه لهم، بوجه ذليل مستعد لفعل كل ما يستطيع فعله لأجل إنقاذ عائلته منهم.

كانت تجلس بملامحها الشـيطانيـة على آخر درجة تؤدي للطابق المحرم، تعلم بمجيئه وتنتظره بفارغ الصبر.

رغم تفاجئه بشأن جلوسها بشكلٍ غريب أمامه لكنه يعلم أن الذي أمامه ليس أخته فقال:

- أخبروني ما تريدون، لماذا تفعلون كل هذا بنا؟



ضحكت، كضحكات الواثق من خضوع فريسته وقال صوت أجش رجولي:

- لا يهم، لماذا نفعل ما نفعله، ولكن المهم الآن، كيف ستنقذ هذا الجسد البائس وصاحبته منا.

- سأفعل ما تطلبون مني فعله، أي شيء تطلبونه.

ثم امتزج الصوت الرجولي الخارج من جسدها ليتكون من ثلاث أصوات (صوت طفل، امرأة، وصاحب الصوت السابق) ليقولوا بصوتٍ واحد:

- جمرة، نحن نريد جمرة.

لم تكن ذاكرته تسعفه بتلك اللحظة المرعبة لتذكر من هي جمرة، ولكن سرعان ما ارتسمت بذاكرته تلك الفتاة في مكتب الضابط والذي كان يحقق معها عما تفعله برفقة والدتها بين القبور.

لا يعلم لماذا هذه الشياطين تطلب الطفلة، وما سيفعلون بها، هل يريدون منه قتلها؟ أم جلبها إليهم فقط؟

لكن لا يهم، يستطيع فعل كل ما يرغبون به أن يفعله لأجل إبقاء عائلته وأخته على قيد الحياة. كان موقنًا أن الله سيسامحه على كل ما يفعله، فهو مرغم لا راغب. أوليس الدفاع عن النفس والعائلة أولى الأولويات؟

هذا ما كان يحاول إقناع عقله فيه ليرتاح قليلًا من تأنيب الضمير الذي أصابه.

لكن تلك الشياطين لم تطلب قتلها، أو جلبها إليهم، بل كل ما طلبته منه هو أن يحتويها في منزله، إلى أن يحين الوقت ليأخذوها منه ثم بالمقابل لن يمسوا عائلته بسوء وهذا الجسد الذي يستولون عليه سيكون آمنًا تحت سلطتهم.

(15)

همام وعمام

نهضت من نومها بشهقة أخرجتها وكأنها قد كانت في عمق الجحيم. فور نهوضها من ذلك الحلم الذي تتمنى لو كان حلم حقًا شعرت بوجود شيء في غرفتها.

أمام المرآة تقف امرأة ترتدي ثوبًا أبيض مطرز بالكامل وتضع وشاحًا أبيض على رأسها كأوشحة العرائس، نور ضئيل بسبب فانوس لم تشاهده من قبل بجانبها.

كان يعكس وجهها على المرآة لتتعرف جمرة عليه سريعًا، لقد كانت مياسم.. ترتدي ذات الرداء الذي أرتدته في الحلم.

هل ذلك الحلم حقيقي، هل حصـــل حقًا! هل السـيدة مها، تلك الملاك فعلت كل هذا بهذه المسكينة.

صراع غريب، مخيف، مثير للاشمئزاز يجول في عقلها. خوفها من تلك المخلوقة المتواجدة في غرفتها وعدم تصديقها لعمق السواد الذي يعيش داخل الأشخاص الذين ظنت بهم خيرًا.

كان الباب مفتوحًا بأكمله، ودت لو تستطيع الهرب من غرفتها.. من هذا المنزل بأكمله، لكن قدميها تأبيان الاستجابة لها. لقد خذلها جسدها مثلما خذلها جميع من حولها.

تمنت لو كان بمقدرتها أن تخرج من هذه الأرض وتبتعد عن الجميع وإن كان خروجها يعني الموت. فما أجمل الموت مقارنة بمواجهة سواد البشر وأحقادهم على بعضهم.

التفتت لها مياسم بذات الابتسامة الشيطانية التي أصبحت جزء لا يتجزأ من ملامحها. ثم بدأت بالتحرك نحوها وهي تردد بصوت رجولي تذكره جيدًا:

- جمرة، لقد اشتقت إليكِ.

أصبحت ترتجف داخل غطائها بينما ذلك الشيطان يتقدم نحوها حيث أصبح لا يفصل بينه وبينها شيء، لمس شعرها الحريري ثم بدأ بلمس وجهها ليقرب وجه مياسم منها أكثر فأكثر فهمس لها:

- أحبتك.. رغبت بك منذ ولادتك.



أغمضـــت عينيها رغم خروج الدمع منها وقالت بصــوت يرتجف خوفًا:

- أرجوك، لقد سئمت ما تفعلونه بي، فقط ارحموا ضعفي ودعوني أو اقتلوني مثلما فعلتم بأمي وأبي.

شعر في تلك اللحظة وكأن خنجرًا مسمومًا يغرز داخل قلبه، لقد فعل المستحيل لحمايتها رغم ادعائه عكس ذلك.

هي لا تعلم أن الشياطين إن أحبت، فعلت المستحيل لأجل من تحب وإن كلف الأمر قتل جميع من في الأرض.

ابتعد عنها رغم رغبته بالبقاء بجانبها إلى نهاية الزمان.. إلى ما بعد هذا الزمان. لتشعر بعدها بسكون غريب، وكأن لا أحد بجانبها فتفتح عينيها وتمسحها من الدمع لترى إن كان موجودًا، ولكنها لم تجده.

بحثت بعينيها في أرجاء المكان، ولكن لا وجود لمياسم في المكان، سرعان ما نهضت من مكانها وركضت خارج المنزل.

جلست في الحديقة وقلبها يرتجف من شدة الخوف. تذكرت عندما كانت طفلة، كيف أنها تهرب خوفًا من منزلها لتشعر بالأمان وتحتمي بذلك الزقاق القذر طوال الليل حتى تأتي والدتها، ولكنها الآن تعلم

جيدًا أن والدتها لن تعود أبدًا، لقد رحلت لمكان لا رجعة منه، لقد رحلت للخلاص.

في تلك الأثناء شاهدت نافذة غرفة ليث مفتوحة بينما هو ينظر إليها متأملًا. شعرت بالخجل منه، لا تعلم كم من الوقت له وهو ينظر إليها هكذا. اختفى من امام عينيها في لحظات لتجده قد أصبح أمامها ليقول لها:

- لم أستطع النوم، وعندما رأيتك تجلسين هنا علمت أن النوم قد هرب بعيدًا عنك أيضًا.

نهضت من مكانها وابتسمت له وقالت:

- في الحقيقة، كنت سأذهب لغرفتي الآن.. عن أذنك.

ليقول لها سريعًا:

- انتظري أرجوك، هل أستطيع اخبارك بأمر كنت أود قوله لك منذ وقت طويل؟

كان ينظر إليهم من الطابق الثالث والغضب يملأ قلبه، كيف لهذا البشري أن يقترب منها هكذا، وكيف تسمح له بذلك.



في تلك اللحظة وقفت بجانبه خاتمة ونظرت إلى نفس المكان الذي ينظر إليه لتقول بسخرية:

- أخبرتك منذ زمن، أن البشر والشياطين لا يتجمعون إلا لغاية واحدة فقط.. غاية الأسياد وامتلاك عبيدهم.

كان الشيطان الصغير ليلاس ينظر إليهم دون فهم في زاوية المكان بينما هو يردد:

- اشتقت إلى والداي، أرغب بأن ينتهي كل شيء وأعود إليهم.

نظر إليه همام وقال له:

- ولماذا لا ترحل إذًا...!

أشار إلى جسد مياسم والذي كان السبب في منعه من الرحيل وقال:

- لنقتلها، دعونا ننتهي منها لنتحرر جميعًا.

ما زالت خاتمة تنظر إلى جمرة غير آبهة بذلك الجسد الذي استولوا عليه نتيجة ألاعيبهم التي قاموا بها ضد محاسن. لتردد وقد أشاحت بعينيها نحو همام:

- لا أهتم إن أردتم قتلها سأفعل، لكني أود مكافئتي.

علم همام سريعًا ما تريد ليقول وعينيه مليئة بالغضب:

- وما هي مكافئتك!

ابتسمت له وأشارت بيدها نحو جمرة الجالسة في حديقة المنزل. ضحك ساخرًا منها وقال:

- تعلمين أنني قد أقتلك، مثلما فعلت بذلك الذي قبلك إن لمستي شعرة واحدة منها!

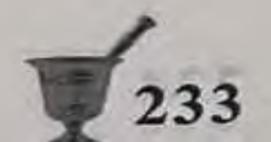
- يا لك من مسكين يا همام، رغم قوتك سقطت في حب قربان، أضحية، شخص مملوك منذ ولادته لنا نحن الثلاثة.

قال ليلاس بينما يده تعبث بدميته خالية الرأس:

- إن أراد همام نصيبي منها فليأخذه، ولكن في المقابل، لنقتل هذه التي أمامي.

ابتعد عنهم وجلس قريبًا من ليث وجمرة ليستمع لكل ما يدور بينهم. في تلك الحديقة حيث السكون رغم أصوات أوراق الشجر التي صدرت نتيجة للهواء، جلست جمرة أمام ليث وجهًا لوجه وقد لاحظت عليه الارتباك من تصرفاته فقطعت ذلك الصمت وقالت له:

- ما الذي ترغب بالحديث عنه؟ أنا اسمعك..



- في الحقيقة يا جمرة، لا أعلم إن كنتِ تبادلينني ذات الشعور ولكن قلبي يرفض الاستمرار بكتم مشاعره أكثر من ذلك..

كانت جمرة تدعو الله كثيرًا في داخلها ألا يكون ما تفكر به، ولكنه قال لها مقاطعا تلك الدعوات ومخيبًا لرجائها:

- أنا احبك.. أحببتك منذ أن شاهدتك أول مرة، ولكنني لم أستطع أن أميز ما يعنيه ذلك الشعور فتعمدت تجاهلك لعل ما أشعر به يزول، ولكن.. كان شعوري كل يوم يزداد أكثر فأكثر، أنا أحبك.. أكثر مما يتصوره عقلك.

رقص قلبها بتلك الكلمات، شعرت بالحب لأول مرة في حياتها لكنها سرعان ما تراجعت.. عجزت وقتها عن الرد، فهي لا تستطيع أن تكون معه رغم إعجابها به، تلك اللعنة ما زالت تطاردها. وإن كان ما تفكر به صحيحًا فيبدو أن تلك العمة هي الضحية رقم ألف لوالدتها.. والضحية رقم واحد لوالدته أيضًا.

كان ينظر لها راجيًا أن تقول شيئًا فالصمت يقتله أكثر من رفضها له، فقالت منعًا لانتظاره:

- تستحق الأفضل يا ليث، أنا وأنت لا يمكن لنا أن نكون معًا.

خيبة أمل كبيرة تم رسمها على وجهه، ولكن سرعان ما عاد للابتسام وقال لها:

- أنا لا أرغب بغيرك، لديك كامل الوقت للتفكير، سأنتظرك.

وقبل أن ينهض أخرج علبة بلون البنفسج من جيبه منحوت عليها جملة (ابنة قلبي) لتفتحها جمرة وتجد قلادة ذهبية بداخلها زمردة مرسوم عليها رمز القمر والشمس.

اتضح على وجهها الانبهار منها فقال لها:

- هذه هديتك.. لقد جلبتها لك من رحلتي ولم أحصل على الوقت المناسب لتقديمها لك، أتمنى أن تعجبك.

لم يدع لها المجال للنقاش معه، حيث إنه ابتعد فورًا لخارج المنزل. لتذهب إلى غرفتها وتتأمل هذه القلادة ثم دون شعور منها ارتدتها وركضت إلى المرآة لتشاهد منظر عنقها بعد إضافتها لتلك القطعة الثمينة فابتسمت سريعًا تعبيرًا عن رضاها.

كان جالسًا في حديقة المنزل، في نفس المكان الذي كانا يجلسان فيه جمرة وليث والغضب مرسوم على وجهه. كيف له أن يقترب منها، كيف لها أن تقبل هديته.. شعر برغبة قوية بقتله والتخلص منه.

في تلك الأثناء ظهرت خاتمة من العدم وجلست في نفس مقعد جمرة التي كانت تجلس عليه، بجانبه لتقول بسخرية:

- ها هي محبوبتك طفلتك، من فعلت المستحيل لحمايتها منا.. قلبها ينبض عشقًا لبشري من نفس جنسها.

ليتمتم بصوت أشبه بالهمس:

- سأقتله.

- ولماذا لا تقتلها معه، سأتنازل عن نصيبي منها إن كانت غايتك قتلها.

نظر نحو خاتمة بغضب أثار مخاوفها ليقول لها:

- ارحلي من هنا، قبل أن أجعلك كسابقكِ يا خاتمة.

لتختفي بلمح البصر من أمام عينيه وكأنها لم تكن..

نام.. نام

فـأنـت في حضــن الهـمام

من قَتل لأجلك سبعون جان

في بـحـر يـمـلأه الجـفـاف

قـد لـوثـتـه دمـاء الـعـمام

فـمـن همـام ومـن عـمام

هـم أسـيـاد المـكـان

نام.. نام

فـأنـت في حضــن الهـمام

قبل ثمانية عشرة عامًا، عند ولادة جمرة، وكانت محاسن تنازع وحدها لإخراجها إلى هذه الدنيا.

كان ينتظر خارجًا، بكل شوق للقاء طفله.. رغم علمه أن هذا الطفل سيكون ذا حظ سيء لسبب واحد فقط، أنه والده.



كم تمنى في تلك اللحظة لو أنه يستطيع الخلاص من كل شيء ويبدأ من جديد صفحة بيضاء لم تلوث ابدًا فينسج لها حياة نقية ليعود له نقاء قلبه الذي هرب منه سنينًا طويلة.

ليته يستطيع العودة، العودة إلى ذلك المكان، ذلك الزمن حيث الكتاب..

العرين

(مطلب السحرة)

ملحق

(قصة مالك)

كان يتجول في الجبال بحثًا عن الحطب، حيث إن والدته هتار قد قررت مصير أبنائها دون خيار منهم.

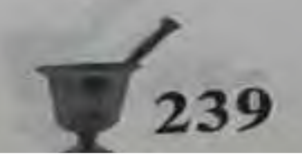
الأصغر حامد سيكمل تعليمه، بينما الأكبر مالك سيعمل ليلًا ونهارًا بحثًا عن الرزق.

رغم توق مالك للعلم لكنه لم يستطع إكمال دراسته، فحياته كانت بأكملها عبارة عن رعي الأغنام نهارًا وجلب الحطب ثم بيعه في السوق حتى نهاية اليوم ليحضر لوالدته ما يسد به جوعها ويسمح لحامد بمواصلة تعليمه.

في الواقع، لم يكن بين مالك وأخيه فرق كبير، كل ما كان بينهم سنة واحدة فقط، ولكن لعنة الأخ الأكبر حلت عليه ليحمل مسؤولية العائلة بأكملها بعد وفاة والده من الطاعون.

كان مهووسًا بالقراءة، يقرأ كل كتاب يقع بين يديه، وكثيرًا ما كان يأخذ الكتب من أخيه خلسة دون علمه ليصرخ في وجهه ذات يوم فور اكتشافه لذلك قائلًا:

- اترك كتبي، لا حاجة لك بها.



هتار تلك المرأة التي كافحت لأجل أبنائها، فهي أيضًا تقضي معظم وقتها بخياطة الثياب وتوليد النساء مقابل القليل من المال لتزيده على ما يجنيه مالك.

كانت تشعر بالأسى على ابنها الأكبر، لكنها لم تجد خيارًا بديلاً لما تفعله. أن يتعلم أحد أطفالها خير من جهلهم جميعًا. ظنت أن حامد، ذلك الطفل المدلل ما إن يقف على قدميه ويعمل في وظيفة تليق بعلمه سينتزع عائلته من الوحل ليرتاح مالك قليلًا من مشقة العمل المتواصل.

في ذلك اليوم، ذهب مالك كعادته إلى الجبال لرعي الغنم وجلب الحطب. في عمق الوادي شاهد كوخًا صغيرًا، لم يره من قبل رغم أنه قد جاء إلى نفس المكان عشرات المرات.

شعر بشعور غريب، فضول قوي يدفعه للدخول حيث نادى من باب الأدب قبل دخوله:

- هل هنالك أحد، هل استطيع الدخول؟

لكن لا مجيب، مما جعله يدفع الباب الذي فتح بكل سهولة ليطلق عينيه لتنظر في كل زوايا المكان. ذلك الكوخ، المهترئ مليء بالكتب.. مليء بكل أنواع الكتب.

شعر أنه في أعالي الجنان، لقد ترك أغنامه وكومة الحطب التي التقطها طوال اليوم ليجلس في ذلك الكوخ ساعات وساعات يقرأ.

كانت الكتب رغم جمالها ووفرة العلوم فيها مختلفة عن تلك التي يستعيرها خلسة من أخيه. فهذه العلوم مختلفة تمامًا، أشبه بعالم آخر لا وجود له في هذا الكون.

كان علمًا مشوقًا ومبهرًا للعقل حيث إن عقله أصبح جشعًا طماعًا يرغب بتعلم الكثير والكثير منها.

بين كل تلك الكتب، هنالك كتاب أثار اهتمامه، (العرين).

ذلك الكتاب الغريب، المليء بالقصص من كل زمان ومكان. لذلك الكتاب ميزة، فهو يجلب لك العلم على شكل قصة فكلما قرأت منه أكثر فتح لك باب آخر من أسرار الكون.

في جانب كل قصة هناك تكمن قوة العلم الذي تعلمه لصاحبها، ونستطيع من خلاله فتح تلك البوابة الخفية عند حل لغز القصة ذاتها.

من بين السحرة الذين امتلكوا هذا الكتاب لقد كان مالك الوحيد بينهم الذي علم سرًا من أسراره في ذات الجلسة الأولى التي جلس بها يقرأ صفحاته رغم أن عمره وقتها لم يتجاوز السادسة عشرة بعد.

كان مالك ذكيًا جدًا، فطنًا بطبعه. علم فورًا أن هذا الكتاب لا يعطيك حبًا، بل يأخذ منك مقابل ذلك العطاء. فكان يتعمد كسر هذه القاعدة معه، أن تواجه الخبث بالخبث ذاته أمر جميل.

لم يشعر بتأخر الوقت عليه إلا عندما سمع صوت إحدى أغنامه، ليترك ما في يده ويخرج من ذلك الكوخ فيجد الظلام دامسًا وليس هناك أمامه سوى نعجتان تأكلان من حشائش الأرض وكومة الحطب التي وضعها في ذات المكان.

شعر بقلبه يدق خوفًا من والدته، ماذا عساه أن يقول لها الآن وبقية الأغنام لا أثر لها، ستقتله لامحالة.

بدأ بجمع حطبه وأخذ المتبقي من أغنامه ليجوب في أرجاء الجبال بحثًا عن البقية وبيده فانوس يضيء ما حوله أخذه من ذات الكوخ الذي كان فيه.

لم يجد لهم أثرًا ليعود لمنزله خائفًا، منكسرًا، منتظرًا للعقاب. لكن فور وصوله تفاجأ بأن تلك الأغنام قد عادت لمكانها، بل أنها كاملة أربعة عشر واحدة.

بحث بعينيه عن تلك النعجتان التي كانت معه لكنه لم يجد شيئًا سوى كومة الحطب التي حملها على ظهره.

كل ليلة كان يعتكف بين الجبال، ويترك أغنامه ترعى بمفردها فهو أصبح يعلم أنها ستعود لمكانها مثل كل مرة، ويتم جمع الحطب دون بذل جهد منه ليترك له خارج ذلك الكوخ، وعند استعداده للعودة إلى منزله سيجدها أمامه.

كل شيء كان جميلًا، الأموال تأتي إليه دون تعب، الأغنام تتكاثر ووالدته سعيدة بما يفعله. لم يجد في الأمر شيئًا سيئًا، لقد أعجبته هذه الحياة رغم غرابتها، وقد اكتسب أيضًا الكثير من العلم بسبب تلك الكتب المصفوفة على جدران الكوخ.

بعد ثلاثة أشـــهر من انغماســـه بين الكتب، بدأ بتطبيق ما تعلمه منها ليستدعي الطفل ليلاس ويأخذه عنوة من والديه بفضـــل العهود السليمانية. قال له ويديه ترتجفان خوفا:

- في خدمتك يا مولاي.

بينما والديه كهنوت وكيدارا يراقبانه على بعد عدة خطوات منهم. لم يكن يرغب مالك بهم، فقدراتهم لا تناسبه ابدًا. كانوا يجلسون دومًا على بعد خطوات من ابنهم عندما يتم استدعاؤه، وكان هذا الأمر يشعر مالك بالانزعاج منهم لكنه كان صامتًا لا ينظر إليهم وكأنهم غير مرئيون بالنسبة له.



ليلاس، يعد من الشياطين الهجينة من فصيلتين محرم عليهم الزواج من بعضهم (شياطين الأرض) و (شياطين الرياح). بسبب فعلتهم التي سببت حروبًا لا حصر لها، لذلك تم نفيهم بعيدًا جدًا عن عالم الشياطين.

ليعيشــوا بالقــرب من عــالم البشــر، بين الجبــال، أو في الخرابات المهجورة.

ليلاس كان يجيد شيئًا جعله مهما جدًا لدى مالك، كان يجيد التحدث مع القرين. من المعروف أن القرين نوع مختلف رغم انتماءه للجن.

والقرين ليس فقط مربوطًا بالبشر، بل هناك قرين لكل مخلوق على وجه الأرض بما فيهم الحيوانات، والجن أيضًا لكل واحد منهم قرين من جنس مختلف عنهم.

من المعروف أن القرين يعلم كل أسرار الشخص الذي يرافقه إلى مماته. ثم يبقى عند قبره مربوطًا به إلى أن يموت معه أو يأتي من يطلق سراحه.

الأسرار مطلب مالك، فإن علم أسرار الموتى المندثرة لاستطاع أن يحقق ثروة تسعد والدته وتريحه من رعي الأغنام وجمع الحطب.

رغم ذكاؤه كان هدفه بسيطًا جدًا، بسيط لا يكاد يذكر. أمر مثير للسخرية أن تفعل أعظم الأشياء لأجل شيء تافه، لكنه في النهاية يشكل هدفًا.. وهذا الهدف هو أسمى ما يسعى إليه مالك.

بدأ بتحضير كل شيء ليقوم بفعلته، أراد العلوم المندثرة. أراد القيام بشيء لم يتجرأ شخص قبله على القيام به. دائرة كبيرة خطها بيديه من دماء إحدى الأغنام التي معه ورسم داخلها حروفا لرموز تعلمها من كتاب (العرين)، لينادي على قرين الساحر مؤلف العرين ذاته علي الأفرهاني. الغريب في الأمر والذي جعله هو وخادمه الشيطان ليلاس، ينظران للزوار غير مصدقين لما يحدث أمامهم.

ذلك الساحر لم يكن يمتلك (قرينًا واحدًا) بل كان يمتلك ثلاثة منهم خاتمة وعمام وهمام.

كان غريبًا، غريبًا جدًا حيث قال لخادمه:

- ليلاس هل أنت متأكد من أننا فعلنا الطريقة الصحيحة؟

أومأ برأسه وعينيه ما زالت تنظران لتلك المخلوقات الثلاث برهبة وخوف. أن يخاف شيطان، هذا أمر لا يبشر بالخير أبدًا، ذلك ما شعر به مالك وقتها.

أراد أن ينهي ما فعله ويعيد تلك المخلوقات لأماكنها لكنه لم يستطع، تلك المخلوقات قد خرجت من وكرها وفكت قيودها. ومن الذي سيعود لسجنه متربعًا أمام قبر جثة قد انتهى أمر صاحبها منذ زمن بعيد؟

نظراتهم نحوه كنظرات الثعابين لفريستها، كانوا يقفون في منتصف الدائرة منتظرين منه تحرير آخر جزء منهم ليخرجوا.

لم يعد يستطيع التراجع، سيبقون هكذا، يهمسون له ليلًا ونهارًا لأجل تحريرهم حتى يصيبه الجنون. هذا ما كان يقوله له ليلاس، أن القرين لا تستطيع تصريفه كما تفعل بمن لا يعجبك من الجن والشياطين.

عندها أمرهم بخدمته والموافقة على جميع العهود التي تسخرهم له. هم أيضًا لم يكن لهم القرار، هم يودون الحرية ورؤية هذا الكون من زاوية مختلفة.

جميعهم مجبرين، ليوافقوا مكرهين فيصبحوا خدمًا في عينيه بينما هم في الواقع المتحكمون به.

سرعان ما أصبح يخدمهم، عوضًا عن خدمتهم له، يهمسون له ما يودون منه فعله ليقوم به طواعية دون إرادة منه، حتى أصبحت والدته تطلب منه الزواج ليجبروه كذلك على موافقتها.

وفود أن جاءت ابنته، أخذها للجبال في ذلك الكوخ، وبدأ يبكي ويتوسل إليهم الرحيل، فطلبوا منه ابنته (قربان)، ليرحلوا عنه، فور امتلاكهم لها. كان هذا طلب هيام الذي عشقها منذ ولادتها.

في الواقع، لكل واحد منهم غاية في نفسه عندما اجتمعوا جميعهم على أخذها كقربان مقابل حرية والدها.

عمام، وجاحة أرادوا أن تفتح لهم أبواب الكنوز المحرمة عليهم بسبب زرهريتها.

بينما ليلاس، لم يكن يرغب بغير الخلاص من تلك العهود التي تقيده بالجبل لعائلته، وظن إن وافق على أخذها كقربان سيتحرر من والدها مقابل أن يعطيه نصيبه منها.

كل واحد منهم لديه هدف، هدف مختلف عن الآخر. أصاب الطمع قلب جاحة بعد أن أصبحت جمرة، قربانًا مملوكًا للأربعة. لم تكن ترغب بمشاركة أحد منهم بها فبدأت بزرع الفتن بين عمام وهمام لتهمس للأول بكلمات وتهمس للآخر بكلمات أخرى حتى زرعت في داخلهم العداوة بسبب جمرة فقالت لعمام ذات ليلة:

- لماذا لا نقتل همام فقد أصابته تلك البشرية عشقًا سيجعله عقبة في طريقنا

- لن نقتل أخانا (يا خاتمة).

اقتربت منه وهمست في أذنه:

- لكني سمعته يحادث ليلاس عن الطريقة المثلى لتخلص القرين من توأمه، هو من أراد قتلنا أولًا لذلك علينا الدفاع عن أنفسنا.

نظر عمام نحو ليلاس وقال له:

- هل ما تقوله خاتمة، صحيح؟

كان خائفًا منها، حيث إنها هددته بقتله وقتل عائلته أجمع، أضعف قرين تتساوى قوته بقوة ملوك الجن والشياطين، وإن أرادت قتله ستفعل بكل سهولة.

ليقول بتردد واضح في صوته:

- صحيح، لقد طلب مني طريقة التخلص منكم لكني أخبرته أنه لا توجد طريقة لفعل ذلك.

شعر عمام، بالغدر من أخيه، توأمه.. من جمعهم القدر برفقة بشري واحد ثم سرعان ما تحول ذلك الحب إلى حقد كتمه في نفسه لأيام طويلة.

ذهبت بعدها خاتمة، إلى أخيها همام وقالت له:

- أعلم أنك تعشق هذه البشرية، ولا ألومك ابدًا نحن لا نستطيع التحكم بقلوبنا.. وحقًا أرغب بالتنازل لك عن نصيبي منها وسيفعل ليلاس ذلك فهو لا يطمح بغير التحرر من قيوده لكن عمام لن يرضى ابدًا، لقد أخبرني عن نيته بأخذها اليوم لكهف أرابينسا لفتح تلك البوابة واستخراج الشياطين أجمع منها.

- هل حقًا عمام، ينوي فعل ذلك!

- اسأل ليلاس لقد كان معنا عندما أخبرني بذلك.

وكما كذب ذلك الطفل أول مرة مكرهًا فعلها هذه المرة أيضًا ليبدأ نزاعهم بقتل همام لشقيقه عمام بطعنة في قلبه جعلت روحه تغادر هذا العالم في ذات اللحظة بينما جسده نزف دمًا أسود اللون ليغرق به الجبال بأكملها، وكأن فيضانًا في تلك المنطقة الجافة قد أغرق كل ما فيها.

انتهت خاتمة من العقبة الأولى لتبدأ بمحاولة قتل الآخر، لكنها أضعف منه بكثير، فهمام يكون الأقوى بينهم.

ذهبت إلى عالم الشياطين واستعانت بسبعون منهم مقابل خدمتها لهم، فالشياطين أيضًا يحتاجون القرين بالكثير من الأشياء.



ليقتلهم في ذات المكان الذي قتل فيه عمام، دون أن يصيبه أي أذى.
كان قويًا، قويًا جدًا.. حيث يعد من فصيلة (القرين الأسود) بينما عمام وخاتمة هم كالتوابع له.

لم تكن تعلم ذلك، لكنها في نهاية الأمر فهمت كل شيء وعلمت أنها لن تستطيع مواجهته ابدًا.

فضلت البقاء بجانبه لرؤية ما سيكون مصير هذا الحب المحرم، بين قرين لا يعلم ماهية الحب وبين بشرية لم تنطق أحرفها الأولى بعد.

كل هذا حدث بعد أن أصبحت محاسن سيدتهم، مسكينة تلك المرأة.
وضعت شرطًا ظنته سيجدي معهم حيث إن الشرط يحوي كلمة (الشياطين) لكنهم ليسوا شياطين من الأساس!

فذلك الاتفاق وكل ما فعلته بألف بشري ذهب أدراج الرياح.

في الواقع كان من المقدر أن يفيد هذا الأمر مع ليلاس، وكم تمنى هو ذلك، لكن ليلاس لم يعد ملك مالك، بل كان تابعًا لخاتمة بعد أن نقل مالك منذ زمن عهوده لها.

غريب، كل شيء في هذه الأرض غريب جدًا، أن يخدم شيطان قرينًا بذات العهود التي يستخدمها البشر للاستحواذ عليه، أمر جعله هو ذاته يستسلم لكل شيء يحدث له.

ليتك تعلم..

أني بنيتك من سواد قلبي،

وزرعت في داخلك شرور نفسي.

(16)

الكفاح من أجل الخلاص

فور وصولها ركضت إلى غرفة جمرة والتي ظلت منعزلة عن الجميع لا ترغب برؤية أحد، لتطرق الباب بكل قوة فتصرخ الأخرى قائلة:

- أخبرتكم أني لا أرغب بالخروج ابدًا.

همست السيدة مها لابنتها بحزن شديد:

- لا نعلم ما أصابها، أخبرني ليث أنه طلب منها الزواج ليلًا قبل شهر من الآن ومنذ ذلك الحين وهي منعزلة في غرفتها، تجلب لها الخادمة الطعام وتأخذه لتغلق الباب مجددًا.

- سأتصرف لا عليك.

لتقول بصوت عالي:

- افتحي لي يا جمرة لقد جلبت لك كل ما طلبته من ثياب وكتب ومجوهرات، كل شيء لأجلك.

في تلك اللحظة فتح الباب سريعًا بأكمله لتقفز جمرة إلى حضن أختها وعينيها مليئتان بالدموع وهي تقول:

- لقد اشتقت إليك، لماذا رحلتي كل هذه المدة عني.

أرادت السيدة مها الاقتراب من جمرة لمعانقتها، ولكن الأخيرة أشاحت بوجهها عنها وسحبت معها ندى لتدخل وتغلق الباب خلفهم.

تلك الملامح الحزينة التي كانت ظاهرة على وجه السيدة مها تبدلت ليحل محلها ملامح الغضب.

تسامروا كثيرًا بتلك الغرفة حيث أخبرتها ندى كل شيء حدث في ذلك الشهر، وأن جميع النساء في مصر يتنافسن بأناقة وجمال فساتينهن. ثم سرعان ما جلبت لها الكثير من الفساتين بمختلف الألوان والتي تعلم جيدًا أنها تناسب ذوق جمرة.

كانت جمرة تقيسهم جميعًا وتنظر في كل مرة للمرآة بانبهار شديد. ثم ناولتها ندى الكتب الكثيرة التي اختارتها بعناية لها، فذوقها في الكتب غريب جدًا حيث تهوى كتب الفلاسفة والتي كان الشيخ ماجد يجلبهم لها خلسة بسبب منعها هنا.

فور رؤيتها للكم الكبير من الكتب شهقت وقالت، كيف استطعتِ جلب كل هذه الكتب دفعة واحدة. والدك كان يهرب لي كتابًا واحدًا فقط في كل مرة بعد جهد كبير.

ابتسمت بانتصار وقالت لها:

- لا تسـألي، لقد فعلنا المستحيل انا وزوجي لأجل سـعادتك.. اعتبريها هدية عودة صوتك الجميل يا جمرة.

تبدلت ملامحها السعيدة للحزن وتركت كل شيء لتجلس على إحدى المقاعد القريبة من النافذة وظلت تتأمل السماء بصمت مفاجئ. لتقترب منها ندى وتجلس جانبها وتقول لها:

- أخبريني، ألم نتعاهد على قول كل ما يجوب داخل قلوبنا لبعضنا البعض.. ما الذي يحزنك؟

لم تستطع اخبارها فقالت سريعًا:

- لا شيء فقط اشتقت إليك.

- لكني عدت، ولازال وجهك مليء بالحزن.. هل هذا بسبب ليث وعرضه الزواج منك، إن كنتِ لا تريدينه لا توافقي ابدًا وسأقف معك.

ابتسمت لها لتظهر غمازتيها الجميلتين وتقول:

- ليس الأمر كما تعتقدين، كنت أتمنى الزواج من ليث وكم كنت أشعر بالغيرة في صغري عندما تتحدثين عنه أمام الفتيات في المدرسة

وتعدينهم بالزواج منه، لكني لا أستطيع قبول الزواج منه الآن، ليث يستحق الأفضل.

- من قال إنك لست الأفضل، لقد شاهدت الكثير من الفتيات طوال ثمانية عشرة عامًا ولم أجد أجمل وأفضل منك لأخي، في الواقع أشعر بأنك كثيرة عليه.

- أنتِ لا تعلمين عني شيئًا، لو علمتي ما أخفيه لكرهتني، لهربتِ بعيدًا عني، بل ستطلبين من والدك أن يطردني من هنا.

اتضـح التوتر على وجه ندى لكنها أمسـكت بيدي جمرة سريعًا وضغطت بكل قوة عليها وقالت:

- أخبريني كل شيء وأعدك، سيكون كل ما تقولينه سرًا بيني وبينك وسنصلحه معًا إن كان قابلًا للإصلاح.

في تلك اللحظة لم تستطع جمرة إخفاء ما في قلبها عنها، لتخبرها بصوت باكي عن قصتها بأكملها منذ ولادتها حتى وجودها هنا في منزلهم، بما فيه عمل والدتها الأسود للعمة مياسم ولكن ما اخفته عنها هي أفعال والديها السيدة مها والشيخ ماجد.



شعرت ندى بالصدمة، لم تستطع البوح بأي كلمة أبدًا، للحظة ظنت أن جمرة قد جنت، ولكن كيف لها أن تعرف كل التفاصيل التي لم تخبرها بها. هي تعلم أيضًا أن التحدث عن تفاصيل زفاف العمة مياسم ولحظة استحواذ الشياطين عليها ممنوعة في المنزل.

تم تغيير الخدم بالكامل، والمتبقين لم يكونوا متواجدون ليلة الحادثة، بينما حسن وأمير لايمكن لهم أن ينطقوا بهذه التفاصيل أمام جمرة، كيف لها أن تعرف اسم طليق العمة وعائلته.

كل هذا يدل على شيء واحد، أن هذه الفتاة لا تكذب ابدًا. في عمق أفكارها كانت جمرة ترجوها على عدم الإفصاح لأحد ونسيان كل ما قالته.

كانت تبكي بانكسار جعل ندى تربت على رأسها برفق وتقول لها:

- ألم أخبركِ أني معك، أنا أصدقك وسأفعل ما أستطيع فعله لحل هذه المشكلة.

- لا تخبري أحدًا أرجوك.

- لن أفعل، أعدك.

استأذنت ندى من زوجها على أن تبيت عدة أيام في منزل والديها، وشرحت له أن أختها مريضة ويجب عليها البقاء بجانبها فقبل بالأمر

وقال لها:

- لا تقلقي، خذي كامل وقتك حتى تعود جمرة لوضعها الطبيعي.

بدأتا بالتخطيط سويًا للقيام بأول مهمة لإيجاد العمل الذي يربط تلك الشياطين بالعمة مياسم لتقول ندى بعد وقت من التفكير:

- لنذهب إلى تلك المقبرة التي أخبرتني أنكم قمتم بدفنه داخلها.

جمرة بيأس:

- أشك أني سأعلم مكان القبر الذي دفنا فيه العمل، فتلك الحادثة حصلت منذ زمن طويل.

- دعينا نذهب لن نخسر شيئًا وسنجعل الخادمة مينا تراقب المكان لنا، هي لا تفشي الأسرا ر ابدًا

أخبرت ندى السيدة مها، أنهم سيذهبون لزيارة إحدى صديقاتها، فاليوم سيكون زفاف أخيها، وقد يفيد هذا الأمر جمرة لتعود لطبيعتها. حاولت أن تذهب معهم لكن ندى همست لها بعيدًا عن جمرة:

- دعيني أتقرب منها أكثر لأعلم سبب حزنها، لن تخبرني بأي شيء إن أتيتي معنا.



- معك حق، لكن هل أخبرتِ زوجك؟

- نعم أخبرته، وهو موافق لا عليك.

ذهبوا مع السائق والخادمة بفساتين تناسب الاحتفالات وكان ماجد ينظر إليهم من نافذة غرفته بتوتر شديد. لتدخل عليه زوجته فيقول لها:

- أين سيذهبون؟

- أخبرتني ندى أنها ترغب باصطحاب جمرة لزفاف أخ صديقتها لتبتعد قليلًا عن المنزل لعلها تعود كما كانت.

كان يمسك يديه بطريقة غريبة تعبيرًا عن توتره وخوفه فقالت له:

- ما بك، أنت أيضًا مثلها منذ انعزالها أصبحت غريب الأطوار يا ماجد.

- تلك الفتاة، لابد أنها تتواصل معهم.

- لم أفهم، تتواصل مع من!

شعر بالارتباك فور سؤال زوجته، لقد كان يحادث نفسه دون أن يدرك كان صوته عاليًا بما يكفي لتسمعه فقال:

- لا لا عليك، اخرجي الآن أرغب بالنوم.

- لن أخرج قبل أن تخبرني ما تقصده بكلامك هذا.

ثم أكملت بشك:

- أنت لم تجلبها بسبب حزنك على يتمها أليس كذلك؟ هنالك أمر خفي لم تقله لي.

أراد التحدث، ولكن صرخة من الطابق الثالث جعلته يركض للأعلى بدون شعور وهو يصرخ باسم أخته مياسم.

في مكان أخر وفي ذات الليلة سكون مخيف بجانب أسوار المقبرة، أرادوا الدخول، ولكن هناك من يحرس بوابتها. قالت جمرة بتوتر:

- ذلك العجوز هو نفس الرجل الذي كان يحرس المقبرة عند إمساك والدتي من قبل الشرطة قبل سنوات.

صمتت ندى قليلًا ثم سرعان ما أخرجت ثلاثة من أساورها الذهبية وأمرت السائق أن يذهب وينتظرهم في نهاية السور.

فور نزولهم توجهت للحارس وقالت له:

- يا عم، هل تسمح لنا بالدخول؟

- اذهبي يا امرأة من هنا، فالمقابر محرم دخولها على النساء.

- صحيح، لكن كل شيء قابل للشراء، بما فيه قبولك وخضوعك أيضًا.

أظهرت له الثلاث أساور ليفتح عينيه بأكملها من شدة الدهشة وأراد سريعًا التقاطها لكنها ابعدتها عنه وقالت:

- خذ واحدة الآن، سأعطيك الاثنتين المتبقيتين في طريق خروجنا بعد أن ننتهي.

ابتسم بسعادة عند التقاطه لتلك الإسورة والتي علم جيدًا أن قيمتها لوحدها ستنتشله هو وعائلته من الفقر سنوات طويلة فقال:

- لطالما كنت أؤمن أن زيارة القبور، تحل للذكور والإناث على حد سواء، تفضلوا.

قبل دخولهم همست للخادمة مينا:

- ابقي معه، لا تجعليه يذهب إلى أي مكان.

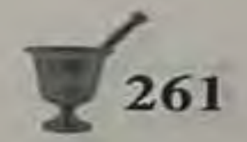
فور دخولهم ضحكت جمرة بسخرية من تقلبات الأشخاص حسب حاجاتهم، لتقول لها:

- لم أكن اعلم أنك تُجيدين المساومة هكذا.

- عزيزتي، لكل شيء ثمن، لا تتوقعي من أحد أن يقدم لك خدمة دون أن يحصل على ثمن ما يفعله لأجلك.

بدأوا بالبحث في المقبرة عن القبر المنشود، لكن جميع القبور تتشابه. لقد أضاعته، شعرت جمرة بخيبة الأمل عند تيقنها من ذلك. وقالت:

- لا أستطيع تذكر أي قبر منهم هو القبر الصحيح يا ندى ولن نستطيع حفر كل تلك القبور لأجل شيء لسنا متأكدين منه.



كانت تتحدث وعينيها تذرف الدموع حيث إنها لم تعد تقوى على تحمل كل هذا لكن ندى أمسكتها من كتفيها وقالت:

- تذكري، اهدأي وتذكري.. أنتم لم تدخلوا عميقًا بين القبور أليس كذلك؟

- صحيح، لقد مشينا بضع خطوات فقط لنقف على..

أشارت بيدها منذ لحظة دخولهم باتجاه البوابة ثم تحركت بها محاولة تذكر الاتجاه الصحيح حتى أوقفت يدها تجاه إحدى القبور.

- هنا، أتذكر أننا توقفنا هنا أمام تلك الحجرة لقد جلست عليها لبعض الوقت أتذكر ذلك..

اقتربت منها لتجد قطعة قماش مكومة على شجيرات الأرض المليئة بقطع الشوك، كانت تلك القطعة مغطاة بالأتربة وكأنها بقيت في المكان منذ سنوات طويلة. أمسكت جمرة بها وقالت لندى

- قطعة القماش هذه تعود لي، أتذكر فستاني الزهري جيدا فقد حاكته لي والدتي تعويضا على خسارتي لفستاني الأحمر عند زيارتي لصديقتي رُبا.

ثم ابتسمت ونظرت إلى ندى وأكملت

- أظنني أعلم الآن مكان القبر يا أختي.

كان القبر بجانب إحدى الأحجار الكبيرة في زاوية المقبرة قريبًا من أسوارها. بدأوا بالحفر، بكامل أناقتهم حيث إن ثيابهم الباهظة أصبحت مليئة بالتراب.

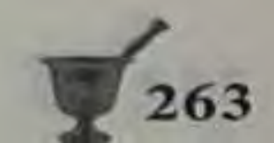
فور وصولهم إلى الجثة وفتحهم لها، كانت خالية، متآكلة لم يتبقى منها إلا بعض العظام المتناثرة هنا وهناك. حيث إن ندى كانت تشعر بالخوف ممزوجًا برهبة الموقف لكنها لم تنطق لتقول لها جمرة بعد يأسها:

- لا أثر للعمل الذي قامت به أمي يا ندى.

شعروا جميعًا بخيبة أمل فلم تعد أي واحدة منهم قادرة على مواساة الأخرى. جلسوا لبعض الوقت أمام القبر ثم سرعان ما نهضت ندى وأشاحت بوجهها عن القبر لتطلب من جمرة بصوت متردد مليء بالخوف:

- هيا دعينا نذهب، يبدو أنه مقدر لعمتي أن تبقى هكذا إلى أن يحين أجلها، ثم إن قلبي امتلأ بالخوف ولا أستطيع تمالك نفسي أكثر من ذلك.

قبل رحيلهم من المقبرة باتجاه البوابة سمعوا صوت ضحكات ساخرة تأتي من خلفهم، باتجاه القبر الذين كانوا قبل لحظات يحفرون فيه.



شعروا بدقات قلوبهم تتسارع وروحهم تكاد تهرب تاركةً أجسادهم خلفها، ثم ببطء شديد التفتت جمرة لتفعل مثلها ندى فيجدوا خاتمة تجلس فوق القبر وتمسك بيدها وشاح أصفر ملفوف على شكل عقدة.

تتذكر جمرة جيدًا ذلك الوشاح وما في داخله، ذلك هو العمل الذي فعلته والدتها لمياسم.

كانت ندى ترتجف خوفًا، لتسقط على ركبتيها من هول ما شاهدته وهي تقول بصوت يخرج منها بصعوبة:

- جمرة، ما هذا المخلوق؟

عندها نطقت خاتمة موجهة كلامها لجمرة بتهديد واضح:

- هذه التي بجانبك، أستطيع الآن الاستحواذ على جسدها بسبب خوفها ويمكنني أن أقتلها الآن أمامك.. ما رأيك؟

- هي لا شأن لها، اتركيها وافعلي ما تشائين بي.

ابتسمت لتظهر أسنانها السوداء المتآكلة بالكامل ونهضت من مكانها لتقترب ببطء ثم سرعان ما أصبحت أمامها بلمح البصر تتلمس خصلات شعرها المتناثرة وهمست لها:

- لكني لا أستطيع للأسف الحصول عليكِ قبل قتله، أيتها القربان.

ثم نظرت نحو تلك العقدة التي بين يدها بتأمل شديد وقالت:

- غبية والدتك، يا لها من غبية ظننت أنها تمتلك من الذكاء ما يفوق عقل القرين، أقوى وأذكى فصائل الجن، لكني لن أجعلك تعودين لمنزلك خائبة بعد كل ما فعلته أنتِ و...

نظرت نحو ندى والتي لم تعد تقوى ما تشاهده أمامها فسقطت مغشيًا عليها في ذات اللحظة لتكمل:

- هذه الضعيفة.

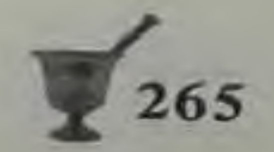
ثم اختفت من المكان بلمح البصر لتسقط العقدة بجانب أقدام جمرة، أمسكت جمرة بتلك العقدة وسحبت ندى وهي تصرخ للخادمة والحارس والذين فور سماعهم لصرخاتها ركضوا نحوها والفزع مرسوم على وجوههم لتقول:

- ساعدوني بحملها، الآن.

قال الحارس بتوتر وخوف:

- ماذا فعلتم هنا!

- لا شأن لك.



أخرجت المتبقي من الأساور الثلاث الذهبية وقذفتهم له وقالت:

- والآن ساعدنا بحملها.

فور وصولهم للسيارة المركونة في خلف أسوار المقبرة، توجه بهم السائق للمنزل وقالت الخادمة مينا:

- ماذا علينا أن نفعل، ثيابكم متسخة بالكامل وندى مغشي عليها.. لا يمكن لنا الذهاب للمنزل هكذا..

حاولت بكل ما تستطيع إفاقة ندى والتي فور استعادة وعيها بدأت بحضن أختها والبكاء وهي تقول:

- ما هذا الذي شاهدناه يا جمرة؟

- لا عليك، هم جبناء جدًا جبناء يجيدون صنع الوهم لن يستطيعوا فعل شيء لك.

كانت ترتجف من شدة الخوف، ترتجف وبدأت حرارة جسدها ترتفع. حاولت هي والخادمة فعل كل ما يستطيعون للسيطرة عليها لكن دون جدوى، أصبحت حالتها تزداد سوءًا كل لحظة لتصرخ للسائق:

- اذهب بنا إلى أقرب مشفى.

في منزل الشيخ ماجد وعند صعودهم للدور الثالث فور سماعهم لصوت صرخات مياسم. خرج ليث في ذات اللحظة التي ركض فيها والديه للأعلى ليلحق بهم.

كانت تجلس على سور سطح المنزل، برداءها الأبيض وضحكاتها الشيطانية بينما أعينها مليئة بدموع الخوف.

وفور وصول ثلاثتهم إليها خرج صوت رجولي من داخلها قائلًا:

- أنت يا ماجد لم توفِ بوعدك لنا.

كان يقترب على مهل محاولًا منع أخته من السقوط وهو يقول راجيًا:

- لقد فعلت كل ما طلبتموه مني، أحضرتها، عاملتها كما أعامل أبنائي.. أرجوكم اتركوا مياسم، يكفيها العذاب الذي لاقته طوال هذه السنوات.

في تلك اللحظة ظهر صوت أخته الذي افتقده منذ سنوات طويلة لتقول له:

- أنقذني أرجوك.

ليتقدم نحوها وملامحه مليئة بالذل والخضوع وهو يرجوهم أن يتركوها بحالها ليقول له الشيطان همام ناطقًا:

- إن أردتها فلتأتي لتأخذها.

ومد يدها باتجاه أخيها الذي تقدم سريعًا غير مصدق، وقبل أن يمسكها ابتسمت له ابتسامة بريئة افتقدها منذ سنوات لتتحول تلك الابتسامة بلمح البصر إلى ذات الابتسامة الشيطانية التي استحوذت عليها ثم قذفت بنفسها بكل قوة من أعلى سطح المنزل، ولكن يده كانت أسرع من سقوطها فأمسك بيدها وهو يقول بتحدي هذه المرة:

- لن أتركك اختي وإن أبيتم أيتها الشياطين.

ركض ليث نحو أبيه وحاول مساعدته، ولكن وقبل وصوله نطق ذلك الجسد الذي ظل معلقًا في الهواء بصوت شيطاني مخيف:

- إذًا فأهلًا بك إلى الجحيم أيها الشيخ الجليل ماجد.

ثم تحولت عين ماجد إلى اللون الأبيض وسقط برفقة أخته دون مقاومة منه.

عند وصول ليث شاهد والده بجانب جثة عمته مياسم بينما بركة من الدماء أسفلهم.

تلك الصدمة، ارتسمت أيضًا على وجه السيدة مها، ثم سرعان ما بدأت بالبكاء وضرب نفسها وهي تركض باتجاه الأسفل نحو جثة زوجها وضحيتها لتقترب منهم وتقول:

- ماجد أرجوك، لا ترحل.. لا ترحل قبل أن تسامحني أرجوك.

ما أبشع من الموت إلا قلة الحيلة،

وشعور الندم بعد فوات الأوان..

(17)

لقاء بعد طول غياب

مرت سنة بأكملها على الحادثة، علم خلالها ليث كل الأسرار من حوله وعلمت ندى الجزء الذي كانت تجهله منها.

لقد أصاب الجنون السيدة مها بسبب تأنيب الضمير الذي يعتصر قلبها. لم تعد تستطيع إصلاح شيء بعد الآن، فمن كانوا يعانون بسببها قد ذهبت أرواحهم للقاء ربها.

بينما جمرة، عادت لمنزلها، منزل والديها محاسن ومالك وبدأت بالعيش فيه وحيدة منعزلة عن الجميع.

كلما ذهبت لشراء شيء في تلك القرية المهترئة تسمع همسات الجميع حولها، ذات الهمسات التي كانت تصيب قلبها بقولهم ابنة الساحرة لكنها هذه المرة لم تعد تبالي، تأخذ ما تحتاجه بهدوء وتعود لمنزلها دون أن تنطق حرفًا.

ذات يوم ذهبت كعادتها إلى بائع الخبز في الصباح الباكر بعد ليلة مليئة بالكوابيس. كان المكان مزدحمًا بالكثير من الرجال والنساء وبعض



الأطفال، جميعهم قادمون لأجل ذات الهدف، شراء الخبز الطازج استعدادًا للإفطار.

لاحظت صوت طفلة من خلفها:

- لكن يا أمي أنا لا أريد الخبز، بل أرغب بشراء الحلوى.

- لقد تناولتِ الكثير منها بالأمس، لتجربي الخبز هذه المرة يا جمرة.

شعرت بالغرابة، فمن سيحمل نفس اسمها؟ لا يمكن لأي أحد أن يسمي ابنته بهذا الاسم الغريب عدا والدتها.

أدارت وجهها باتجاههم لتنظر إلى وجه (رُبا) المغطى بقطعة قماش توضح ملامحها الجميلة والتي أصبحت أكثر جمالًا ونضجًا عن ذي قبل لتصرخ:

- رُبا، هل هذه أنتِ حقًا!

تلك الأخيرة لم تكن تستوعب أن ما تشاهده أمامها هي ذاتها جمرة التي اعتبرتها أكثر من أختٍ لها، جمرة صديقتها العزيزة فعانقتها بكل قوتها وهي تبكي دون أن تستطيع النطق بأي كلمة.

بعدها بلحظات قالت:

- لم أكن أتوقع أن تكوني متواجدة هنا يا جمرة، أخبروني أن أخبارك قد انقطعت منذ..

صمتت للحظات ثم أكملت عنها الأخرى بابتسامة

- منذ موت والدتي.

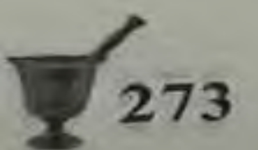
قاطع حوارهم رجل عجوز يقول:

- إن كنتم ترغبون بالثرثرة في الصباح فابتعدوا عن الطابور لنستطيع الشراء.

شعروا جميعهم بالخجل فأمسكت رُبا بطفلتها وذهبوا إلى منزل جمرة بعد شراء الخبز من البائع.

كل واحدة منهم أخبرت الأخرى عما حصل لها بعد آخر ليلة جمعتهم سويًا، ثم ما إن أفرغت جمرة كل ما في جعبتها لتقول لها رُبا:

- قصتك مؤلمة يا جمرة، لا أعلم كيف تحملتِ كل ذلك، ولكن كعادتك بقيتِ قوية، دعيني أخبرك ما حصل لي، ستصابين الدهشة..



ملحق

(قصة رُبا)

بعد رحيل جمرة عن منزلهم تم تأجيل زفاف رُبا لعدة أشهر بسبب مرض أصابها ثم بعدها تم تجهيزها رغمًا عنها على الزواج من ذلك الرجل الذي اختارته لها والدتها طمعًا بالمال.

تم إرغامها على الموافقة دون رؤيته، بكت كثيرًا كالأطفال تمامًا خوفًا من مصيرها المعدم والذي يشابه مصير أختها حسناء. كانت أختها تواسيها دون حول منها ولا قوة لمنع هذا القدر من الارتطام بأختها كما فعل بها.

غريب ما يحدث لهم، ألم يقولوا أن العائلة تحوي الكثير من القصص المختلفة لكل فرد منها.. أحدهم له قصة سعيدة والأخر قصته حزينة ولعل بعضهم تكون قصصهم مأساوية، فما بال قصتها هي وأختها تتشابه هكذا، يمتلكون الحظ السيء ذاته الذي جلب لهم أزواج بعمر أجدادهم.

بدأ الاحتفال بزفاف رُبا، ووضع لها الكثير من مستحضرات التجميل لإخفاء براءتها وملامحها الطفولية من أمام الجميع.

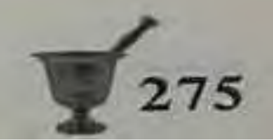
كانت تبكي في تلك البقعة بين أنظارهم وفي كل مرة تنتبه لها والدتها تضربها بكل قوة على ظهرها خلسة لتمنعها من البكاء، ولكن دون جدوى. تلك القوة التي كانت تتحلى بها ومحاولتها التعايش مع نصيبها الأسود، كل ذلك قد سقط عندما أصبح الأمر واقعًا أمام عينيها.

تزوجت من راشد الذي كان في الخمسينات من عمره، ورحلت معه إلى منزله في الشرقية، المدينة التي تعيش بها أختها حسناء.

في ذات الليلة التي تزوجت بها وهم في طريقهم إلى تلك المدينة شعرت بالغضب، الكره، وبالكثير من الأشياء المتراكمة داخلها وقتها.

تمنت لو أنها تستطيع قتله والهرب بعيدًا جدًا عن والدتها، إلى أبعد نقطة من ذلك المكان لكن الواقع عاد ليستعرض نفسه أمام ناظريها وكأنه يحاول اثبات نفسه وأن هذه هي الحياة التي ستكون من نصيبها فقط وليست حياة أخرى.

استسلمت بلحظة يائسة لكل ما يحدث وما سوف يحدث، ولكن، وفي غفلة بسيطة فعلها زوجها بسبب نظره المتواصل لها اصطدمت تلك السيارة الفارهة بإحدى الشاحنات.



لقد خرجت روح زوجها من جسده في ذات اللحظة التي وقع فيها الحادث بينما هي لم يصبها شيء أبدًا، لقد حالفها الحظ وحماها قدرها لسبب لا تعلمه.

عادت إلى منزل والدتها، عذراء دون أن يلمسها ذلك الرجل ومحملة بالكثير من الأموال التي ورثتها منه.

كانت سعادة والدتها بهذه الأموال قد فاقت سعادتها بنجاة ابنتها، لتستولي على كل الأموال دفعة واحدة وتبحث في ذات اللحظة على زوج جديد وهذه المرة أرادته كبيرًا جدًا في عمره لتقذف إليه رُبا لعل الحظ أيضًا يحالفها ليموت وترثه.

بهذه اللحظة صرخت حسناء والتي كانت حامل وقتها على والدتها:

- ألا تخافين الله يا أمي، أخجل من الأساس على قول هذه الكلمة لك!

صرخت في وجه ابنتها:

- ما شـأنك، عزيزتي رُبا موافقة على ذلك، وكل ما افعله لتأمين السعادة لكم.

سقطت دموع رُبا لتبكي وتقول:

- كلا، لست موافقة على كل ما تفعلينه بي وبأختي، ثم إن هذه الأموال لي أتركيها ودعينا نرحل أنا وحسناء من هنا.

لتكمل حسناء:

- إن أردتِ الزواج يا والدتي، لتفعلي وخذي أنتِ أولئك العجزة لكن لا تكرري تلك الغلطة الشنيعة التي أوقعتنا بها.

بدأت بالصراخ عليهم لإيهامهم أنها هي الوحيدة التي تعلم ما هو الأفضل لهم، ثم قالت موجهة كلماتها نحو حسناء:

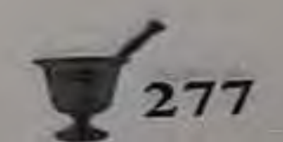
- وأنتِ ما الذي جلبك الآن إلينا، اذهبي إلى منزل زوجك!

بدأ الغضب يتضح على وجه حسناء لتصرخ عليها:

- لا أرغب بالرجوع له، لقد ضربني وجردني من كل ما أملكه من ثياب، ومجوهرات ثم قذف بي خارجًا عند علمه بحملي، أرجوك ارحمي ضعفي ودعيني أنفصل عنه.

بدأت والدتهم تفقد أعصابها، فور معرفتها برغبة حسناء بالانفصال لتقلم منها وتضربها بكل قوتها وهي تصرخ:

- الطلاق ممنوع أيتها العاقة، هل تفهمين!



في تلك اللحظة ضربت حسناء فحاولت رُبا أبعاد والدتها عنها وهي تصرخ:

- ابتعدي عنها فهي حامل لا تؤذيها.

لتضرب منيرة بدون قصد على بطن حسناء فتفقد الأخيرة أعصابها وتدفعها بعيدًا لتسقط والدتهم ويرتطم رأسها على حافة إحدى عتبات المنزل. حاولوا اسعافها كثيرًا، حيث اتضح على حسناء الانهيار، ولكنها ظلت متماسكة لأجل اختها وفور أن جاء الإسعاف بلحظات قليلة كان جسد منيرة خاليًا بلا روح فيه.

بدأت التحقيقات للأختين فتحملت حسناء كل الذنب بقولها:

- لقد دفعتها بدون قصد مني لحماية طفلي، لا دخل لرُبا فقد كانت تحاول ابعادنا عن بعضنا لا أكثر.

حكم على حسناء بالسجن في عنبر القاصرات فقد كانت لم تتجاوز الثامنة عشرة بعد وقد انجبت ابنتها في ذلك السجن لتطلب من رُبا أخذها والاعتناء بها بعيدًا عن هذه الزنزانة.

- لكني لا أعلم كيفية الاعتناء بالأطفال يا حسناء.

- لديك الأموال التي ورثتها من زوجك، اجلبي خادمة لتهتم بك

ربما.

تساقطت دموعها رغما عنها وقالت:

- لكني لا أرغب بالعيش وحدي وأنتِ هنا، وحيدة.

ابتسمت حسناء لها وربتت على ظهرها لتقول:

- لا يهم، عندما تكبرين وتصلين لعمر الثامنة عشرة تستطيعين التنازل عني لما تسببت به في والدتنا، وربما يفرج عني لنعيش سويًا من جديد.

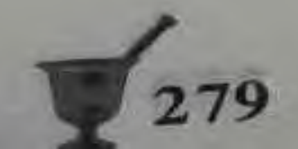
نظرت رُبا لتلك الطفلة والتي كانت تشبه والدتها كثيرًا، لقد رفض زوج حسناء استلامها وطلقها فور علمه بقتلها لوالدتها فقالت لها:

- ماذا سنسميها؟

- اختاري لها اسمًا وسأقبل به.

عندها لم يأتِ في بال رُبا سوى جمرة لتقول بتردد:

- هل أستطيع تسميتها جمرة كاسم صديقتي؟



صمتت حسناء لبعض الوقت فشعرت الأخرى أن الاسم سيء، ولكن قبل أن تنطق قالت لها:

- لنسميها جمرة، أنا موافقة.

مرت سبعة أعوام وجمرة الصغيرة تظن أن رُبا والدتها بينما تلك القابعة في السجن والتي يزورونها كل نهاية أسبوع تكون خالتها لا أكثر.

لم تمانع حسناء بكل هذا، فهي التي أرادت هذا الأمر منذ البداية. لم ترغب أن تعلم جمرة بشأن سجن والدتها، أرادت لها حياة بسيطة خالية من الهموم والأحزان.

وصلت رُبا لعمر الثامنة عشرة وفور أن أصبحت تستطيع التنازل عن مقتل والدتها لم تتردد مطلقًا، ذهبت للتنازل لتخرج حسناء بعدها بأشهر حين شملها العفو العام بأيام ليعيشوا جميعهم حياة بعيدة عن تسلط والدتهم وطمعها رغم تأنيب الضمير الذي كانا يعيشان به ونظرة المجتمع لهم.

أخبرت حسناء ابنتها بعد الاتفاق مع رُبا، بالحقيقة وأنها هي والدتها لكن الأبنة رغم تقبلها بصعوبة لذلك التغير، كانت تنادي تلك الخالة بوالدتي وتلك الأم بالخالة حسناء.

قالت جمرة وقد تملكتها الدهشة من قصة صديقتها وفي ذات الوقت تساقطت دموعها فرحاً بسبب تسمية صديقتها ابنة اختها باسمها.

- أشكرك، لقد توقعت أنك نسيتني يارُبا فور رحيلي، لم اتخيل أن صداقتنا ستبقى مستمرة رغم ابتعادنا عن بعضنا البعض.

حضنت رُبا جمرة وقالت لها:

- أنتِ صديقتي الوحيدة، وقد أسميتها بهذا الاسم تفاؤلا للُقياك من جديد.

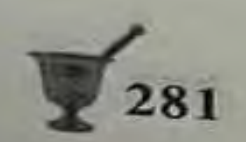
- ولكن هل يعقل أن يحدث لكم أنتِ وأختك سيئة الحظ كل هذا!

- لقد حصل..

ثم تبسمت بخجل لصديقتها جمرة وقالت لها:

- وسأخبرك بشـــيء آخر أيضًا، زفافي بعد أسبـــوع من الآن، لقد خطبني أحد الضباط حيث إنه كان يشاهدني عندما أذهب لزيارة حسناء فعرض علي الزواج فور وصولي لعمر الثامنة عشرة.

كانت تبتســـم بســـعادة وكأن ســـعادة الأرض بأكملها بين يديها فأكملت:



- تخيلي يا جمرة، ليس كبيرًا إنه فقط يكبرني بما يقل عن عشرة أعوام لا أكثر، ولم يسبق له الزواج من قبل كما أنه يطلب مني مرارًا إكمال تعليمي ويرحب بأختي حسناء وأبنتها للعيش معنا، وكأنه هدية من السماء لي:

عانقتها جمرة وقالت بسعادة ظاهرة على وجهها:

- أنتِ تستحقين، منذ زمن وأنتِ تستحقين حياة جميلة يا عزيزتي رُبا والآن قد جاء إليك ما تستحقينه فهنيئًا لك.

كانت جمرة الصغرى تلعب بإحدى الألعاب في طرف الفناء الخارجي، ثم سرعان ما جاءت إليهم وهي تبكي في حضن رُبا وتقول:

- هنالك امرأة مخيفة جدًا لقد ضربتني بكل قوة.

شعرت رُبا، بالخوف فقالت لصديقتها جمرة:

- هل هم إلى الآن هنا؟

اومأت تلك الأخيرة برأسها إيجابًا بكل يأس وقالت:

- وإلى آخر الزمان، لن يرحلوا.

ثم نظرت لجمرة الصغرى لبعض الوقت وأكملت:

- عليك الرحيل من هنا ولا تأتي إلى المنزل، سـآتي أنا إليك كلما سمحت لي الفرصة.

كانت رُبا، تحاول تهدئة ابنة أختها حيث نهضت وقالت قبل رحيلهم:

- لماذا لا تأتين للعيش في منزلي أنا وحسناء وتتركين هذا المنزل لهم؟

ابتسمت لها جمرة بسخرية وقالت:

- المنزل ليس مهم، بل أنا التي أهمهم، أينما أكون سيكونون، ولا ارغب بانتقالهم لمنزلكم.. أرحلي لا عليك استطيع التعامل معهم.

ودعت صديقتها وابنة اختها لتغلق الباب، وفور أن اغلقته سمعت صوت امرأة تناديها لتلتفت للوراء فتجدها مياسم متعلقة على إحدى الأغصان في الفناء وتنظر إليها بابتسامة ساخرة.

بدأت بقراءة المعوذات، بصـوت عالي جدًا فتحول وجه مياسـم الساخر إلى غضب شديد ثم اختفت من المكان.



لم تعد جمرة تخافهم، لقد ملت من ألاعيبهم القذرة، ومحاولاتهم زرع الرعب داخل قلبها لتخضع لهم. هم يعلمون جيدًا أنها خسرت في حياتها الكثير، لم يعد لديها المزيد لتخسره.

بدأت بتنظيف منزلها الذي كان موحشًا رغم كل محاولاتها لزرع البهجة داخله. حتى جاء المساء لتصلي العشاء وتذهب للنوم بعد يوم طويل جدًا.

بعد ذلك اليوم، لم تعد تشعر بوجود خاتمة، تلك الهمسات والهلوسات التي تغرسها داخل عقلها لتصنع أمامها أجساد الأموات في محاولة منها لإخافتها، جميعها اختفت.

شعرت بالغرابة، مرت ستة أيام دون أي شيء مريب، ظنت أن هناك ألاعيب قادمة بعد هذا السكون الطويل لتصرخ في الفناء:

- أين أنتِ أيتها الشيطانة، أين أنتِ يا جالبة الهم والبؤس، هل انتهت ألاعيبك، هل قررتِ الرحيل أخيرًا؟

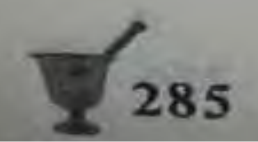
لا مجيب، شعرت بالراحة والسكينة تنساب داخل قلبها، هل يعقل أنهم جميعا قد رحلوا عنها أخيرًا لتعيش باقي أيامها في هناء.

ابتسامة خرجت منها لأول مرة منذ سنة جعلتها تسجد بعدها لله شكرًا. ظنت أن البلاء قد رحل أخيرًا وتلك اللعنة، لعنة "القربان" لم يعد لها وجود بعد الآن. لتركض إلى منزل صديقتها رُبا لتبشرها، ولكن وقبل أن تفتح باب المنزل تذكرت شيئًا هامًا، اليوم ستكون ليلة زفاف رُبا. لقد نسيت هذا الأمر رغم وعدها لها بالحضور، شعرت بالحيرة حيث إنها لا تملك شيء ترتديه يناسب هذه المناسبة.

تذكرت تلك الأكياس المليئة بالثياب، الطعام وبعض النقود التي تجلبها لها ندى، كل نهاية شهر مع السائق. لم تكن تتوقع أن تلقى داخلها شيء يناسب هذه الحفلة، فقد تفقدتها من قبل لكنها تفقدتها مرة أخرى في محاولة يائسة منها لتشاهد بين أكوام الطعام والثياب اليومية فستان أزرق اللون، لم تشاهد مثله قبلًا رغم خبرتها الواسعة بالثياب وآخر إصدارات المصممين لها.

لم تتردد لحظة على حمله في حقيبتها والذهاب لمنزل صديقتها رُبا، فور وصولها التقت بحسناء وابنتها التي حضنتها بكل قوة تعبيرًا عن شوقها لها.

كان وجه جمرة خالي من مستحضرات التجميل وشعرها منسدل دون أن تفعل به أي شيء لتزيينه.



ذهبت لغرفة رُبا، وقبل أن تقول أي شيء لها جاءت حسناء وأجلستها بجانب صديقتها التي كانت إحدى العاملات المختصات بتزيين العرائس تقوم بتجهيزها.

بدأت حسناء بتزيين جمرة وقالت رُبا لها:

- لا تقلقي، فحسناء ماهرة جدًا بهذا الأمر وقد طلبت منها تزييني بدلًا من جلب أحد آخر لكنها رفضت، أستطيع أن أقول أنك ستكونين أجمل مني في هذه الليلة.

ابتسمت جمرة، وقالت:

- حسناء، لا عليك أستطيع الاهتمام بنفسي عليك تفقد المدعوين في الخارج.

- لا عليك، جمرة الصغيرة تقوم بدورها بكل براعة.

في تلك الأثناء كانت جمرة الصغيرة ترحب بالمدعوين وترشدهم إلى أماكنهم. وعندما حضرت "المطربة" مع فرقتها لم تجد سوى الطفلة تقوم باستقبالها لتقول:

- أين هم أصحاب المنزل؟

- هل أنتِ "المطربة" تسنيم؟

- صحيح.

- تعالي معي..

شعرت تلك "المطربة" وفرقتها بالغرابة، ولكنهم تبعوا الطفلة لترشدهم إلى مكانهم وقالت لهم:

- ستأتي والدتي بعد لحظات، رجاء يمكنكم البدء بالعزف فقد أصيب الجميع بالنعاس بسبب تأخرك.

غضبت تلك "المطربة" وأرادت الصـــراخ في وجه الطفلة، ولكن إحدى فتيات الفرقة منعتها وقالت:

- الطفلة معها حق، لقد تأخرنا.

ليبدأن بعدها بالعزف والغناء على مسامع الجميع.

لم يمر سوى القليل لتنتهي حسناء من تجهيز جمرة فأصبحت كالملاك حيث أسدلت شعرها المموج على كتفيها وارتدت ذلك الثوب الأزرق الذي كان جميلًا جدًا عليها.

كان ينظر إليها مبهورًا بجمالها، لم يكن يتوقع أن ذلك الثوب سيزداد جمالًا عندما ترتديه، حيث أصبحت كملاك فعلاً في تلك الحفلة.

لم يستطع همام إبعاد عينيه عنها، لقد سلبته هذه البشرية عقله، تمنى لو كان في تلك اللحظة بشري بجسد واهن لا أكثر فقط لكي تكون من نصيبه.

لم يحسد في حياته ذكور البشر إلا في هذه اللحظة، عندما يتعلق الأمر بمحبوبته يحسد الجميع لقربهم منها.

على سور منزل رُبا كان يجلس فوقه وعينيه لا تكفان عن التحديق بجمرة، ظهرت أخته خاتمة والشيطان ليلاس بجانبه. لم يعيرهما أي اهتمام لتقول تلك الأخت له:

- فعلت لك ما طلبت، لقد تركت نصيبي منها وقد فعل ليلاس المثل، والآن لدي فضول حول كيفية حصولك عليها.

بتلك اللحظة اتضح الانزعاج على وجهه لينظر لأخته قائلًا:

- لا شـأن لك، لماذا لا ترحلين، ألم ترغبي منذ زمن بالخلاص من القيود التي تكبلك بذلك الجسد، أخبرتني برغبتك رؤية العالم.

أشار بيديه الاثنتين نحو اليمين والشمال ليكمل:

- هيا انطلقي، اذهبي لرؤية العالم، فهذا العالم الآن بأكمله مفتوح لك.

ثم نظر إلى ليلاس ذلك الطفل الذي قذفه قدره نحو البشري مالك وأطماعه ثم بعدها قذفه لخدمة خاتمة وأنانيتها وقال:

- وأنت، لماذا لا ترحل لعائلتك؟

نظر بتوتر ناحية خاتمة، ليفهم سريعًا همام ما يعنيه فقال لأخته:

- افسخي تلك العقود بينك وبينه، فهو لا يستطيع فعل شيء لك.

- لكني قد أحتاجه، لا تعلم ماذا سيخبئ لنا القدر يا أخي.

صمت قليلًا ثم قال:

- إن أتلفتي تلك العقود بينك وبين هذا الطفل المشؤوم سأهديك طريقة الوصول إلى غايتك، حديقة الحياة وما بداخلها من كنوز.

نظرت إليه بفضول جديد فأكمل:

- هناك، حيث كتاب (العرين)، شيطانة الخسوف (ملائك)، تعلمين عنها الكثير لقد كانت محبوبة ذاك الجسد. عليك امتلاكها وتحريرها منه



لتصبح خادمة لك، فهي الوحيدة المخولة بالدخول إلى أعمق نقاط الأرض نحو بوابة الجحيم للحصول على الكنوز المدفونة داخله.

- كيف أفعلها!

- لا أظن أنك تغفلين يا خاتمة، عن طريقة فعل هذا الأمر البسيط..

بتلك اللحظة أخرجت العهود وأتلفتها على مرأى من همام وليلاس لينهض ذلك الأخير وينظر إلى جسده والسعادة مرسومة على وجهه ليصرخ قائلًا:

- أنا حر، أنا حر.

ثم اختفى من أمامهم بعدها بلحظات. وودعت خاتمة همام بجملة ساخرة قبل رحيلها حيث قالت:

- لقد جلبت لنفسك تعاسة لا تنتهي يا همام.

لتختفي هي الأخرى كذلك تاركة ذلك القرين ينظر إلى محبوبته وهي ترقص بين النساء نظرة حب قد امتلك بها كل سعادة هذه الأرض وما حولها.

انتهى الاحتفال لتعود جمرة متعبة إلى منزلها وقد غلبها النعاس قبل أن تخلع رداءها.

(18)

ابنة قلبي

حيث عتمة الليل بعد نومها بقليل أصبحت تشعر بأنفاسه حولها لتنهض فزعة ثم تغمض عينيها وهي تردد لبعث القليل من السكينة لروحها الميتة ككل ليلة، لقد خاب رجاءها، ظنت أنهم رحلوا لكنهم ما زالوا حولها:

- إنهم جبناء يا جمرة، جبناء يجيدون صنع الوهم.

تلك الهمسات التي ترددها فور قربه منها كانت تقتله، لقد فعل المستحيل للحصول عليها، وها هي الآن بين يديه. أخذ بالقوة نصيب خاتمة وليلاس ليعود الأخير إلى والديه بعد إجبارها على التخلي عنه بفضل همام.

لماذا لا يستطيع الحصول عليها، رغم وجودها بقربه الآن. لماذا لا تألفه، رغم محاولاته الكثيرة لتقبلها له.

قرر أن يتجرأ في تلك اللحظة، ويتحدث معها عن كل ما يجوب داخل قلبه. في عتمة الليل بينما هي تحارب خوفها ومحاولاتها الفاشلة لإغماض عينيها، سمعت صوته بجانب أذنها اليمنى:

- أرغب بالحديث معك.



كان صوته هذه المرة هادئًا، مليئًا بالسكينة على عكس ذلك الصوت الذي ألفته منه. تجرأت لفتح عينيها حيث لأول مرة يظهر لها دون أن يثير مخاوفها، هي تعلم من يكون، همام. ذلك الذي أصابه هوسه بها إلى قتل سبعون جان بالإضافة إلى أخيه.

قال لها في تلك الغرفة المظلمة والسواد الذي يتلبسها:

- لماذا لا ترضين بي زوجًا يا جمرة.

- كيف تتزوج إنسية من قرين يا همام؟

- لقد فعلت المستحيل لأجلك، أضعاف ما فعله ذلك البشري الذي ترتدين قلادته.

ذلك الصوت الرجولي صاحب التهويدة المخيفة، والذي لطالما كان مصدر رعب لها. ها هو الآن يرجوها بصوت مرتبك، مليء باليأس راغبًا منها أن تقبل به.

لم تستطع أن تنطق حرفًا واحدًا، هل تعاتبه على كل الأفعال الشيطانية التي فعلها برفقة إخوته لمئات البشر بمن فيهم والديها. أم ترجوه بالرحيل عنه كما يرجوها الآن، ليتركها تعيش ما تبقى من عمرها في سلام.

هي تعلم أنه لن يستطيع تفهم كل ما ستقوله له، لن يفهم ابدًا، لتغمض عينيها وتردد بصوت مرتفع:

- هم جبناء يا جمرة، جبناء يجيدون صنع الوهم.

كررتها كثيرًا حتى شعرت برحيله، لتبكي بعدها وتدعو الله أن يخرجها من كل هذا السواد حولها أو ليأخذ روحها البائسة من هذه الأرض.

في صباح اليوم التالي دق باب منزلها، لأول مرة يتم قرع الباب، شعرت بالغرابة وظنت أنه إحدى الباعة المتجولون يحاول بيع بضاعته حيث إن موعد زيارة ندى لها لم يأتي بعد.

فور فتح ذلك الباب المهترئ ليصدر ذات الصوت الذي لطالما كرهته، تحولت ملامحها للدهشة عند رؤيتها من هم خلفه.

لقد كانت ندى وليث الذي كان يحمل الكثير من الهدايا بين يديه. كانت ندى تزورها شهريا وكثيراً ما ترسل سائقها ليُلبي حاجات جمرة، ولكنها لم تتوقع قدوم ليث معها.

كانت تقف بصدمة لم تستطع النطق ابدًا، لتقول لها ندى سريعًا:

- مشيت كثيرًا وتعبت، ألن تدعينا ندخل؟



نظرت نحو ليث والذي ابتسم سريعًا فور تلاقي أعينهم لتقول بعدها:

- بلا بالتأكيد يمكنكم الدخول.

في فناء المنزل حيث كان كل شيء قديم، وبعضه مهترئ. ذهبت لتجلب الشاي، وفور جلوسها قال ليث:

- هل أنتِ بخير هنا يا جمرة، هل حصل لك مكروه؟

ابتسمت له لتظهر له أكثر ما يحبه "غمازتيها" وقالت:

- إلى الآن لم يحصل لي شيء كما ترى أنا قوية.

عندها نطقت ندى وقالت بعد لحظة من الصمت:

- تعلمين أن ليث يعلم عن كل شيء.. كل شيء عنك وعن والداي، ولكنه رغم كل ذلك يريد الزواج منك، هل تقبلين به؟

لاحظ "قلادته" التي جلبها قبل سنة لها كانت ترتديها لتزين بها عنقها، شعر بمشاعر السعادة تجوب داخل قلبه.

لكنها لم تستطع، لم تستطع الموافقة فهنالك مخلوق لن يدعها تأخذ غيره وإن كلف الأمر قتلها وقتل ليث معها.

صمتت قليلًا واتضح الحزن على وجهها، ولكن وقبل أن تنطق بالرفض سمعت همسًا داخلها، ذات الصوت الرجولي الذي تعلم صاحبه جيدًا يقول لها:

- وافقي، إن كانت سعادتك معه وافقي.

لتتحول ملامح وجهها التعيسة إلى فرح ظهر فجأة على وجهها لتقول:

- أنا موافقة على ذلك.

فتساقط دموعها فرحًا من تخلي همام عنها وتمسك ليث بها.

في ذات المكان وفي زاوية بعيدة عنهم، كان يجلس على ركبتيه، ينظر إلى السعادة المرسومة على وجهها بقلب بائس وعينين توشكان على سكب ما في جعبتها من دموع.

ظهر له من العدم، صديقه أحزم وقال له:

- هل ستتركها له، لا يجب عليك ذلك.

- لكني أحببتها، حبًا صادقًا يجعلني أتمنى رؤيتها سعيدة وإن كانت سعادتها ستكون سببًا بهلاكي.

نظر أحزم نحو السماء متذكرًا شخصًا قد رحل منذ زمن وقال بحسرة:

- الآن علمت لماذا القرين يفوق سائر عشائر الجان حكمة وقوة، لم أستطع فعل ما تنوي فعله الآن رغم محاولتي حتى قتلتها في لحظة غضب، قتلت أحب الخلق لي بدافع الأنانية، أنانية عاشق.. بينما أنت تفعلها بقلب جريء يا همام.

لم يجبه، بل ظل صامتًا يراقب ملامح وجهها التي تبدلت بلحظة واحدة إلى السعادة فور إخبارها بتخليه عنها. مؤلم جدًا ما يشعر به همام في تلك اللحظة، مؤلم جدًا أن تقتل روحك بينما هي ما تزال في داخلك.

ليقرر سريعًا الرحيل، تركها في عهدة من أحبته ورحل بعيدًا، نحو عالم الشياطين.

ما بال قلبي لا يألف غيرك،

وكأنك قطعة مأخوذة منه.

بدأت مراسم الزفاف، في ذات المنزل الذي عاشت فيه أجمل أيام حياتها، رغم سوء نوايا بعض ساكنيه سابقًا.

زفت بثوب زفاف تم جلبه لها من أرقى المتاجر في فرنسا ورغم محاولة ندى أن تنزع القلادة التي جلبها لها ليث لتضع المجوهرات التي تليق بثوبها بدلًا منها لكنها رفضت وقالت

- أحبه، أرجوك لقد وعدته ألا أنزعه.

- لكنه لا يليق مع فستان زفافك يا جمرة، أترغبين أن يسخر الناس منا؟

لتنظر إليها برجاء قائلة:

- أرجوك، لا أرغب بنزعه، ضعي تلك المجوهرات فوقها فلا أحد سيلاحظ.

لتفعل ندى بعد يأسها ما اقترحته لها جمرة حيث وضعت أفخم المجوهرات فوق تلك القلادة.

في تلك اللحظة فتح الباب لتدخل السيدة مها برفقة مينا التي كانت تساندها للمجيء وقالت:

فور رؤيتها لها بثوب زفافها بابتسامة ظهرت لأول مرة منذ سنة من الاختباء في جناحها:

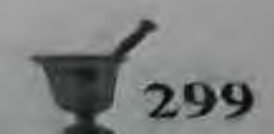
- أخيرًا يا جمرة أتيتي، ظننت أني لن أراك ثانية.

كان شعورًا غريب، داخل جمرة فهي رغم كل ما فعلته والدتها محاسن التي فعلت الكثير من الأخطاء أيضًا. فمن فينا لا يخطئ، تحبها. كما نحب نحن بشر في نهاية المطاف، نتأرجح بين الخير والشر وهذا ما يجعلنا بشرًا لا ملائكة.

ذلك ما كان يجوب داخل عقلها مما جعلها تحتضن السيدة مها وتقول لها:

- أنا أحبك، لا تحزني فمن منا لا يخطئ يا أمي.

لأول مرة تنطق هذه الكلمة لها مما جعل السيدة مها تبكي بشدة في حضن جمرة.



(19)

خاتمة

ذهبت إلى الكوخ المليء بالكتب بين الجبال باحثة عن كتاب (العرين). فور أن وجدته بدأت باستدعاء ملائك، لتكون خادمة لها بواسطة طريقة الاستدعاء ذاتها التي فعلها مالك، للحصول عليهم.

حيث رسمت هذه المرة تلك الدائرة بدماء النساء وبدأت بترديد العهود التي ستطبقها ملائك فور حضورها ولكن وبعد سبعة مرات من تكرار عهودها ومزج يديها بتلك الدماء ظهروا.. لم تكن ملائك متواجدة معهم، لقد كانوا حراس العرين المتواجدة رموزهم في غلاف الكتاب.

رغم قوة خاتمة، فالقرين يعد الأقوى بين الشياطين لكن تلك المخلوقات كانت تفوق قوتها عشرات المرات. كيف لقرين أضعف منهم أن يتجرأ على استحضارهم.

علمت أنها النهاية، لقد غدر بها أخاها همام، حيث إنها لم تكن تعلم مطلقًا أن شياطين الخسوف لا عهود تحكمهم.

أمسك بها (الودهود) وعينيه مليئتان بالغضب ثم قذف بها على الأرض بقوة وهو يصرخ:

- كيف تتجرأ أيها القرين على محاولة حكمي!

بينما تلك الأفاعي (منهل، همندل، عنزتل) بدأوا بالالتفاف عليها وتناوبوا بقتلها حيث كل واحدة منهم تلتقط جزءًا منها لتتناثر دماءها السوداء فتمتزج بدماء أخيها عمام الذي قتل قبل سنوات في ذات المكان. هناك فوق ذلك الكوخ كانت سُليمى تنظر إلى الموقف بسخرية، أرادت المشاركة بقتلها لكن فور رؤيتها علمت سريعًا أنهم لن يبقيا قطعة بسيطة لها ففضلت النظر لهم من بعيد.

هؤلاء الشياطين لا يمكن لأحد حكمهم، الوحيد الذي استطاع ذلك هو مؤلف العرين علي الأفرهاني، ولا يمكن أن يعرف أحد عن أسرار فعلته سوى القرين الأول فقط همام، حيث أن التوابع لا يمكن لهم معرفة كل شيء يحدث إلا ما يسمح لهم به القرين الأول رؤيته.

(20)

زوهري

بعد مرور سنتين ونصف، بعد أن رزقت جيرة وليث ابنة اسموها محاسن وأصبحت بعمر السنة والنصف في ذلك اللحين، بينما ندى حامل بطفلها الثاني.

الحياة أصبحت أجمل، حيث استعادت السيدة مها رشدها وأصبحت تقضي نصف يومها في تحفيظ القرآن برفقة الكثير من النساء بعمرها.

في تلك الليلة بينما كانت محاسن تلعب برفقة الخادمة مينا وحولها الكثير   دمة لمساعدتها بحمل بعض الأشياء، وفور خروجها من الغرفة أغلق بابها بهدوء شديد ليظهر رجل من العدم ويقترب من الطفلة ببطء ثم يتوقف ليسبح ويحرك السبحة الموجودة في يده ثلاث مرات ثم يقترب أكثر فأكثر وفور أن أصبح أمامها جلس ليكون قريبًا منها وأمسك يدها الصغيرة لينظر إلى باطنها ثم سرعان ما ابتسم بخبث شديد دون أن يرمش مطلقًا. سرعان ما اختفت ضحكات الطفلة لتتحول إلى نظرات خاوية لا روح فيها ثم أخذها واختفى من المكان.

لقد كان جابر..

بعد انتهاء عملها مع الخادمة ذهبت الأخيرة إلى غرفة الطفلة محاسن لتجد المكان فارغ، لا أحد فيه. بينما على جدران المكان جملة واحدة مكتوبة بلون الدم:

(حان موعد اللقاء، ذات المكان.. وحدك!).

هرعت تلك الخادمة إلى جمرة تصرخ، بل تكاد تجن لتقول:

- لا أثر لها.. لا أثر لمحاسن.

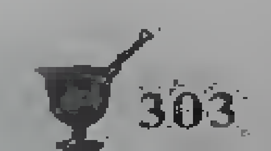
نهضت جمرة من مكانها بخوف واضح قائلة:

- قد تكون عند العمة مها هل بحثتي عنها هناك!

لم تستطع في تلك اللحظة مينا التحدث أكثر بسبب شدة رعبها لتهز رأسها نفيًا وتأخذ بيد جمرة وتسحبها إلى تلك الغرفة فتجد الأخيرة تلك الجملة المكتوبة أمامها على الجدار..

ظهرت في تلك اللحظة صورة واحدة في عقلها، لا تعلم كيف جلبتها ذاكرتها، ولكنها تيقنت في الحال أن هذه الرسالة منه.

هي تعلم جيدًا بعد كل هذا العمر من جهلها أنه كان طامعًا بإرثها والتي تعد كنزًا لدى الشياطين والسحرة، وقد أورثت جزءًا



منه إلى ابنتها محاسن لتعتبرها جينات شيطانية قد ذهبت رغمًا عنها لتلك الابنة التي نالت شيئًا من سوء حظ والدتها.

قالت للخادمة مينا:

- لا تخبري أحدًا، سأذهب لجلبها فأنا أعلم أين ستكون.

وكعادة تلك الخادمة التي لا تبوح بالأسرار أبدًا، نفذت الأمر لتكمل ممارستها لأعمال المنزل وكأنها لم تواجه للتو ما واجهته.

خرجت من القصر دون علم زوجها ليث ووالدته متوجهة نحو القرية الذي كانت تسكنها، في ذات الزقاق الذي قابلته فيه لأول مرة.

لتجده واقفًا بابتسامته ينظر لها بخبث، ويحمل بيده ابنتها التي كانت تحدق به دون أن ترمش، وكأنها دمية صغيرة في يده، بينما يده الأخرى تمسك تلك السبحة التي تتذكرها جيدًا ليحركها بطريقة معاكسة للمعتاد.

قالت له بعد أن أصبحت أمامه لا يفصل بينهم إلا مسافة قليلة جدًا وقلبها يكاد يخرج من فرط خوفها على ابنتها التي ما زالت ساكنة. قالت له:

- ماذا تريد مني ومن ابنتي، لماذا اختطفتها؟

اقترب رويدًا رويدًا وكلما يتحرك بخطواته ثلاث خطوات كان يسبح بتلك السبحة ثلاث مرات ثم يقترب حتى وصل إليها وقال:

- أحتاجك يا جمرة، إما انتِ أو ابنتك فلتختاري بمن ستضحين.. بنفسك أم ابنتك؟

هي تعلم في داخلها سبب كل هذا، في الواقع هي تعلم كل شيء، لماذا كانت قربانًا لقرين بل أكثر ولماذا أيضًا هذا الساحر يحوم حولها منذ



صغرها ولكنها فضلت سؤاله عن كل ذلك لتكسب بعض الوقت كي تفكر لعلها تجد منفذًا:

- لماذا يا جابر؟ لماذا ترغب بي بهذه الشدة رغم أن ابنتي تحمل جيناتي أيضًا..

ظهرت بهذه اللحظة أسنانه الصفراء بسبب اتساع ابتسامته حيث قال:

- أنتِ مخطئة، إن كانت تمتلك ما تمتلكينه لما احتجت إليك، لكنها للأسف لم تأخذ منك كل الصفات التي نحتاجها نحن السحرة والشياطين في تقديم القرابين.. ليست زوهرية بالكامل وأنا أريد شخص يمتلك صفات الزوهريين الكاملة.

في تلك اللحظة خرجت رُبا من منزل أختها متوجهة إلى منزلها برفقة زوجها. فور خروجهم شاهدت جمرة ترافق جابر ذاهبتًا إلى مكان لا تعلم عنه شيئًا دون أن تلتفت لها رغم أنها ظلت تناديها:

- جمرة، ما بك ولماذا أنتِ هنا ومن هذا الرجل!

أرادت اللحاق بها، ولكن صوت بكاء طفلة جعلها تلتفت للوراء لتجد ابنة جمرة محاسن تبكي في منتصف الزقاق. لتصرخ على زوجها:

- الحق بهم، ثم ركضت نحو تلك الطفلة.

حاول زوجها اللحاق بجمرة وجابر، ولكنهم كانوا سريعين جدًا ليختفوا في لمح البصر من أمام عينيه.

كان الأمر مخيفًا جدًا ومرعبًا، مليئًا بالضياع.. لقد اختفت من أمام عينيه هي ومن معها رغم تيقنه من أنهم كانوا أمامه.

فور حمل رُبا لمحاسن تلك الطفلة الصغيرة ذهبت وراء زوجها لعله أمسك بصديقتها، ولكن عند رؤيتها له وهو ينظر للطريق الخالي أمامه نظرة مليئة بالرعب حتى تيقنت أن ما حصل قد يكون له علاقة بالشياطين الذين ظنت أنها تخلصت منهم.

ذهبت برفقة زوجها إلى منزل ليث والذي جاء من عمله في ذات الوقت ليتصادف معهم أمام منزله متعجبًا من حملهم لابنته التي لم تتوقف عن البكاء.

أمسك بها زوج رُبا ليتناولها منه ليث ويقول بتعجب:

- ما الذي يجري هنا وماذا تفعل ابنتي معكم!

لم تنتظر رُبا لتفهمه أو تفهم منه، بل ذهبت إلى داخل المنزل وبدأت بالصراخ.

- جمرة، هل أنتِ هنا، هل جمرة موجودة في المنزل؟

ظهرت الخادمة مينا والتي يبدو عليها الرعب بعد أن شاهدت الطفلة محاسن في حضن والدها بينما جمرة لم تكن متواجدة معهم. وبسبب صوت رُبا المرتفع خرجت السيدة مها أيضًا من جناحها لتقول:

- ما الذي يحدث هنا، ما بك تصرخين يا رُبا؟

التوتر الذي يشعر به ليث وقتها والاستفهامات الكثيرة التي تدور في رأسه قد فاضت به ليصرخ:

- أخبروني ما الذي يجري وأين هي جمرة؟

عندها اخبرتهم رُبا وزوجها عن كل ما شاهدوه في ذلك المكان حتى تحدثت الخادمة مينا بعد أن عجزت عن كتم ذلك السر:

- بدأ الأمر عندما اختفت محاسن من غرفتها ووجدنا رسالة تخبر جمرة بالتوجه إلى مكان ما، لم يذكر، ولكن تمت الإشارة إلى أن جمرة تعرفه جيدًا، لتطلب مني الصمت حتى تعيد الطفلة، ولكن..

اتضح الخوف على وجه السيدة مها وابنها ليث، ليترك الأخير ابنته دون تفكير منه ويركض نحو ذات المكان الذي أخبرته به رُبا.

لم يجد أحدًا، المكان خالي من أي مخلوق حيث كل الأشخاص في تلك اللحظة معتكفون في بيوتهم، ليصرخ في أرجاء المكان باسم زوجته ويطرق أبواب المنازل بحثًا عنها، ولكن دون جدوى.

مرت الأيام وجمرة لا أثر لها، لقد اختفت بحثوا عنها في كل مكان مستعينين بالشرطة، ولكن دون فائدة إلى أن بدأ يظهر عليهم اليأس والاستسلام أمام ليث ليقول بغضب:

- كيف لكم أن تتهاونوا هكذا؟ ابحثوا عنها من المؤكد أنها في إحدى أركان تلك القرية المتهالكة، لا يمكن أن تكون في مكان بعيد عنها، لا يمكن أنها اختفت في لمح البصر لتغيب عن الأرض بأكملها دون أثر، لا يمكن لذلك أن يحدث!

كل ما قاله لم يكن مجديًا، ليخرج من مركز الشرطة عائدًا إلى منزله خائبًا بعد أيام امتدت لتصل إلى شهر دون أي أثر يذكر لها.

(21)

الساحر جابر

قبل سنوات طويلة، عندما كانت والدة جابر رقية في آخر أيام حملها كانت تصارع تلك الألآم داخلها بسبب عسر ولادتها.

بعد صراع امتد لثلاث أيام أخرجت طفلها وقبل أن تسعد به جاءها خبر كالصاعقة من شفاه إحدى الجارات في أصعب لحظات حياتها:

- سمعت من زوجي أن أسلم زوجك يارقية هذه الليلة سيتزوج من امرأة أخرى.

صرخ عليها الكثيرون محاولين إيقافها عن نفث سمومها على تلك المسكينة التي تصارع الموت لتنجب طفلها، لكنها لم تبالي، بل أكملت إخراج كل ما في جعبتها:

- وسمعت أيضًا أن زوجته جميلة ولم تتجاوز السابعة عشرة من عمرها بعد.

سحبتها والدة رقية من أمامها وقذفتها إلى الخارج لتصرخ عليها:

- أنتِ لا تمتلكين ذرة خجل، إياك والقدوم إلى منزلي مجددًا.

لتغلق الباب في وجهها وتذهب إلى ابنتها التي كانت تبكي من شدة الألم والخذلان الذي تشعر به بسبب زوجها أسلم.

ما بال هذه الأرض مليئة بكل هذا الظلم، كيف له أن يتخلى عن رفيقة دربه ليهرب نحو شخص لا يعلم عنه شيئًا متناسيًا سنينًا كثيرة مليئة بالتضحية.

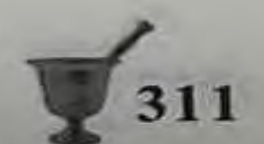
بدأت بالبكاء بينما ذلك الطفل حديث الولادة بدأ يشارك والدته نصيبًا من بكائها.

حاولن النساء التخفيف عنها، ولكن دون فائدة. بعد يأسهن عدن إلى منازلهن لإعطائها القليل من الوقت لترتاح بعد الجهد الذي قامت به.

أمسكت والدتها سماء بابنها وقالت لها:

- سأعتني به، وأنتِ يا عزيزتي رقية أخلدي إلى النوم ولا تخشي شيئًا فالقدر سيصيبه هو ومن قبلت به بلعنة السواد الذي زرعه في قلبك.

لم يفهمها أحد، هي لا تبكي رحيله عنها، بل تبكي تلك السنوات التي قضتها معه. تبكي ذلك الكفاح لعشرة سنوات من الفقر والحاجة، لقد تحملته سنينًا طويلة، كانت معه في أصعب مراحل حياته، والآن عندما تحسن وضعه ذهب إلى فتاة أخرى كي تشاركه الحياة السعيدة.



نظرت مكسورة إلى يديها المليئة بأثار الاصابات نتيجة خياطتها لآلاف الثياب لتساعد زوجها على حمل نفسه.

بعد أن حصل على ذلك التعويض الضخم مقابل تنازله عن قصاص قاتل ابنهم الأكبر جابر والذي لم يتجاوز التاسعة من عمره مقابل دية دفعها أهل القاتل حتى عزم على تغيير كل شيء في حياته للأفضل، وقد شمل قراره تغيير رقية بفتاة أصغر وأجمل منها في ذات الوقت.

يا لغرابة الرجال، لا يملكون من الوفاء ذرة.

قررت تسمية طفلها حديث الولادة جابر كإسم ابنها الأكبر. وقد حاولت إرسال الكثير من رجال عائلتها لمنزل زوجها الذي هجرها للاعتراف بابنه، ولكن دون فائدة فقد كان رده:

- لم أطلب منها أن تنجب طفلاً آخر، لقد جلبت ذلك الطفل لإرغامي على البقاء معها لذلك فأنا لا اعترف به.

بقي جابر دون أن يعترف والده به، حيث إنها حاولت كثيرًا أخذ حقه من والده، لكن كل ذلك الجهد الذي فعلته لأجله ذهب سدى لتستسلم لواقع ابنها المشؤوم بقلب متحسر على حاله.

مرت سبعة سنوات كلمح البصر وقد ماتت رقية من شدة الهم.

كان الأمر محزنًا على والدتها سماء والتي كافحت كثيرًا لرعاية جابر مستعينة بأموال بعض اقربائها التي ترسل لها كصدقات حتى رحلت أيضًا بعد رحيل ابنتها بسنتين لا أكثر.

أصبح عمر جابر تسعة سنوات، وحيدًا في ذلك المنزل. يقتات على بعض الصدقات التي ترسل إلى منزله أحيانًا.

الكثير من تلك الصدقات عبارة عن أطعمة تحتاج للطهي كالأرز والدقيق وبسبب محاولاته الفاشلة لإعداد طعام قابل للأكل كان يتعرض للكثير من الإصابات في أنحاء جسده.

يأس كثيرًا فشعور الجوع كالموت البطيء، ولكن رغم ذلك لم يتوسل للجيران أي لقمة لتحجب عنه ذلك الشعور. فالكبرياء بالنسبة له أعظم من كل الكوارث التي حلت عليه رغم صغر سنه.

في تلك الليلة التي شعر أنه قد يودع بها هذه الدنيا نتيجة جوعه أرغم نفسه على طحن الأرز النيء بأسنانه لعله ينجو.

قد رحل شعور الجوع صحيح، ولكن جاء بدلًا منه شعور أكثر بشاعة وألمًا، غريب جدًا حيث إن يديه أصبحت تمسك ببطنه ليصرخ من شدة الألم.



في تلك اللحظة شعر بيد ثالثة تمسك بطنه ليخرج كل ما تناوله دفعة واحدة من فمه ليهدأ بعدها ويرحل عنه ذلك الألم.

استطاع عندها استجماع تركيزه ليجد القدر الذي حاول الطبخ فيه ممتلئًا بالأرز المطهو وقطع اللحم.

لم يبال وقتها بالتفكير عن سبب وجود الطعام هنا فجأة فقد بدأ بالأكل مباشرة بكل شراهة حتى شعر بالتخمة لينام بعدها ولأول مرة نومة هنيئة خالية من أصوات معدته.

تكرر الأمر لأيام وأيام فكل ليلة يجد القدر مليئًا بأصناف مختلفة من الأطعمة، شعر أن الحياة ولأول مرة تظهر له طيبتها التي لم يشعر بها منذ ولادته.

ظن بسبب طفوليته أن رزق من الله فقط، دون أن يفكر ماهي الوسيلة، حيث إن والدته رقية قد أخبرته سابقًا أن الرزق يأتي من الله وهذا أمر مسّلم به، فربط ما يشاهده بذلك ليحمد الله عليه كل ليلة.

عاش جابر حياة هانئة في ذلك المنزل وحيدا، فقد كان منزله نظيفا وثيابه كذلك، بل إن رائحة البخور والأطعمة الشهية تنشقها الجيران وتعجبوا منها.

لم يكن يشاهد أحدًا في تلك الأثناء حتى وصل إلى عمر الرابعة عشرة عندها شاهد ولأول مرة امرأة شبيهة بوالدته بعض الشيء تجهز العشاء له.

شعر برهبة من الموقف، من هذه المرأة وكيف دخلت إلى منزله. عند رؤيتها له ابتسمت بهدوء حيث إن تلك الابتسامة بعثت له القليل من الراحة رغم الغرابة التي تحوم حوله، فسألها سريعًا:

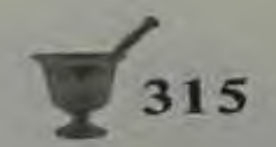
- من تكونين!

لتقترب منه فيبتعد بعض الخطوات للوراء لكن خطواتها كانت أسرع فلم يعد يفصل بينهم سوى القليل من المسافة لتربت على رأسه برفق وتقول بعدها:

- أوصتني والدتك رقية عليك وقد وعدتها..

لم يتذكر من قبل أنه رأى والدته تذهب إليها أو أنها قد حضرت إلى منزلهم حتى، فقال بشك:

- لكني لا أذكر أن لوالدتي شخص قريب لتوصيه علي، ثم لماذا تذكرت أمر هذه الوصية الآن بعد انقضاء كل هذا الوقت على رحيلها.



لم تجبه فقال بنفاذ صبر:

- أرجوك أخرجي من منزلي، إن علم رجال القرية عن وجودك هنا سأتعرض للكثير من المشاكل.

لم تجبه أيضًا، بل اتخذت من بساط مهترئ مقعدًا لها. وطلبت منه بإشارة من يدها أن يجلس أمامها لكنه أبى وأعاد ما قاله:

- أرحلي يا امرأة من منزلي، لا أعلم ما الكارثة التي جاءت بك إلي، ولكني أطلب منك الآن وبكل هدوء الرحيل.

شعرت عندها بنفاذ صبرها منه لتتحول أمام عينيه إلى قطة سوداء اللون وتختفي من المكان.

علم وقتها أن هذه المرأة ليست إلا نفر من ذوي الحرفين فبدأ يتعوذ الله منها ويقذف بالطعام الذي أعدته له خارج منزله.

وأدرك عندها أن كل تلك الأطعمة التي تناولها منذ صغره ونظافة منزله وثيابه هذه الجنية أو الشيطانة هي سببها.

رغم عدم شعوره بالأمان في ظلمة ذلك الليل خوفًا من عودتها لكنه يعلم أن بداخله الكثير من الامتنان لها.

في اليوم التالي وفي نفس الوقت شاهدها تفعل ما فعلته بالأمس حيث إنها كانت تعد له العشاء. كان يخافها ويطلب منها الرحيل فتذهب ليفعل نفس الشيء ويخرج ذلك القدر بكل الأطعمة داخله لتعود في اليوم التالي غير آبهة بما يقوله.

تعوّد على وجودها شيئًا فشيئًا حيث أصبح يجلس بعيدًا عنها حتى تنتهي وتختفي من أمامه ليتناول ما أعدته بشراهة.

مع مرور الوقت بدأ يتقبل وجودها أمامه عند تناوله الطعام لكن دون أن يحادثها، ولكن لم تمر بعدها إلا أيام قليلة ليبدأ معها نقاشًا:

- لماذا تفعلين لي كل هذا؟

- أخبرتك، لقد وعدت والدتك ويجب أن أوفي لها بوعدي.

نظر إليها ليبحث بعينيه عن بعض المكر والخداع في عينيها، ولكنه لم يجد إلا البراءة والصدق يظهران عليها. ليكمل بعدها:

- وما الذي فعلته لك جعلك تحملين على ظهرك ثقل هذا الوعد الذي أراه كثقل الجبال من شدة صعوبته.

ابتسـمت له كتلك الابتسامة البريئة التي تضعها على وجهها كلما لاقته وقالت:

- عندما كنت حامل بطفلتي خرز، كنت بعيدة جدًا عن منزلي ولم أستطع الوصول إليه لاقتراب موعد ولادتي، تجسدت على شكل قطة يتضح أنها تعاني من صعوبة ولادتها لعل أحد البشر يشفق علي، ولكن جميعهم تجاهلوني عداها. بينما كانت تحاول إيصال بعض الثياب لزبائنها توقفت لتعيرني بعض الاهتمام وتساعدني في ولادتي لطفلتي لأنطق بعد خروج خرز وأبحت تحملها بين يديها:

- أيتها البشـرية لك مني طلب واحد سأقوم به وإن كلفني حيـاتي بأكملها.

شعرت بالرعب وقتها وهربت من المكان، بينما تلك الأقمشة ظلت واقعة على الأرض بجانبي.

تذكر وقتها جابر في صغره عندما ذهبت والدته لتسليم إحدى الطلبات، ولكنها تأخرت كثيرًا حتى قلقت جدته عليها ليخرجان بعد ذلك للبحث عنها، ولكن عند رؤيتهم لها كانت ترتعش من شدة الخوف وبدأت تتمتم للجدة كلمات لم يفهم ويسمع منها وقتها عدا:

- كانت قطة يا أمي لكنها تتحدث، كانت تتحدث معي.

لتقرأ سماء على ابنتها بعض الآيات وهي تقول:

- اللّهم أجرنا منهم، أبعدهم عني وعن عائلتي أعوذ بالله من الشياطين ومردتهم.

لتكمل له تلك التي أمامه:

- بعدها بدأت أتبعها في كل مكان تسير فيه، كانت تصرخ من شدة خوفها، ولكني بقيت كما أنا وقد كانت رغبتي فقط في وقتها هي أن تطلبني ما تريد لأفعله وأرد لها الجميل الذي قامت به وأوفيها حقها. فنحن الشياطين نحترم الوعود وهي كحد السيف على رقابنا. ولكن في لحظة يأس من والدتك قالت لي:

- أرغب فقط أن تعتني بإبني إن حصل لي ولوالدتي أي شيء يبعدنا عنه، فهو وحيد تمامًا، وحيد رغم امتلاء هذه الدنيا من البشر حد أن فاضت بهم.

صمتت تلك المخلوقة ليسألها بعد انتهائه من تناول طعامه:

- ما هو اسمك؟

- اسمي لاقيس من الجن الطيار، أمتلك ثلاث أولاد وبنتين (أبايزو، حنظل، زوبعة، خصفر، خرز) وجميعهم مثل إخوتك تمامًا يا جابر.



بدأت تعليمه كل ليلة عن عالمهم، ثم رويدًا رويدًا حتى بدأ أطفالها يظهرون أمامه ليصبحن عائلته، يأكل معهم وينام معهم أيضًا وفي بعض الأحيان عندما يستيقظ كان يجد نفسه في أماكن غريبة لم يعهدها ليأمرهم بإعادته فيعيدونه.

كانت خرز الأقرب إليه والأحب لقلبه من الجميع، فقد كانت تهوى سرد القصص له من كل زمان ومكان وتتعمد تعليمه جميع ما منعتها والدتها لاقيس من تعليمه.

لطالما كانت تلك الشيطانة الأم تخاف عليه من شرور أبنائها ورغم كل ما تفعله لحمايته كانت خرز مصرّة على استغلاله لتنال ما تبتغيه من علوم محرمة، بدأت تحكي له عن حديقة الحياة والأبواب الخمسة ثم تتوقف عند حدث مهم جدًا وتقول:

- تذكرت، منعتني والدتي من الحديث معك عن هذه الأشياء.

ليرجو منها أن تكمل بقوله:

- لا تهتمي لها فهي تفعل كل ما أريد، لن تسـتطيع منعي من التعلم ابدًا.

لتعده بقول المزيد في وقت لاحق عند رحيل الجميع من عائلتها، ليبقى متشوقًا ومنتظرًا وقت مجيئها لتقص عليه ما تعلمه من أساطير وغرائب في هذا العالم.

كانت زوبعة أختها الكبرى تنصـــحه بالابتعاد عن خرز وعدم مجاراتها، وهمست له:

- لا تثق بأي شيطان مطلقًا، فالشيطان قد يقتل أي مخلوق وإن كانت عائلته لأجل شرور نفسه.

لم يصدق جابر أن زوبعة تتحدث بالسوء هكذا عن أختها رغم تأييد الجميع لها لكنه كان يميل لخرز وقصصها التي لا تنتهي.

كان مغرمًا بصوتها ورقتها وعمق تفكيرها الذي جعله يفكر بنفس طريقتها مع مرور الوقت.

كثيرًا ما قالت له، ماذا لو أبحرنا في عمق هذه الأرض لمعرفة المجهول، لماذا يحرم علينا إتباع أهواءنا ورغبات أنفسنا التي كانت أحد أسباب التطور في هذه الحياة.

كانت تمتلك من الفصـــاحة والعلم الكثير، نتيجة غوصـــها بين صفحات الكتب منذ طفولتها.

حاولت لاقيس منع ابنتها خرز من التواصل مع جابر حفاظًا عليه وعلى الوعد الذي قطعته لوالدته وقد عاونها على ذلك جميع أبنائها، لكن تلك الشيطانة الصغيرة أبت فوسوست لجابر بقتلهم جميعًا بواسطة مياه الحلقم التي جلبتها من النهر الوحيد المتواجد في عالمهم (عالم الشياطين) والذي يرتبط في ذات الوقت بالبوابة الخامسة لحديقة الحياة والتي يحرسها أنانو بنفسه.

كانت تلك المنطقة محرمة عليهم من قبل الشياطين العشرة والذين يترأسون المكان بسبب خطورته عليهم، أخبرته أيضًا أن تلك المياه التي بين يديه تكون في ذات الوقت شفاء لجميع الأمراض التي تصيب البشر والحيوانات أيضًا ومفتاحًا للخلود في هذه الأرض فهي ترغب أن تعطيه هذه الميزة في حال نفذ ما تطلبه منه ليعيش حياة طويلة في خدمتها وتحقيق رغباتها.

بينما هو شعر أنها النصف المكمل له، لقد أحبها.. أحبها كما لم يحب أحد من قبل.

فعل ما طلبته، لقد قذف بتلك المياه في ذات الإناء الذي يأكل منه هو وعائلتها. لم تمر بعدها سوى دقائق معدودة ليصرخوا ألمًا ويتساقطوا من حوله بينما هو ممتلئ بشعور القوة والعافية. علمت لاقيس أن ذلك الذي

فعلت لأجله المحرمات في عالمها قد خذلها وقذف بكل ما فعلته لأجل ابنتها التي لطالما كانت تحذره منها، لم تكن حزينة منه، بل كان قلبها ينفث حزنًا وألمًا لرحيلها بعد أن خذلتها ابنتها الصغرى خرز.

تلك الشياطين، أخذت نصيبًا من شرور البشر وشرور أنفسهم ذاتها عندما انغمسوا في رداء الطيبة المحرمة عليهم.

لقد ماتوا جميعًا أمام عينيه، جثثهم تحولت لقطط سوداء ميتة من حوله، ثم سرعان ما اخفتهم خرز عن عينيه ليظهر بعدها ثلاثون شيطانًا من أقوام مختلفة جاهزون لخدمته، بل بالأصح، جاهزون لاستغلاله لأجل غايات خفية.

كان ينظر لخرز متعجبًا، لم تظهر عليها آثار الحزن على رحيل عائلتها، بل كل ما فعلته عوضًا عن ذلك هو وضع المزيد من الخطط لأجل أن تدخل إلى حديقة الحياة وتكشف جميع أسرارها.

كانت تمسك يد شيطان يدعى حازر من سلالة الغيلان. كان بشعًا مليئًا بالسواد رغم ارتداءه جسدًا بشريًا لا يشبهه.

شعر جابر بالغيرة منه نتيجة اقترابه من خرز تلك التي أحبها لسنين طويلة، لم يستطع التحدث وقتها فابتعد عنهم ليجلس في سطح منزله ينظر إلى السماء بصمت مليء بالانكسار.



سرعان ما ظهرت بجانبه لتقول له:

- ما بك!

لم ينطق لقد تجاهلها ولأول مرة مما جعلها تعيد كلمتها بغضب:

- قلت ما بك!

نظر عندها إلى خرز وظل يتأمل ملامحها اللطيفة والتي تخفي تلك الروح الشريرة القابعة داخلها وقال:

- قلبي لا يتحمل كل ما تفعلينه يا خرز، لم يكن هذا الاتفاق قائمًا وقتها.

أمسكت يده واقتربت منه لتقول:

- أنت تعلم يا جابر أني أحبك، ولم أحب أحدًا بقدرك وهذا سبب إعطائي لك ماء الحلقم أو كما تسمونه في عالمكم إكسير الحياة، لأني أردت أن أشاركك هذه الحياة بكل تفاصيلها وأن لا يأخذك الموت مني.

نظر إلى تلك الشـياطين من تحته والتي تمارس فجورها أمام عينيه ليقول:

- لماذا أحضرتِ هؤلاء الشياطين، لم نكن نحتاج إليهم.

- من قال ذلك، هم مجرد آداة للتضحية بهم في المستقبل يا عزيزي، نحن نحتاج إليهم صدقني.

كان حازر ينظر للأعلى نحو خرز بابتسامة ساخرة من ذلك البشري الغبي بينما تبادله الأخيرة ذات الابتسامة.

عاش جابر برفقة تلك الشياطين مئة وأربعون سنة بجسد في عمر الثلاثين لا أكثر. كان يمارس جميع أنواع السحر ورغم انتشار الكثير من الإشاعات عنه وعن شياطينه وأصبح الجميع يستعيذ منه لكنهم في ذات الوقت يذهبون إليه سرًا لأجل تحقيق ما في أنفسهم.

لم يجد الشياطين صعوبة في إغواء هذا البشري البائس ومن يأتون إليه أيضًا فالبشر معروف عنهم منذ زمن طويل أنهم ألد الأعداء.

(ما أشد قسوة الإنسان على نفسه وعلى قومه الذين معه).

تعرفت خرز على الكثير من المعلومات التي قد تدلها على السبيل الوحيد الذي سيدخلها إلى حديقة الحياة ويجعلها تتجاوز تلك الأبواب الخمسة وحراسها المتكاتفين ضد الغرباء.

(الزوهري) هو القربان الأعظم والذي لا يستطيع رفضه أي حارس من حرّاس الأبواب الخمسة.

معلومة:

الزوهريين لديهم خصائص تميزهم عن أقرانهم من البشر. لا يعرف من الأساس ما هو تكوين الزوهري رغم انتشار بعض الأقاويل أن الزوهري هو هجين بين الإنس والجان، ولكن هذا الأمر خاطئ.

فالهجين (كـ ورد) من كتاب بين الأساطير، تمتلك بعض صفات البشر والجان في ذات الوقت وقد طغت عليها صفات الجن بسبب أن والدتها من الجن ووالدها من البشر لكن إن عكسنا الأمر وكان الهجين من أم بشرية ورجل من الجان ستجده أقرب لصفات البشر رغم امتلاكه للعديد من صفات الجن أيضًا.

الزوهريون لا يمتلكون صفات خارقة كتلك التي تمتلكها ورد بل هم من الأساس بشر من أب وأم بشريين بالكامل لكنهم يمتلكون قرين

من نفس جنسهم وهذا نادر جدًا وفي ذات الوقت تكون دماءهم مخلوطة بدماء قرينهم فالأبواب بينهم مفتوحة منذ ولادتهم (فهم يولدون في ذات الوقت)، وهذا أيضًا لا يحصل للبشر عادة فالقرين يولد قبلهم بسنين طويلة.

هذا سبب من أسباب تعلق القرين بمن يقترن به حيث إنه يراه كأخيه. إن غضب الزوهري يغضب القرين أيضًا فينتقم له وإن شعر بالسعادة يسعد ذلك القرين كذلك، ولكن لتعلم أمرًا مهم جدًا أن القرين لا يستطيع الدفاع عن صاحبه بالكامل إن لم يتم فك قيوده.

السبب الوحيد لقبول حارسي المكان لجسد الزوهري هو القرين نفسه، من المعروف أن تضحية القرين بنفسه ومماته مع صاحبه يكون بقدر الدماء الممزوجة بين الاثنين فإن كان البشري ذا زوهرية صافية بالكامل فهذا يعني تضحية القرين بنفسه معه مؤكدة بينما تكون غير ذلك عندما تقل نسبة صفاء الزوهري.

لكن لماذا يوافق حارسي المكان على هذا الأمر (قتل القرين) رغم أن القرين من الأساس يعد من بني جنسهم!

رغم أن القرين من الأساس يكون من بني سوميا مجهولي الأبوين فهم يولدون من العدم ويعيشون سنوات طويلة أحرارًا حتى يولد صاحبهم ليقيّدوا به، في تلك السنوات قبل تقييدهم كانوا يتفاخرون بقوتهم في عالم الشياطين والجن حيث يتعمدون إهانة كبيرهم والتقليل منه.

تساوي قوة أقل فئة من القرين تلك التي يمتلكها ملوك الجان ومردتهم. فقبولهم لذلك الزوهري يعتمد على تضحية القرين معه إن قتل ذلك البشري وهرب القرين يتم رفض الجثة وتغلق أبواب الكنوز في وجوه الطامعين بها لذلك يفضل السحرة النوع الصافي منهم رغم ندرته.

ما هو القرين من الأساس!

في الواقع وإن ذهبنا إلى أعلم الشياطين لن يجيبك عن هوية هذا الجنس الغريب، يخلقون من العدم مكتملين عقلًا وبدنًا وعند خلقهم تكون لهم معرفة كاملة عن هذه الحياة بكل ما فيها.

عدائيون بالفطرة ويكرهون بني جنسهم عدا القرناء أنفسهم فقط. لا يحب القرين صاحبه في العادة لكنه يألفه ويشعر بالوحشة عند رحيله حيث إن ممات البشري لا يعني زوال تلك القيود عنه، بل سيبقى أمام قبره إلى أن يأتي أجله.



بينما قرناء الزوهريين يعتبرونهم كالأخوة تمامًا حيث يخافون على أصحابهم ويشعرون بالحب والمودة تجاههم.

إذًا استنتجنا أن الزوهري لا نفع له بلا قرينه، بل إن غاية الشياطين هي القرين فقط وغاية السحرة هي الكنوز والمعرفة لا غير.

مسكين ذلك الزوهري، ذا حظ سيء مليء بنكسات الحياة.

(22)

عودة همام

فتح ليث باب منزله بوجه عابس وقلب مليء بخذلان الحياة له..
لطالما شعر أن السعادة إن قدمت له حتى وإن سعى إليها جاهدًا فسرعان
ما تسحب منه بعد تعوده عليها.

تلك الفتاة، حب طفولته التي طالما تمنى أن تبادله مشاعره، أصبحت
ملكًا له ليصبح في قمة سعادته لبعض الوقت ثم سرعان ما أُخذت منه
وكأنها لم تكن، ما بال هذا العالم يمارس شروره علينا!

هذا ما كان يشعر به في تلك اللحظة.

كان المنزل خاويًا حيث إن والدته ذهبت إلى منزل ندى للبقاء معها
خوفًا من عودة الشياطين للمكان بينما ابنته والخادمة مينا تكفلت رُبما
بالاعتناء بهم.

جلس على أول كرسي يواجهه ليفرد جسده عليه ويرفع رأسه للأعلى
بسبب الإرهاق الذي يلامسه.

صوت ضحكات في الأعلى شبيهة بصوت جمرة، نهض سريعًا من
مكانه محاولًا التركيز خوفًا من أنه بدأ عقله يصاب بالوهم، ولكن ذلك

الصوت عاد مجددًا بطريقة جعلته يتيقن من وجود شيء في الأعلى ولا يمكن أن يكون ذلك الشيء زوجته.

رغم كل شيء ركض فورًا نحو الطابق الثالث والذي تصدر منه تلك الأصوات. فور وصوله ومشاهدته لغرفتهم مفتوحة وهناك من يعبث داخلها شعر أن قلبه على وشك التوقف خوفًا.

لكن رغم ذلك الخوف الذي يسيطر على جسده فقد حاول أن يتمالك نفسه لأجل من يحب، فتوجه خطوة تلو أخرى إلى تلك الغرفة، أُقفلت الأنوار فجأة ليشعر بشخص يحادثه موجهًا كلماته لأذنه اليمنى مباشرة:

- يجب عليك إنقاذها.

بعد أن اعتادت عيناه على الظلام لاحظ جسد شـخص يجلس في طرف السرير موليه ظهره.

فقال ليث بشجاعة أبهرت من يحادثه:

- ما الذي أستطيع فعله لإنقاذها؟

- أن تجعلني أتحكم بك بالكامل وسأفعل بعدها ما أستطيع فعله لإنقاذها.

في تلك اللحظة شعر بالتوتر من فكرة إعطاء جسده لشيطان لا يعلم عنه شيئًا فقال:

- وما الذي يضمن لي أنك ستفعل ما تقوله، ثم لماذا ترغب بإنقاذ جمرة بينما أنت المتسبب بكل شيء حدث لها يا همام؟

لم يتفاجأ همام من أن ليث يعلم عنه، فقد أخبرته جمرة كل شيء من قبل فمن الذي قد يود إنقاذها من العالم الآخر سواه هو وقرينتها مهار.

لتُفتح تلك الإنارات من جديد ويظهر أمامه همام بشكل رجل غريب الملامح، ولكنه مقبول بعض الشيء ليقول له بتحدي واضح بينهم وبكلمات مليئة بالسخرية:

- لقد أحببتها، ولأني أحببتها قد أتحالف مع عزازيل بنفسه لأجل إنقاذها.. من المفترض أن تفعل أنت ذلك أيضًا بما أنها زوجتك!

تلك الكلمات التي قالها وزرعها داخل أذن رجل عربي مليء بالغيرة على زوجته جعله يفعل بدون تفكير ما يدعي ذلك القرين فعله لتفتح الثغرات بعد أن نطق ليث بالجملة التي تسمح لأي مخلوق بالسكون داخلك دون مقاومة منك:

(جسدي في هذه الليلة ملك للقرين همام وليد الرياح).



لتتحول ملامحه المرعوبة عند نطقها إلى ملامح باردة لم يعتد جسده عليها، ليختفي بعدها من المكان بلمح البصر.

في صحراء الربع الخالي، حيث البوابة الأخرى من كهف أرابينيا متواجدة في المكان. كان يمشي حينًا ويطير حينًا أخرى بمساعدة شياطينه ثم ما إن وصل إلى بقعة تغير لون ترابها للون الأبيض حتى أغمض عينيه ورفع يديه للأعلى لتدخل داخله كل الشياطين التي يملكها بالإضافة إلى خرز. فتلك البقعة لا يمكن لأي مخلوق من بني سوميا، الدخول إليها إلا إن تلبسوا بشريًا لاستخدامه كمركب لهم.

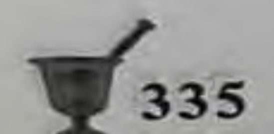
(ملحق)

التراب الأبيض المنتشر في ذلك المكان يحتوي على مادة حارقة لجسد بني سوميا حيث إنه محرم عليهم الاقتراب من أي بوابة في أرجاء الأرض تؤدي إلى الدخول لكهف أرابينيا.

كهف أرابينيا يعد من الكهوف الخمسة المتواجدة حول العالم (أرابينيا، أرابينسا، أنانو، أنزوهالا والجحيم)، هؤلاء الخمسة هم حراس تلك الكهوف والتي تعد بالمعنى الأصح بوابات للكنز المطلق، حديقة الحياة التي تحتوي على ماء الحلقم والمخصص للشفاء من جميع الأمراض للبشر والذي يدعى بمسمى آخر (ماء الخلود) أو (اكسير الحياة)، بينما هنالك يوجد أيضًا ماء الخنقم والذي يعطي بني سوميا القوة الكافية لحكم الأرض بما فيها.

هذا سبب طمع (خاتمة) و (عمام) بجسد جمرة وهو ذات السبب الذي جعل خرز تجبر (جابر) على جلبها معه في هذه اللحظة.

الكثير من السحرة يظنون أن الدخول إلى إحدى هذه البوابات والحصول على الشياطين منها هي الفوز الأعظم، ولكن القلة القليلة جدًا من تعلم بسر حديقة الحياة والتي تكون في منتصف تلك البوابات



الخمسة ولا أحد إلى الآن من مخلوقات الجان أو الإنس استطاع الدخول إليها منذ عشرين ألف سنة.

فور دخوله قال لجمرة والتي كانت تسير خلفه دون حول منها ولا قوة:

- الكثير من السحرة يفعلون المستحيل للدخول إلى هذه البوابات، يظنون أن تملك شياطين دون عهود يكون الفوز الأعظم لكنهم أغبياء جدًا، من الذي ينظر لهذه التفاهات في ظل وجود حديقة الحياة، معجزة الله في هذه الأرض.

لم تكن تفهم ما يقوله ولم تكن تملك القوة في ذات الوقت للتركيز بكلماته فجسدها قد وهن نتيجة الجوع والعطش وتشققت أقدامها من كثرة المشي.

لقد تعمد تعذيبها متلذذًا هو وشياطينه، يحرمها من الماء والطعام إلى أن تسقط من شدة الوهن ليعطيها القليل فقط ما يضمن بقاءها على قيد الحياة ثم يجعلها تمشي لساعات طويلة تحت أشعة الشمس الحارقة بينما تلك الشياطين تحمله وما إن يشعر بقرب خروج الروح منها يسحبها معه.

ذلك الساحر الخبيث، كان مليئا بالشر الذي فاق الشياطين أنفسهم.

عند وصوله لبوابة أرابيينا قال بصوت مرتفع

- أرابينيا، أحمل إليك القربان الذي أود تقديمه لك، لتفتحي أبواب رحمتك نحوي.

قال صــوت خارج من العدم بعد ظهور بوابة خفية مليئة بالرموز العربية:

- لتلامس يدك ويد أضحيتك بوابة أرابينيا.

أمسك بجمرة والتي كانت تقاوم بشدة للهرب منه رغم ضعفها، ولكن دون جدوى وتقدم بخطوات الواثق نحو البوابة وفور أن وصل إليها ووضع يده ثم أمسك بيد جمرة ليضعها في المكان المناسب، ولكن قبل أن يفعلها ظهر صوت خلفه:

- إياك أن تفعل!

نظر للخلف ليجده زوج جمرة ليث، ولكن خرز همست في داخله أن المتحدث هو القرين الأعظم للساحر علي الأفرهاني والذي انتشر صيته في أنحاء ممالك الشياطين من فرط قوته.



لم يكن يفصل بينه وبين حلمه، بل حلم خرز سوى تلك الخطوة الوحيدة، أن يضع يدها فقط وحاول بكل قوته سحب تلك اليد لكن وكأن شيئًا خفيًا منعه من القيام بما يريد فعله.. لقد انشلت يده حيث إنها لا تتحرك بسبب مهار وهذا كان أقصى ما تستطيع فعله لثواني قليلة فقط بسبب قيودها. ما فعلته قد أعطاهم الوقت الكافي ليصل همام نحوهم فتهرب تلك الشياطين بمن فيهم خرز والتي نظرت إلى همام نظرة مليئة بالغضب قبل اختفائها. بدأ همام يلكم وجه جابر بواسطة جسد ليث بكل قوته لتتناثر الدماء على وجهه وتتلطخ يد الآخر بالدماء ذاتها ثم سرعان ما يشفى وجهه وتعود دماءه للداخل مجددًا.

علم همام فورًا أنه شرب ماء الحلقم ولكنه لم يبال بذلك حيث اقترب منه وهمس له:

- لن أفعل بك شيئًا، فأنا متشوق لمعرفة ما سوف يحدث لبشري مخلد على يد..

كان وجه ليث يبتسم ابتسامة مليئة بالمكر بينما يديه تحمل جمرة التي سقطت مغشيًا عليها نتيجة ما عانته وعينيه تنظران إلى ذلك الساحر الوحيد، كان ينادي على خرز راجيًا منها المساعدة، ولكن تلك الأخيرة قد ولت هاربة كالفئران تمامًا. ظهر صوت أرابينيا:

- أين القربان!

ركض همام بجسد ليث حاملًا بين يديه جمرة هاربًا من المكان حتى تجاوز الأتربة البيضاء ثم وضعها بجانبه وظل ينظر بفضول لما سوف يحدث لجابر.

حاول الأخير الابتعاد عن البوابة وسحب يده منها، ولكن دون جدوى حيث عاد الصوت من جديد لتردد بطريقة مليئة بالغضب:

- أين القربان!

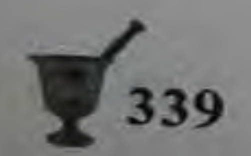
ثم سرعان ما صرخت بصوت مرعب:

- أين القربان أيها البشري..

ليعود صوتها لما كان عليه لتقول:

- حسنًا إذا، ستكون أنت القربان بسبب تلاعبك.

تلك الرسومات الغريبة في البوابة تحولت للون الأحمر حيث بدأت بامتصاص الدماء من جسد جابر والذي كان يصرخ من شدة الألم مستغيثًا بشياطينه التي ولت هاربة ليتحول بعدها لمومياء وتسقط جثته في الأرض وتختفي بعدها تلك البوابة رغم بقاء الأتربة البيضاء محيطة بالمكان.



أمسك همام بجسد جمرة واختفى من المكان ليضعها أمام منزل رُبا، ويطرق الباب ثم يختفي بجسد ليث.

فور فتح الخادمة مينا للبوابة ورؤيتها لجسد جمرة أمامها حتى صرخت لرُبا التي ساعدتها على حملها إلى الداخل.

لم تمر سوى سويعات قليلة لتعود جمرة لوعيها حيث إنها لم تتذكر أي شيء مما حصل لها وقد تفاجأت من وجودها في منزل رُبا.

اتفق الجميع على عدم إخبارها بشيء وذهبوا بها نحو منزل ليث والذي كان ينتظر قدومها بشوق أمام منزله.

ليدعي المفاجأة من عودتها وظل يسألهم عما حدث لكن إجاباتهم واحدة، لقد وجدناها أمام باب المنزل.

مرت السنوات وقد انتقلت هذه العائلة إلى منزل آخر تحت إصرار السيدة مها والتي ظلت تقول إن منزلهم أصبح غير صالح للسكن، ليبقى بعد ذلك خاليًا مليئًا بكل ما يحتويه سابقًا، لم يحملوا أي شيء معهم ليصبح خيارًا مناسبًا لمغامرات المراهقين الباحثين عن الجن نتيجة الأصوات الغريبة التي تخرج منه ليلًا وإشاعات رؤية فتاة في الطابق الثالث تنظر إلى المارة وتبتسم لهم ثم تختفي.

بينما تلك العائلة امتلكت منزلًا بسيطًا في إحدى الأحياء المتوسطة لتنتقل رُبا وعائلتها مع أختها وابنة أختها للبيت المجاور لهم.

كل شيء كان جميلًا، فالجميع سعيد عدا تلك الطفلة التي أصبح عمرها أربع سنوات، حيث كلما تنظر لوالدها يتضح الرعب على عينيها وتختبئ خلف والدتها وهي تغمغم:

- أمي، أبي يحاول إخافتي!

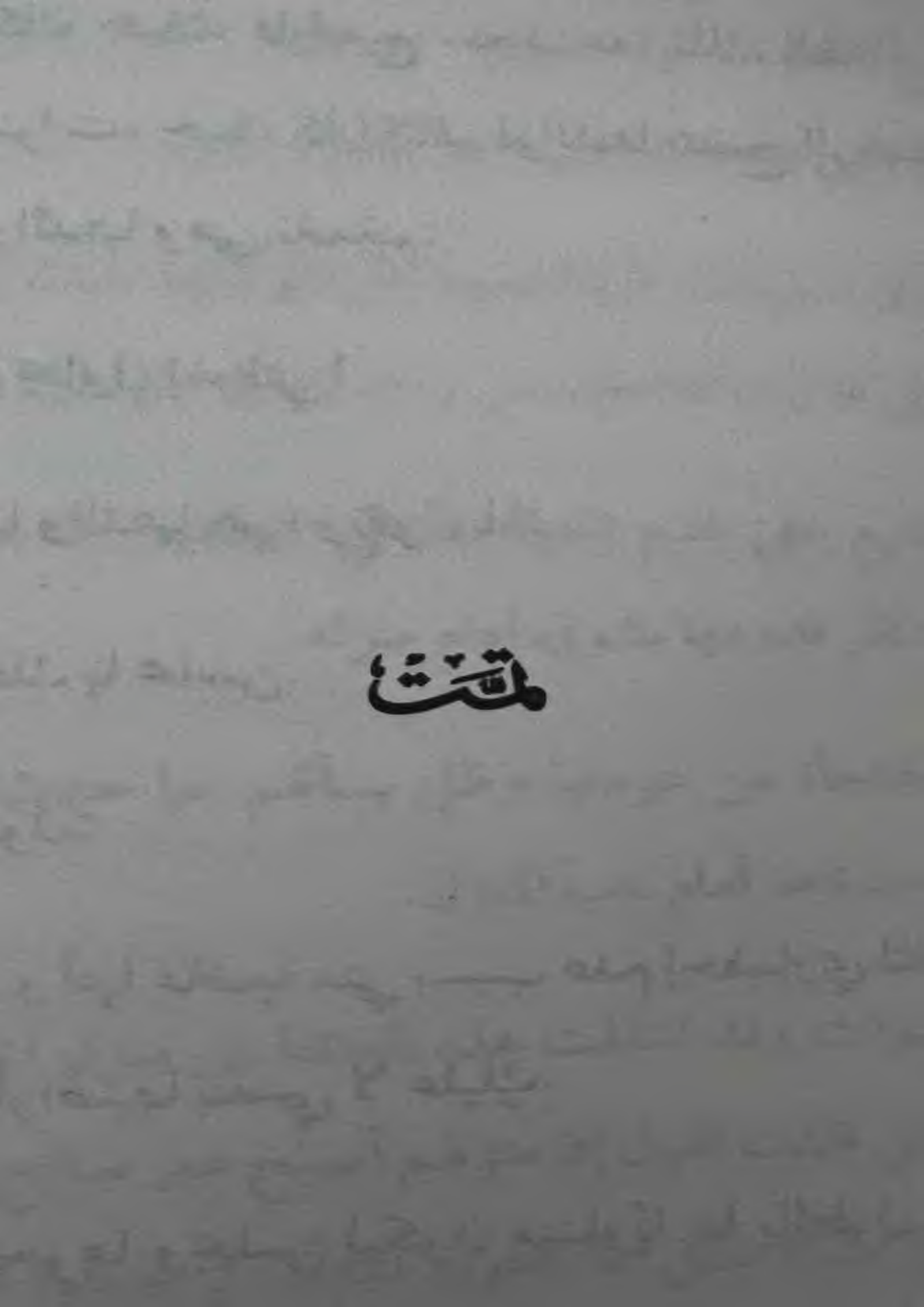
بينما توبخها والدتها جمرة وتقول لها:

- إنه يمازحك يا محاسن.

ليبتسم ويقول:

- دعيها يبدو أنها غاضبة مني بسبب عدم إحضاري لتلك اللعبة التي طلبتها مني، سأراضيها بنفسي لا عليكِ.

ثم يتقدم نحوها ويجلس ليكون مساويًا لها بالطول وفور أن يدير ظهره بعيدًا عن زوجته ويوجه وجهه لابنته تتحول ملامحه إلى ملامح شيطانية بينما يضع إصبعه على فمه لتحذيرها بعدم البوح.


تمّت

خاتمة

من الأفضل أن أعيد ما قلته في بداية هذا الكتاب، فلتشكروا ظِلال، فبدونها لم يكن لهذا الكتاب أن يكتمل.

أخبرتني هذه المخلوقة بأنها شهدت كل تفاصيل هذه الرواية على أرض الواقع، لا أعلم بشأن مصداقيتها فلطالما كانت تهوى سرد القصص ومزجها بواقع الحياة، لا تمانع إن مزجت الصدق بعشرات الأكاذيب لتخرج في نهاية الأمر بقصة متكاملة.

لذا دعنا نقول إنك لن تميز صدق ظِلال من كذبها فاقرأ بعين الخيال فقط.

قبل أن أنهي هذه الخاتمة والتي تشبه تنهيدة النفس والبوح بما في جعبتها رغم سوادها لغرض الراحة لا أكثر، تلك المخلوقة تود أن تهديك بعض الأحرف..



سيأتيك قدرك وإن كان محملًا بالسواد

لن تخاف وقتها، لن تجرؤ على الخوف

فمن الذي يخاف من قدره!



CINDER

جمرة

دعاء الجدعاني

إنهم جبناء، جبناء يجيدون صنع الوهم

@Doaaaljedanii







دار صفحات كتاب للنشر والتوزيع